تاريخ الأقباط



الجزء الأول

زكي شنوده



الجزء الأول

تأليف

المستشار الدكتور

زكي شنودة

مدير معهد الدراسات القبطية

مقدمة المؤلف

حين لمست الحاجة إلى كتاب يضم تاريخ الأقباط ، عقدت العزم على إصدار هذا الكتاب، ضارعاً إلى الله أن يمدنى بما أحتاج اليه من قوة تعيننى على السير فى هذا الطريق الطويل المحفوف بالمتاعب والصعاب .

وتاريخ الأقباط خلال عشرين قرناً من الزمان ، تاريخ ضخم ، زاخر بالأحداث ، عامر بكل جليل وخطير ، تتلاطم فى خضمه أجيال تلو أجيال من البطولات والأمجاد ، وآيات تلو آيات من صور الإيمان والجهاد ، والتضحية والاستشهاد ، والصبر على المكاره الشديدة ، والتمسك بأهداب العقيدة حتى الرمق الأخير .

ومن ثم جعلت رسالتى وهدفى أن أجمع شتات هذا التاريخ بين دفتى كتاب واحد ، يليق بعظمته وجلاله ، على أن يضم سلسلة من الأجزاء ، يشتمل كل جزء منها على استعراض مرحلة من مراحل هذا التاريخ ، ووصف جيل كامل من أجياله .

بيد أننى رأيت قبل الخوض فى هذا السرد المفصل المستفيض لتاريخ الأقباط أن أقدم هذا الجزء ليكون بمثابة المقدمة لتاريخ الأقباط ، وليكون فى ذات الوقت بمثابة التعريف بالأقباط ، فتحدثت فيه عن « أصل الأقباط» وعن « لغة الأقباط » وعن « عقيدة الأقباط» ، وفى خلال ذلك رسمت صورة شاملة للتاريخ القبطى ، تبرز فيها ملامحه الأصيلة ، ووقائعه البارزة ، وشخصياته المتميزة ، بحيث يتاح لقارىء هذا الجزء وحده أن يخرج منه بفكرة كاملة عن الأقباط ، ونشأتهم ، وعقيدتهم ، وتقاليد كنيستهم ، وما لاقوه خلال تاريخهم الطويل من صعاب ، وما ذاقوه من عذاب ، وما برهنوا عليه من قوة الأيمان ، وقوة الجنان ، وقوة الصبر أمام تصاريف الزمان .

هذا فضلا عن أنني توخيت في هذا الجزء الأول أن يكون مختصراً وافياً لتاريخ الأقباط ، بحيث يمكن من جهة أن ينتفع به الأجانب الذين يتطلعون إلى معرفة شيء عن هذه الأمة العريقة . وبحيث يمكن من الجهة الأخرى أن ينتفع به أبناء الأقباط أنفسهم ، في معاهدهم ومدارسهم .

وقد كان الفضل الأول في ظهور هذا الكتاب ، للسادة الأجلاء ، رئيس وأعضاء جمعية التوفيق القبطية بالقاهرة ، وإلى لجنة التاريخ والنشر بهذه الجمعية ، فقد كان تشجيعهم من أكبر الحوافز على المضي في هذا المجهود . وقد كان ما تنطوي عليه صدورهم من غيرة وحماسة نحو تدوين التاريخ القبطي ، بمثابة الحركة الدافعة ، والسند القوي . لذلك فأنني أتقدم اليهم جميعاً بالشكر الجزيل ، راجياً من الله أن يجزيهم خير الجزاء . كما أشكر أصحاب مؤسسة فايقه محفوظ على مالقيناه لديهم من معاونة في طبع هذا الكتاب .

وأسأل الله أن يوفقني إلى المضي في إصدار الأجزاء التالية ، وأن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه الخير ؟

زكي شنوده

الباب الأول

أصل الأقباط

من هم الأقباط ؟

أقباط جمع قبطى . وقبطى نسبة إلى قبط . فمن أين جاءت هذه التسمية ؟

إختلفت الآراء فى ذلك :

١ ـ فقال البعض ـ وقولهم هو الراجح ـ أن الأشوريين عرفوا مصر باسم « هيكوبتاه » وهو الإسم الذى كان يطلقه المصريون على عاصمة ملكهم «منف» ، ومعناه « بيت روح بتاح » . فلما سمع اليونان هذا الإسم نطقوه حسب لغتهم : « إيجيبتوس » . وقد ورد هـذا الإسم عدة مرات فى شعر هوميروس. فاذا حذفنا علامة الرفع اليونانية فى آخر الكلمة ، وهى «أوس» نتجت لنا كلمة « إيجيبت » ، المستعملة فى اللغات الأوربية كناية عن مصر ، وهى مركبة من كلمتين هما « إى » بمعنى أرض أو دار ، و « جيبت » أى قفط أو جفط كما ينطقها أهل الصعيد إلى اليوم ، فيكون معنى الكلمتين معاً أرض القبط أو دار القبط . إلا أن العرب ظنوا أن المقطع الأول ـ وهو « إى » ـ حرف تعريف أو حرف استهلال ، فحذفوه ، فخلصت لنا بعد ذلك كلمة « جيبت » ، ثم حوروها إلى النطق العربى الأسهل ، فصارت «قبط» بمعنى مصر .

٢ ـ وقال البعض الآخر أن كلمة « قبط » مشتقة من إسم قفطايم أحد أولاد مصرايم بن حام بن نوح الذى أتى بأولاده إلى مصر، التى سميت بعد ذلك باسمه ، فلما كثر أولاده منح كلا منهم إقطاعية ، وكان قفطايم من أكبر أولاده فمنحه قفط وما فوقها إلى أسوان ، وما دونها إلى الأشمونين، بمديرية أسيوط . وقد سميت «قفط» باسمه . ولا يستبعد بعض المؤرخين هذا الرأى الذى أورده المقريزى ، قائلين أن سكان وادى النيل كانوا قبل انضمامهم فى أمة واحدة عدة قبائل كقبائل العرب ، فيحتمل أن تكون قد وجدت من بينها قبيلة تسمى قفط ، نسبة إلى قفطايم بن مصرايم ، ثم أطلق الإسم على الجميع ، ولا سيما أن هذا الرأى موافق لما جاء بالسفر الأول من التوراة .

ويخلص لنا من ذلك ـ على أى حال ـ أن كلمة « قبط » معناها مصر . ولكن من أين جاءت كلمة «مصر» بدورها ؟ إختلفت الاراء فى ذلك كذلك :

١ ـ فقال البعض ـ وقولهم هو الراجح ـ أن أرض النيل كانت تعرف لدى شعوب البلاد السامية المجاورة لها باسم «مصر» فى الأشورية ، و«مصرين» فى الآرامية ، و « مصرايم » فى العبرانية ، وقد عرفها العرب باسم مصر . والمصر فى اللغات السامية معناه الحد . وقد أطلقت الشعوب السامية من أشوريين وآراميين وعبريين وعرب على البلاد المتاخمة لها إسم « مصر » ، كما سموا سكانها بالمصريين . ثم أطلقت كلمة « مصر » على القطر عامة .

٢ ـ وقال البعض الآخر أن كلمة « مصر » مشتقة من اسم مصرايم بن حام بن نوح الذى لجأ إلى وادى النيل واتخذه مقراً له ولأولاده عقب تبلبل الألسنة فى بابل وتفرق أولاد نوح على وجه الأرض كما جاء فى التوراة . ويقول بعض المؤرخين أن مصرايم هو ذاته مينا أول ملوك مصر . ولكنه قول لا دليل عليه .

٣ـ وقال فريق ثالث أن كلمة مصر نشأت عن كلمة « صر » العبرانية

ومعناها الشدة ، وأن العبرانيين أطلقوها على هـذه البلاد ، لما لاقوه فيها من شدة واستبداد .

أما اسم مصر فى اللغة القبطية ، فهو « كيمى » ، أو « خيمى » ، أو «حيمى» ، وهى تسمية مشتقة من كلمة « كيم » التى معناها أسود ، نسبة إلى سواد طينة وادى النيل ، وإن كان البعض يذهب إلى أن « حيمى » ، نسبة إلى حام بن مصرايم .

والنتيجة أن قبطى نسبة إلى قبط ، وأن قبط معناهـا مصر . فالقبطى إذن هو المصرى ، وجمعها أقباط أى مصريون .

* * *

ولكن ما أصل الأقباط ، أو المصريين بتعبير آخر ؟

المصريون فى الأصل شعب أبيض من جنس البحر الأبيض المتوسط ، وقد نزحـوا إلى وادى النيل واستوطنوه بالتدريج ، ثم اختلطوا بشعوب مختلفة كان لكل منها أثره فى تكوين عنصرهم الذى يجمع بين الساميين والحاميين ، ولذلك نجد اختلافاً بين العشائر التى استقرت فى وادى النيل حتى منف شمالا ، عن العشائر التى استوطنت الدلتا . إذ كان للأولين علاقات بالبلاد الحامية إلى ما وراء حدود مصر الجنوبية ، على حين كان للآخرين علاقات بالبلاد الواقعة على طول شواطىء البحر الأبيض إلى الغرب . كما أن من المحقق أن الهكسوس الساميين غزوا مصر حوالى سنة ١٦٨٠ قبل الميلاد ، فمزجوا دم أبنائها بالدم السامى ، وإن كان من المحتمل أن يكون الدم السامى قد تسرب إليهم قبل ذلك التاريخ ، كما تسرب الدم الحامى إلى المصريين عن طريق الليبيين الذين هاجرو إلى الدالتا ، والنوبيين الذين هاجروا إلى الوادى فى القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد . وقد كان

لاتصال المصريين بالإغريق والعرب أثر شديد فى تكوين عنصرهم : فقد بدأ الإتصال بالإغريق فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد، وبدأ اتصالهم بالعرب من منتصف القرن السابع بعد الميلاد حتى اليوم.

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن الأقباط خليط من الجنس القوقازى والجنس الزنجى بنسب مختلفة ، ولكن دلت البحوث الحديثة على أن الأقباط شعب أبيض من شعوب البحر الأبيض المتوسط . وقد احتفظوا بمميزات الجنس المصرى القديم حتى اليوم ، ، إذ كان اختلاطهم بالأجناس المختلفة التى نزحت إلى مصر قليلا إلى درجة لم تؤثر عليهم ، حتى لقد تبين لعلماء الأجناس أن التشابه يكاد يكون تاماً بين المومياءات المصرية القديمة وبين أقباط اليوم. وبذلك يمكن القول أن أقباط اليوم هم من ناحية الجنس ، سلالة مباشرة لقدماء المصريين .

الباب الثانى

لغة الأقباط

لغة الأقباط الأصلية ، هى اللغة القبطية . فما أصل هذه اللغة ، وكيف تطورت ، وكيف ازدهرت ، ثم كيف تدهورت واضمحلت ؟

أصل اللغة القبطية :

اللغة القبطية هى الصورة الأخيرة من تطور اللغة المصرية القديمة. واللغة المصرية القديمة هى لغة الفراعنة التى استعملوها منذ فجر تاريخهم — أى منذ حوالى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد — وكانوا يكتبون لغتهم هذه بثلاثة أقلام ، هى : القلم الهيروغليفى ، وكانوا يكتبون به على الأحجار والمعابد والمسلات . والقلم الهيراطيقي ، وكان خاصاً بالكهنة . والقلم الديموطيقى ، وكان يستخدمه العامة فى كتابة عقودهم وخطاباتهم ووثائقهم . وقد سادت الكتابة الديموطيقية منذ الأسرة الخامسة والعشرين ، واستمر استعمالها حتى القرن الرابع للميلاد .

ولما استولى الإسكندر الأكبر على مصر ، أصبحت اللغة اليونانية هى السائدة ، وبدأ المصريون يكتبون بها خطاباتهم ووثائقهم . ومن ثم قل استعمال الديموطيقية فى الكتابة ، وعمد البعض إلى كتابة اللغة المصرية

بحروف يونانية ، فكانت هذه هى اللغة القبطية ، التى استعملها المصريون فى العصر المسيحى، وأصبحوا يتخاطبون بها ويكتبون بها خطاباتهم ويؤدون بها صلواتهم . وقد ازدهرت هذه اللغة بعد ذلك فى القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد .

لهجات اللغة القبطية :

ولما كانت اللغة المصرية القديمة متعددة اللهجات ، فقد كان لذلك أثره فى تعدد لهجات اللغة القبطية ، التى هي آخر تطور لها . وهذه اللهجات هى:—

١ ـ اللهجة البحيرية : وكانت تعرف سابقاً بالمنفيه ، نسبة إلى منف . وكانت تستعمل فى الأسكندرية وما جاورها والدلتا ووادى النطرون . والراجح أنها كانت أول لهجة وضعت قواعد لكتابتها ، وأنها أقرب اللهجات فى تراكيبها ومفرداتها إلى اللغة الديموطيقية . وقد أصبحت هى اللهجة الرسمية للكنيسة القبطية منذ أن نقل البابا خريستوذولوس البطريركية فى اوائل القرن الحادي عشر من وادى النطرون إلى القاهرة التى كانت حينئذ عاصمة البلاد الجديدة .

٢ ـ اللهجة الصعيدية : وكانت تعرف سابقاً بالطيبية ، نسبة إلى طيبة . وقد نشأت بعد اللهجة البحيرية مباشرة ، وأصبحت هى اللهجة الأدبية لمصر العليا والوسطى .

٣ ـ اللهجة الفيومية : وكانت تستعمل فى الفيوم . ويسميها البعض باللهجة البشمورية .

٤ ـ اللهجة الأخميمية : وكانت تستعمل فى أخميم .

هذه هى اللهجات الأربع الرئيسية . وهناك لهجات أخرى فرعية منها : اللهجة المنفية ، وكانت تستعمل فى منطقة منف . واللهجة الأسيوطية ، وكانت تستعمل من البهنسا إلى اسيوط . واللهجة البشمورية ، وكانت تستعمل فى شرق الدلتا .

آثار اللغة القبطية :

أستعملت اللغة القبطية منذ أواسط القرن الثالث الميلادى فى تدوين الرسائل والوثائق . وقد دون بها الكتاب المقدس بعد ترجمته من اليونانية كما دونت بها العظات وكتب الطقوس وسير القديسين ، وغير ذلك من المقطوعات الأدبية :

١ ـ ولا شك أن أهم آثار اللغة القبطية هو الكتاب المقدس، الذى ترجم كاملا عن اليونانية إلى اللهجتين البحيرية والصعيدية ، كما ترجمت بعض فصوله إلى اللهجتين الأخميمية والفيومية . وكان العهد القديم قد ترجم قبل ذلك بمدينة الأسكندرية من العبرانية الى اليونانية ، بواسطة اثنين وسبعين حبراً من أحبار اليهود بناءاً على طلب بطليموس فيلادلفوس حوالى سنة ٢٨٢ قبل الميلاد . فلما عمت المسيحية البلاد ، بادر نخبة من المصريين الذين كانوا يجيدون اليونانية والقبطية إلى نقل الكتب المقدسة من اليونانية إلى القبطية بلهجاتها المختلفة ، ليتسنى لكل الأقاليم الاستفادة منها . فلم ينقض القرن الثالث للميلاد حتى كان الكتاب المقدس قد ترجم بأكمله الى اللهجات القبطية الرئيسية . والمأثور عن العلامة بنتينوس رئيس المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية ، الذى عاش فى أواخر القرن الثانى بعد الميلاد ، أنه تمكن من ترجمة الكتاب المقدس من اليونانية الى القبطية بمساعدة تلاميذه ، وفى مقدمتهم إكليمنضوس الأسكندرى .

٢ — ومن أروع الآثار القبطية كذلك سير القديسين وأعمال الشهداء وتراجم الرهبان الأوائل وقوانين الرهبنة وكتب الطقوس الكنسية. ومن أبدع الأمثلة على ذلك الثاوطوكيات — وهى منظومات دينية — ورسائل أنطونيوس أب الرهبنة، الذى عاش فى القرن الثالث، وقد كتبها باللغة القبطية الصعيدية، وكتابات الأنبا شنوده ومواعظه.

٣ — ومن الاثار القبطية، كتب المعتقدات المذهبية المختلفة، كالأبوكريفا، وهى الأسفار غير المقبولة لدى كل الكنائس المسيحية، وكتب الأغنسطية التى تشتمل على تعاليم الأغنسطيين، وهم طائفة من الهراطقة المسيحيين، كانوا يعتقدون أن المعرفة وليس الإيمان هى الوسيلة الوحيدة للخلاص.

٤ — ومنها آثار تتعلق بالقوانين والعقود والبيع والميراث والضرائب، وآثار تتعلق بالفلك والسحر والطب، وآثار تتعلق بالتاريخ ومواقع البلدان.

٥ — ولم تقتصر الآثار القبطية على الناحية الدينية وإنما شملت مقطوعات من الأدب الدنيوى، ولاسيما فى القرنين السابع والثامن، حيث بدأ الأقباط يتجهون إلى أدب القصة، والشعر، ومن ذلك قصة ثيودوسيوس وديونيسيوس التى ترجع إلى أوائل القرن الثامن، وقصة ملكة سبأ، وقصة الأسكندر، وقصة قمبيز التى تتناول بلغة قبطية أصيلة غزو مصر على يد قمبيز ملك الفرس. ومن ذلك القصيدة المكتوبة عن أرخيليدس وأمه سنكليتيكيس. ويلاحظ أن الأدب القبطى فى عهده الأخير مكتوب كله بأسلوب شعرى تغلب عليه روح الوطنية وطابع الحكمة، ويبدو فيه التأثر

الواضح بأمثال سليمان الحكيم وسفر الجامعة ونشيد الأنشاد .

انحطاط اللغة القبطية :

إزدهرت اللغة القبطية كما رأينا فى القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد . ثم ازدهرت مرة أخرى فى القرن الثامن . إلا أنها بعد الفتح العربى ما لبثت أن اضمحلت شيئاً فشيئاً منذ القرن التاسع ، حتى إذا جاء القرن الثالث عشر ، كانت اللغة العربية قد دحرتها وسادت عليها . وفى هذا القرن وضع علماء كل القبط مؤلفاتهم اللاهوتية باللغة العربية .

إلا أن اللغة القبطية ظلت مع ذلك لغة التخاطب فى الوجه القبلى حتى القرن السابع عشر . وفى القرن الثامن عشر بدأ الأقباط يكتبون اللغة العربية بحروف قبطية ، كما بدأوا يكتبون اللغة القبطية بحروف عربية . ثم فى القرن التاسع عشر انتهى الكلام باللغة القبطية ، وإن كانت قد ظلت لغة الكنيسة حتى القرن العشرين . وفى هذا القرن ضعف استعمال اللغة القبطية حتى كلغة كنسية ، وقد تهاون الإكليروس فى الصلاة بها .

وقد بذلت عدة محاولات لإنقاذ اللغة القبطية من الإندثار : فمنذ القرن الثالث عشر ، عمد بعض علماء الأقباط ، حين لمسوا خطر اللغة العربية على لغتهم ، إلى وضع قواعد مختصرة للغة القبطية ، ثم إلى تدوين مفرداتها حفظاً لها من الضياع . وقد انتفع العلماء الأجانب فى العصور الأخيرة بهذه القواعد فى دراسة اللغة القبطية ، وتعمقوا فى ذلك لدرجة كبيرة ، حتى لقد وضعوا الكتب والمؤلفات عن هذه اللغة وتطورها ولهجاتها وقواعدها ، وصنفوا لها معاجم تماثل معاجم اللغات الحية الأخرى . وكان أول من عنى بذلك الأب اليسوعى أثناسيوس كيرشر ، الذى وضع مصنفاً فى قواعد اللغة القبطية ، وطبع كتاب « السلم الكبير » لأبن كبر . والدكتور كرام الذى وضع قاموساً وافياً لمفردات اللغة القبطية . ولدفيج ستيرن . وأدولف أرمان .

وجورج ستيندورف . ووالترتيل . وأماديوس بيرون . وولهم سيجليرج . وغيرهم من كبار العلماء الغربيين .

أما فى مصر فأن أول من اهتم بتعليم اللغة القبطية بعد اندثارها هو البطريرك كيرلس الرابع الذى أمر بتدريسها فى مدارس الأقباط ، ومن ثم تخرج على يديه جيل من الشبان الغيورين على إحياء اللغة القبطية ، كان آخرهم وأكثرهم غيرة وأثراً المرحوم اقلاديوس لبيب ، الذى وقف حياته على بعث هذه اللغة من رقدتها ، وبدأ بتعليمها لأهل بيته ، ثم ألف الكتب العديدة لتلقينها لسائر الأقباط . وكان لكفاحه أثره — وإن كان فى حيز محدود — فى خلق جو من الإهتمام بأحياء اللغة القبطية بين أفراد من المثقفين الأقباط ، وعلى هؤلاء الافراد ينعقد الأمل فى إحياء لغة الاباء والأجداد .

وبالرغم من أن اللغة القبطية قد اندحرت أمام اللغةالعربية ، فأن آثارها مازال باقية فى لغة المصريين ، فقد دخل فى اللغة العربية المصرية كثير من الكلمات القبطية، منها أسماء مثل : برسيم .وبلح . وشونة . وأردب . ولقمة . وقلة . وسلة . ونبوت . وذهبية . وشبورة . وسمك بورى . وراى . وشال . وشلبة . ومنها أسماء الشهور مثل : بابة . وهاتور . وكيهك . وطوبة . وأمشير . وأسماء المدن مثل : شبرا . وحلوان . وبنها . وطوخ . وأرمنت والمنيا . ومنها أفعال مثل : هلوس . وهوش . ولكلك . وفتفت . وبشبش . وهكذا .

بل أن للغة القبطية أثرها الباقى فى بعض الكلمات الأوربية مثل : واحة

وهى بالقبطية وازبس ، وجوم ـ أى صمغ ـ وهى بالقبطية كومى ، وأدوبى ـ أى طوبة ـ وهى قبطية الأصل ، والسوسن ، والأبنوس ، وغير ذلك .

ومن أثر اللغة القبطية كذلك أن القديسين كيرلس وأخاه ميتودوس ، حين وضعا الأبجدية الروسية فى القرن التاسع الميلادى ، أدخلا فيها بعض الحروف القبطية المأخوذة عن الديموطيقية .

ولا يسع كل مخلص إلا أن يتمنى للغة القبطية العزيزة يداً قوية تنهضها من عثرتها ، وتبث الحياة فيها .

الباب الثالث

عقيدة الأقباط

مقدمـــة

إنتهينا إذن الى أن الاقباط هم البقية الباقية من المصريين القدماء ، وأن لغتهم القبطية ماهى إلا آخر صورة من صور التطور فى لغة هؤلاء المصريين القدماء ، وهى المسماة فى أصلها الأول بالهيروغليفية .

والآن يدعونا منطق التدرج فى البحث لأن نتساءل : ماهى العقيدة الدينية للأقباط ، وفى أى الظروف اعتنقوها ، وعلى أى صورة احتفظوا بها وحافظوا عليها ؟

وهذا البحث بدوره يتطلب دراسة المعتقدات الدينية لدى قدماء المصريين أولا ، حتى ننتهى الى الجو الذى صادفته المسيحية حين دخولها إلى مصر ومقدار تهيؤ هذا الجو لقبول الدين الجديد الذى مازال الأقباط يدينون به حتى اليوم .

وعلى ذاك يتفرع بنا البحث الى شقين ، نتناولهما فى فصلين متتاليين :

الشق الأول . معتقدات قدمـاء المصريين حتى ظهور السيد المسيح ودخول مرقس الرسول الى مصر ليبشر بديانته .

والشق الثانى : دخول المسيحية مصر وعوامل نجاحها وانتشارها وكيفية تناول المصريين لها ، وتحديد جوهرها الذى اعتنقه المصريون ، بعد نضال طويل مع ما ظهر من آراء ونظريات ، قال بهـا بعض فلاسفتها والبـاحثين فيها .

الفصل الأول

عقائد قدماء المصريين

تاريخ مصر قبل دخول المسيحية إليها تاريخ طويل ، عرف المؤرخون بعضه ولم يتوصلوا إلى معرفة معظمه ، نظراً لقلة الآثار التى تدل عليه . ويقتضينا البحث هنا أن نتناوله فى إيجاز شديد ، متوخين استعراض عقائد قدماء المصريين فحسب .

عبادة النيل :

يتكهن بعض المؤرخين بأن الرقعة التى تشغلها مصر كانت صحراء جرداء فى العصور الجغرافية الأولى، حتى شق النيل مجراه فى هذه الهضبة الصحراوية القائمة فى الشمال الشرقى من أفريقيا ، وتدفقت مياهه المنحدرة من قلب القارة ، فكونت رقعة من أخصب رقاع العالم ، إنبثقت فيها الحياة ، وسكنها الإنسان ، وكون فيها مع الزمن صوراً مصغرة من المجتمع البشرى ، على هيئة قبائل أو أمارات صغيرة. ولما كانت هذه الرقعة بما نشأ فيها من الحياة والأحياء تدين للنيل بوجودها ، فقد كان لذلك النهر فى نفوس المصريين الأوائل تقديس عظيم ، حتى لقد عبدوه ، وسموه «حابى» أى الإله المقدس، وهم ما يزالون يحتفلون بفيضانه حتى اليوم .

عبادة آلهة منفردة :

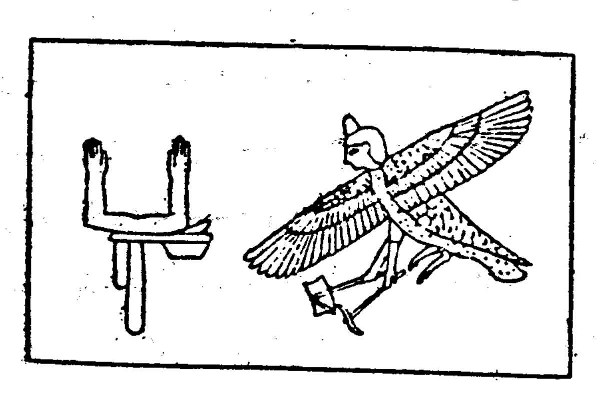
ولما كان وادى النيل بطبيعة أرضه وتكوينه ينقسم إلى قسمين مختلفين تمام الإختلاف ، أدى ذلك إلى وجود وحدتين كبيرتين : إحداها جنوبية وهى المسماة مصر العليا ، والأخرى شمالية ، وهى المسماة مصر السفلى .

وتتكون مصر العليا من واد ضيق يمتد من الشلال الأول عند أسوان إلى رأس الدلتا بالقرب من القاهرة . وتتكون مصر السفلى من دلتا النيل ، وهى سهل فسيح تكون مع الزمن من طمى النيل .

وما من شك فى أن الانسان الذى كان يقطن ذلك الوادى ، عاش فى أول أمره على الفطرة ، حتى نشأ بين الأفراد المتفرقين مع الزمن قدر من التعاون ، فانتظموا فى قبائل تخضع لنظام خاص ، وتعيش عيشة استقرار ، وقد اتخذت كل قبيلة شعاراً أو رمزاً اختارته مما يحيط بها من حيوان أو نبات أو غيره تنتسب إليه ، كما اتخذت إلهاً خاصاً بها تعبده . ثم اجتمعت عدة قبائل فى منطقة واحدة ، فتكونت بذلك القرى التى راحت كل منها فى أول الأمر تعيش فى عزلة عن غيرها ، حتى بدأت هذه القرى مع الزمن تتبادل السلع والحاجيات ، فتألفت منها بالتدريج أمارات صغيرة . واتخذت كل منها رمزاً خاصاً بها ، كما اتخذت معبوداً اعتبرته ربها وحاميها . ثم بمرور الأيام اتحدت تلك الأمارات ، وكونت مملكتين منفصلتين ، إحداها فى مصر العليا والأخرى فى مصر السفلى ، وصار لكل منها ملك تخضع له ، وشعار تتميز به ، وإله خاص تعبده : فكانت مصر العليا تخضع لملك يلبس تاجاً أبيض ، وتتخذ نبات البردى شعاراً لها ، وتعبد إلهاً يرمز له بالنسر . وكانت مصر السفلى تخضع لملك يلبس تاجاً أحمر ، وتتخذ نبات اللوتس شعاراً لها ، وتعبد

إلهاً يرمز له بالأفعى. ثم جاء وقت عبدت فيه المملكتان إلهاً واحداً هو الإله حوريس ، وصار ملوكها يلقبون بخدام حوريس ،ومن ثم أسبغ المصريون على أولئك الملوك صفة دينية ، إذ اعتقدوا أن أرواحهم تكون بعد الموت واسطة بين الناس والآلهة . ثم اعتبروهم مع الزمن أشباه آلهة .

وحدث بعد ذلك أن راح بعض ملوك هاتين المملكتين يحاولون توحيدهما . ولكن محاولاتهم باءت بالفشل زمناً طويلا ، حتى قام واحد من ملوك مصر العليا ، ونجح فى غزو مصر السفلى وضمها لمملكته ، وذلك هو الملك مينا رأس الأسرة الأولى التى بذل ملوكها من بعده جهداً عظيماً لتوطيد وحدة البلاد وتوسيع رقعتها ، وكانت الملكية فى ظلها مطلقة أساسها قدسية الملك واعتباره الإله الأكبر للمملكة . وظل الأمر كذلك فى عهد الأسرتين الثانية والثالثة ، ثم كان عصر الأسرة الرابعة أزهى عصور الدولة القديمة ، وفيه بنيت أهرامات الجيزة لتكون مقابر لمن بنوها من الملوك، إذ كانوا يحفظون



« الروح والقرين كما تخيلها المصريون القدماء »

أجسادهم سليمة من العطب لأنهم كانوا يؤمنون بالخلود ، وبأن الأنسان مكون من عدة قوى لكل منها عمله : فالى جانب الجسم وهو الجزء الظاهر من الإنسان ، يوجد « الكا » أو القرين ، وهو شبح للانسان يشبه صاحبه تمام

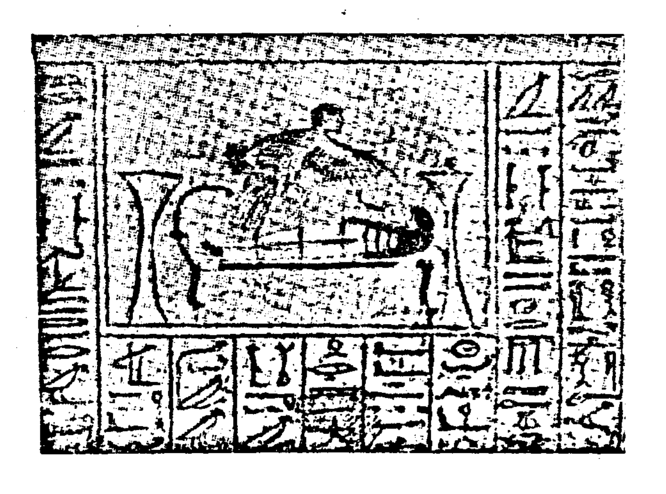
الشبه ولا يمكن رؤيته ، كما يوجد « البا » وهو الروح التى تخيلوها على هيئة طائر له رأس إنسان . وكانوا يعتقدون أن هذه القوى معرضة للفناء إذا أهملت ، فاذا هى فنيت مات الشخص مرة أخرى وزال من الوجود نهائياً . كما كانوا يعتقدون أن حياة « الكا » متوقفة على بقاء الجسم سليما ، ولذلك كانوا يحنطون جثث موتاهم ، ويضعونها فى قبور محصنة بعيدة عن عبث اللصوص ، وجافة بعيدة عن الرطوبة التى تحلل الأجسام . وكانوا فضلا عن ذلك يقيمون الصلاة ويقدمون القرابين ليحفظوا حياة « الكا » و « البا » . وكان « الكا » فى اعتقادهم لا يفارق الجسد فى القبر ، وأما « البا » فيصعد إلى الآلهة فى السماء ، ثم يهبط بين آونة وأخرى ليزور الجسد .

ولما كانوا قد اعتبروا المقابر دوراً أبدية ، فقد أقاموها ونظموها بالطريقة التى تتفق وفكرتهم عن الحياة المقبلة، وكفلوا فيها للميت نعيم الحياة وأطايبها ، فكانوا يضعون معه فى قبره كل ما يحتاج إليه من طعام وشراب ومتاع . إلا أنهم منذ الأسرة الخامسة بدأوا يكتفون برسم هذه الأشياء على جدران المقابر معتقدين أن تلاوة الصلوات والنصوص الدينية كفيل بتحويل هذه الرسوم إلى أشياء حقيقية .

وكانوا كذلك يصنعون تمثالا أو أكثر للميت ، إذ كانوا يخافون أن تتحلل جثته على الرغم من تحنيطها ، أو تمتد إليها يد اللصوص فلا تجد الروح مكاناً تأوى إليه ومن ثم يموت المتوفى مرة أخرى،وكانوا يكتبون على هذه التماثيل إسم الميت حتى يعرفها « الكا » ويحل فيها إذا فنى الجسد الحقيقى ، وبذلك تستمر الحياة .

وقد دام حكم الأسرة الرابعة مائة وستين عاماً ، وصلت مصر خلالها

إلى أعظم درجات الحضارة والرقى ، غير أن نفوذ الملوك بدأ فى أواخر هذه المدة يضعف ، بينما أخذت تزداد قوة الكهنة ويستفحل تدخلهم فى شئون البلاد حتى استأثروا بكل ما للملوك من سلطان . وقد شجعهم على ذلك ثقة الملوك بهم ، لأنهم عملوا على إخضاع البلاد كلها لعقيدة البيت المالك وهى



« زيارة الروح للجثة عند الفراعنة »

عبادة الشمس أو الإله رع ، ولا سيما أن الشمس كانت فى نظر المصريين جميعاً قوة تسيطر على الحياة فتبدد الظلام وهو طريق الموت ، وتخلق النور وهو سبيل الحياة، ومن ثم أصبح من الميسور إدخال المعبودات المحلية فى دائرة هذه القوة ونسبتها إليها ، فلقب حوريس مثلا بحوريس رع ، وآمون بآمون رع وهكذا . ولتقريب هذه التسمية من أذهان المصريين شبه الكهنة الآلهة بحكومة جعلوا رئيسها رع وأعضاءها الآلهة الباقين ، وبذلك أمكن توحيد العقائد الدينية تحت لواء كهنة رع فأخذ نفوذهم يزداد شيئاً فشيئاً حتى طغى على نفوذ الملك . وانتهى الأمر بأن جمعوا كل السلطة فى أيديهم ، واستطاع كبيرهم أوسركاف أن يغتصب العرش لنفسه ، ويؤسس أسرة جـــديدة ، هى الأسرة الخامسة .

فلما بدأ عهد هذه الأسرة الخامسة ، تغيرت بعض مظاهر العقائد الدينية ، فقلت عناية المصريين بتشييد الأهرامات وجعلوها أصغر حجماً وإن كانوا زينوا جدرانها بالنصوص الدينية بعد أن كانت خالية منها فى العصر السابق ، وأكثروا من إقامة المسلات وهى رمز الإله رع . وينتهى نفوذ هذه الأسرة ، بانتهاء حكم الملك أوناس الذى بنى لنفسه هرماً فى سقارة ، زين جدرانه بنصوص دينية تعتبر أقدم النصوص المعروفة فى مصر ، وهى مجموعة أدعية وطلاسم كانوا يعتقدون أنها تحفظ جثة الميت وتحول صور الأطعمة والأشربة المرسومة إلى أشياء حقيقية . ومنذ



« الإله رع »

عهد أوناس بدأ المصريون ينقشون على مبانيهم الرسمية صورة قرص الشمس تكتنفها من الجانبين حية مقدسة ويحملها جناحان منشوران ، وهذا هو قرص الشمس الذى يحلى واجهة المعابد المصرية ويدل على مكانة الشمس فى المدنية المصرية القديمة .

إلا أن الكهنة منذ قبضوا على أزمة الملك وجهوا كل عنايتهم للأمور الدينية وأغفلوا شئون السياسة والإدارة ، مما قوى شوكة حكام الأقاليم ، وانتهى بهم الأمر إلى انتزاع الملك منهم ، فقامت فى أعقابهم الأسرة السادسة ، وكان آخر ملوكها الملك بيبى الثانى الذى عاش حتى بلغ المائة ، فانتهز الأمراء فرصة شيخوخته واستولوا على الملك . وبذلك انتهى عهد الدولة القديمة الذى بلغت فيه مصر درجة عظيمة من المدنية والمجد .

عبادة الرواصر :

وتداولت حكم مصر بعد ذلك أسرات تخلل عهدها فترات قوة وضعف ، ووحدة وتفكك ، حتى مرت بها فترة من أحلك فتراتها فى عهد الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة ، حيث حكمها ملوك ضعاف سادت الفوضى فى مصر على أيامهم ، مما شجع جيرانها الأسيويين على غزوها ، فأغار عليها الهكسوس ، وأخضعوها ، وألف ملوكهم فيها الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة ، وعلى الرغم من توددهم إلى المصريين ، فان أولئك ما فتئوا يكرهونهم ويقاومونهم حتى تمكنوا آخر الأمر بقيادة أحمس من طردهم . وأسس أحمس الأسرة الثامنة عشرة التى كان من أشهر ملوكها بعده إبنه امنحتب الأول ، وتحتمس الأول ، ثم تحتمس الثانى ، ثم الثالث ، وكان من ملوكها أمنحتب الرابع الذى كان شاعراً ومصلحاً دينياً حكم مصر حوالى سبعة عشر عاماً ، وكانت زوجته نفرتيتى أميرة نادرة الجمال ، وكان يقضى معها ومع أمه الملكه تى ساعات طوالا فى مناقشات فلسفية ، وذلك هو المسمى بعد ذلك أخناتون الذى تم على يديه أكبر انقلاب دينى فى عهد قدماء المصريين .

وذلك أن عبادة آمون كانت عقيدة مصرية بحتة لا يفهمها سكان البلاد المختلفة التى تكونت منها الأمبراطورية المصرية التى كونها تحوتمس الثالث . وقد نزح كثيرون من سكان تلك البلاد إلى مصر ، واختلطوا بأهلها

وصاهروهم، بل أن الأسرة المالكة نفسها لم تسلم من هذا الإمتزاج فصاهرت الأجانب الأسيويين. وكان من الضرورى إذن لهذه الشعوب المتباينة من دين أعم من دين آمون. ولما كان القدماء يعبدون الشمس من زمن بعيد جداً فى أشكال متعددة، وكان لهذه الديانة صبغة عامة تعوز ديانة آمون المصرية البحتة، فقد اقتبس أمنحوتب الرابع عبادة الشمس فى صورة قرصها لتكوين الإله الواحد، ومن ثم أبطل عبادة آمون وترك مدينة طيبة موطن هذه العبادة — وكان ذلك فى السنة الرابعة من حكمه — وأعلن أنه ليس هناك إلا إله واحد يسيطر على العالم بأسره وتتمثل قوته فى قرص الشمس المضىء المتوهج «آتون»، ولما لاحظ أن اسم أمنحتب معناه «آمون راض» كره سماعه وكره نقشه على الآثار فجعل إسمه أخناتون ومعناه «آتون راض»، وحرم عبادة الإله الجديد فى شكل تماثيل، قائلاً أنه كائن فى كل شىء، ونظم الأناشيد فى مدحه وراح يترنم بمجده، قائلا له: «حين تستريح تغدو الأرض فى ظلام كأنها ميتة، وتخرج الأسود من كهوفها، والثعابين من أوكارها، وتصمت الأرض صمت القبور، حتى تقذف بسهامك فيتمزق الظلام، ويستيقظ الناس، فيغتسلون، ويرفعون أيديهم ليعبدوا إشراقك، ثم تنهمك الأرض كلها فى العمل. وما أكثر الأشياء التى خلقتها: فبأرادتك خلقت الأرض والإنسان والحيوان، وكل ما يمشى على قدميه أو يطير بجناحيه. وخلقت كذلك أرض أثيوبيا وسوريا ومصر»

وهجر الملك طيبه وبنى إلى الشمال منها على الشاطىء الشرقى للنيل عاصمة جديدة سماها «أخيتاتون» أى أفق الشمس، وموقعها الآن بلدة تل العمارنة بمديرية أسيوط، وأقام فيها المعابد المكشوفة للإله آتون، وأعلن أنه لن يتركها أبداً وأنه سيكرس نفسه لتعليم الدين الجديد للناس ولعبادة إله واحد هو آتون. وقد بلغ به حماسه أن سن قوانين يحرم بها عبادة الآلهة القديمة فى كل أنحاء الامبراطورية المصرية.

ولم يكن أخناتون وحده متحمساً لانقلابه الدينى، وإنما ساعدته فى

ذلك زوجته الملكة نفرتيتى ، وكانت أكثر منه ميلا للدين الجديد ، وأشد تعلقاً به . وبعد موت أخناتون خلفه زوج إبنته « توت عنخ آمون » الذى ظل يسكن تل العمارنة ثلاث سنوات ، وبقى مخلصاً للمذهب الآتونى ، إلا أنه لسبب ما ترك هذه المدينة ، وقصد إلى طيبة حيث هجر الدين الآتونى وقدم ولاءه لكهنة آمون ، ومنذ ذلك الحين عرف باسم «توت عنخ آمون» وبعودة الملك عاد لطيبة عزها ورخاؤها ففتحت المعابد وتم إصلاحها ، ثم جاء الملك حار محب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة فاستمال إليه كهنة آمون بأن قرر محو كل آثار المذهب الآتونى ، فهدم هياكله وأعاد اسم آمون إلى كل مكان . وقام رمسيس الأول بعد ذلك بتأسيس الأسرة التاسعة عشرة التى كان من أشهر ملوكها بعده سيتى الأول ورمسيس الثانى المعروف برمسيس الأكبر ، وقد أعاد الإمبراطورية المصرية واسترد كل ممتلكاتها ، وتلاه إبنه منبتاح الذى يقال أن فى عهده خرج بنو اسرائيل من مصر .

ثم توالت على مصر بعد ذلك الأسرات من العشرين إلى السادسة والعشرين ، وفى أواخر عهد هذه الأسرة استولى الفرس على مصر بقيادة قمبيز فى سنة ٥٢٥ قبل الميلاد . ثم ما لبث أن استولى عليها الإسكندر الأكبر ملك الإغريق ، فأسس فيها مدينة الإسكندرية وقدم القرابين للاله آمون ، ومن ثم أعلن الكهنة أنه ابن الإله ، ووضعوه فى مصاف الفراعنة . ثم استولى الرومان على مصر فى عهد كليوبترا وحكمها أكتافيوس منذ سنة ٣٠ قبل الميلاد ، وفى عهده فر إلى مصر يوسف النجار ومعه السيدة العذراء مريم والطفل يسوع المسيح ، وظلوا فيها فترة من الزمان .

وفى عهد الإمبراطور الرومانى نيرون دخلت المسيحية فى مصر على يد القديس مرقس ، وكان ذلك فى منتصف القرن الأول الميلادى .

* * * *

هذا تاريخ موجز للمعتقدات المصرية قبل دخول المسيحية : ومنه نرى

تعدد آلهة المصريين ، إذ كان لكل بلد من بلادهم إلهها الخاص الذى يحميها من الشر . وكان يحدث بين حين وآخر أن تنتشر عبادة إله من هذه الآلهة المحلية عندما يعظم شأن البلد الذى يعبد فيه ، كما حدث فى الدولة القديمة حين انتشرت عبادة رع ، إله عين شمس ، وكما حدث فى الدولة الحديثة حين سادت عبادة آمون ، إله طيبة .

قصة أوزوريس :

وقد كان للمصريين إله آخر كذلك يجمعون على حبه وهو أوزوريس إله الموتى ، الذى يحاسب الناس على أعمالهم يوم ينتقلون من هذه الدنيا إلى الآخرة ، وقد نسجوا حوله أسطورة كان لها شأن عظيم لديهم . إذ قالوا أن أوزوريس نزل من السماء على هيئة إنسان ، كى يعلم الناس السلام ويرشدهم



« أوزوريس »

إلى الحياة معاً فى مودة وصفاء ، فأحبوه حباً جماً جلب عليه حقد أخيه « ست » فدبر له مكيدة يتخلص بها منه ، إذ صنع تابوتاً يسعه تماماً وزخرفه بالجواهر والأحجار الكريمة ، ودعاه إلى وليمة كبيرة حضرها

كثيرون ، وأعلن أنه سيمنح هذا التابوت لمن يكون على مقاسه تماماً ، فقام كل من المدعوين يجرب حظه ولكن بغير جدوى ، حتى قام أوزوريس وتمدد فى الصندوق ، فما كاد جسمه يدخل فيه حتى أسرع أخوه وأغلقه وألقى به فى النيل ، فحمله التيار إلى البحر المتوسط وما فتئت الأمواج تتقاذفه حتى ألقت به عند مدينة ببلوس بفينيقيا . فلما علمت زوجته إيزيس بما حدث له حزنت عليه حزناً شديداً وبكت عليه بكاءاً مراً ، وجدت فى البحث عنه حتى وجدت التابوت الذى يرقد فيه ، وعادت به إلى الدلتا ، ولكنها قبل أن تتمكن من فتحه فاجأها « ست » وقطع جسم أخيه إثنين وسبعين قطعة ، ثم ألقى بكل منها فى مقاطعة من مقاطعات مصر التى كان يبلغ عددها إذ ذاك مثل



« إيزيس ترضع حوريس »

هذا العدد . ومع ذلك لم تيأس إيزيس وإنما ركبت قارباً وراحت تجمع تلك الأشلاء ، وقد عاونها فى ذلك « تحوت » إله الحكمة ، و « أنوبيس » إله التحنيط ، وأختها نفتيس ، زوجة ست ، فلما جمعت الأشلاء كلها قرأت

عليها بعض التعاويذ السحرية ، فدبت فيها الحياة من جديد . إلا أن أوزوريس رفض أن يعود إلى حكم هذا العالم ، وفضل أن يبقى فى العالم الآخر . وكان لأوزوريس من زوجته إيزيس ابن إسمه حوريس ، قام ليثأر لأبيه ، فحارب عمه ست ، وانتصر عليه ، فكان بذلك منقذ الإنسانية .

وقد جاء فى هذه الأسطورة أن إيزيس وهى تبكى حزناً على زوجها سقطت من عينها دمعة فوق نهر النيل ، ففاض على الفور ، وظل يفيض عاماً بعد عام .

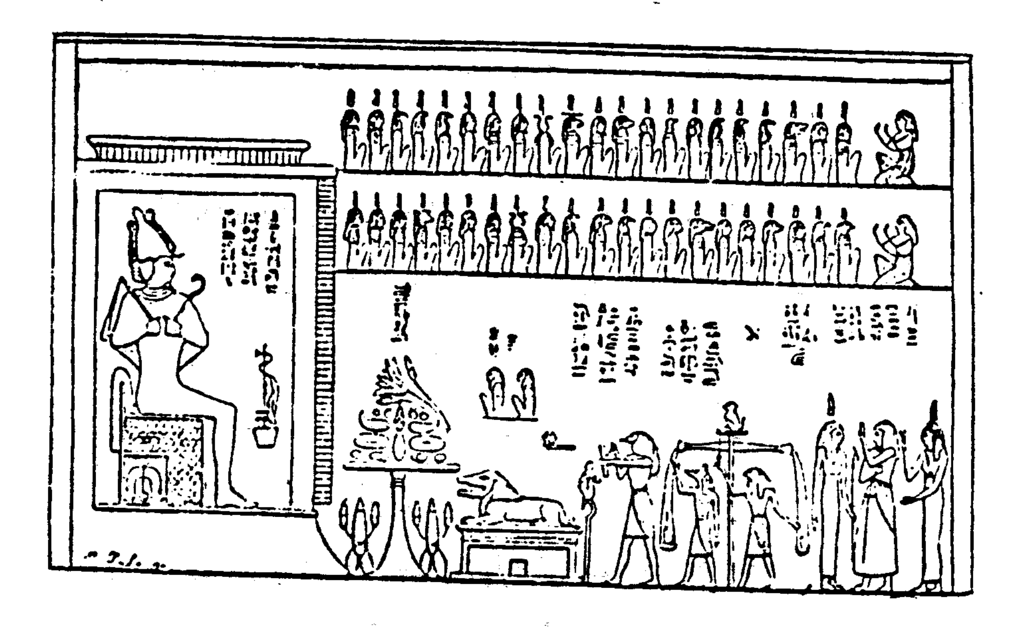
وكان المصريون يحتفلون بدفن أوزوريس فى فصل الخريف حين تبذر البذور فى جوف الأرض ، ثم يحتفلون بعودته إلى الحياة فى فصل الربيع ، حين تورق الأشجار وتتفتح الزهور .

وكانوا يعتقدون أن مقبرة أوزوريس موجودة فى أبيدوس المعروفة بالعرابة المدفونة بالبلينا ، فكان فريضة على كل منهم أن يحج إليه مرة على الأقل فى حياته ، وكان مما يتطلعون إليه أن يبنوا قبورهم بالقرب من قبره ، ومن يعجز عن ذلك يكتفى بأن يقيم له شاهداً هناك ينقش عليه اسمه . كما حرص المصريون على تحنيط جثث موتاهم فى صورة جثة أوزوريس ، وقد وضع يديه على صدره ممسكاً بأحداها عصى الراعى ، وبالأخرى السوط الملكى .

وقد ألهمت هذه القصة المصريين بأن كل من يحسن فى دنياه ويلاقى المتاعب ويتحمل الآلام كما فعل أوزوريس يعود إلى الحياة مرة أخرى ويتمتع بالنعيم ، وهذا هو أصل العقيدة فى خلود الروح ، وفى وجود حياة أخرى يجازى فيها المحسن على إحسانه والمسىء على إساءته .

ونظراً للظلم الذى حاق بأزوريس وبالآلام التى لحقته ، إختارته الآلهة

ـ فى اعتقاد المصريين القدماء ـ ليكون قاضى الموتى ، ومن ثم أصبحت مهمته محاسبة أهل الدنيا ووزن أعمالهم وإصدار الحكم لهم أو عليهم بالنعيم أو الجحيم . وكان ذلك يجرى فى محكمة مكونة من اثنين وأربعين قاضياً برأسهم أوزوريس ، ويسأل كل منهم الميت عن الآثام التى ارتكبها فى دنياه ،



« محكمة أوزوريس »

كالسرقة والقتل والكذب ، فيتبرأ من كل منها على التوالى . وللتأكد من صدق الميت ، بوضع قلبه فى كفة ميزان ، ويوضع فى الكفة المقابلة ريشة تمثل الصدق ، فأن رجحت كفة الريشة كان ذلك دليلا على أن الرجل من البررة الأطهار ، فيسير إلى النعيم الأبدى الذى سماه المصريون « جنة السلام » . وإن ثقلت كفة القلب ، كان ذلك برهاناً على أن الرجل من الأشرار ، فينقض عليه وحش يكون متربصاً بينذاك أمام الميزان فيقتله ويلقى به فى هوة سحيقة . وعلى الرغم من أن المصريين كانوا يؤمنون بعدالة هذا الحساب ، فأنهم كانوا يعتقدون مع ذلك أن تلاوة التعاويذ وتدوينها

على تابوت الميت أو على جدران قبره ، أو على لفائف من البردى تدفن معه ، تشفع له أمام محكمة أوزوريس ، فتخفف من عذابه ، وهذا هو الغرض من كتاب الموتى .

الخلاصة :

هذه هى المعتقدات الدينية التى كان يؤمن بها المصريون حتى دخلت المسيحية فى مصر ، ومن دراسة هذه المعتقدات يمكن أن نستخلص الأمور الآتية :

١ — كان المصريون يؤمنون بوجود إله . وقد توصلوا فى بعض مراحل تاريخهم إلى أن هذا الإله واحد ، وأنه أزلى أبدى ، وأنه أصل الكائنات ، وهو الذى أوجدها ، وهو ذاته موجود فيها ، كما ورد فى ديانة أخناتون الذى أنكر الآلهة جميعاً ولم يعترف إلا بأله واحد كان يرمز له بقرص الشمس ويخاطبه قائلا « أنت الإله الواحد لاشريك لك فى الملك » . وقد ذكر هيرودوتس « أن أهل طيبة كانوا يعرفون الإله الواحد الذى لا بداية له الحى الأبدى » . وذكر العلامة جامبليكس ، أحد فلاسفه القرن الثالث « أن المصريين كانوا يعبدون إلهاً واحداً هو سيد العالم وخالقه ، فوق كل العناصر ، غير مادى ولا متجسد ، غير مخلوق ولا مرئى ، هو الكل فى الكل ، ومحيط بالكل ، ومتصل بالكل » . وذكر العلامة الألمانى بروكش فى أبحاثه الأثرية أن المصريين كانوا يعتقدون أن « الله هو الواحد الأحد . لا إله الا هو . الذى صنع كل شيء . الله روح . وهو روح خفى . روح الأرواح . روح المصريين الأكبر . الروح القدس . الله هو الموجود من الأزل . وهو موجود قبل كل الوجود . فهو أبو الأصول . الله أزلى وهو

الحى الدائم الذى لا نهاية له . الأبدى الباقى على الدوام . ولا يعرف أحد شكله . الله هو الحق ويعيش بالحق ويتغذى بالحق . يرتكز على الحق . وهو خالق الحق . الله الخالق ولم يخلق . معطى الوجود ولم يوجده أحد . الموجود بذاته . الكائن بنفسه . المبدع لشكله » .

٢ — وكان فى معتقدات المصريين ما يجعل فكرة التثليث المسيحية قريبة إلى فهمهم . فقد كان لكل مدينة هامة من مدنهم ثالوث من الآلهة تختص بعبادته والولاء له ، ومن أمثلة ذلك ثالوث طيبة ويتألف من آمون « الأب » وموت « الأم » وخنسو « الإبن » . وثالوث أبيدوس أو العرابة المدفونة ، ويتألف من أوزوريس « الأب » وإيزيس « الأم » وحوريس « الإبن » وكانوا يعتقدون أنهم وإن كانوا ثلاثة ، إلا أنهم يعملون معاً .

٣ — كما كان فى معتقداتهم ما يجعل فكرة ابن الله من عذراء قريبة إلى فهمهم كذلك ، فقد كانوا يعتقدون مثلا أن حور محب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة هو ابن الإله آمون من عذراء ، وأن آبيس كان يتجسد فى مولود عجلة بكر بعد حلول روح الإله بتاح فيها .

٤ — وكانوا يعتقدون أن الله قد خلق الإنسان ووضع فيه الروح ، وأن هذه الروح خالدة ، وأن الإنسان سيبعث بعد الموت ، وسيحاسب فى الآخرة عن أعماله فيكافأ عن حسناته ويجازى عن سيئاته .

٥ — وكانوا يصورون فى يد آلهتهم علامة ترمز إلى الحياة ، وكانوا يسمونها « عنخ » ، وهى قريبة فى تكوينها من علامة الصليب التى اتخذها المسيحيون شعاراً ورمزاً لهم بعد ذلك .

٦ — كما كانوا يستعملون الغسل أو الرش بالماء المقدس ، وهو طقس يشبه العماد عند المسيحيين .

٧ — وأخيراً نجد فى قصة الإله أوزوريس ، واستشهاده ثم انتصاره فى النهاية على الشر ، وجلوسه بعد ذلك فى محكمة السماء ليحاسب الناس كلا حسب أعماله ، ما يجعل قصة حياة المسيح وموته وقيامته وصعوده قريبة الى عقول المصريين وقلوبهم .

ومن ذلك يتبين لنا أن المسيحية حين دخلت فى مصر وجدت السبيل ممهداً لان يقبل المصريون معتقداتها ، ويؤمنوا بها ، بل ويستشهدوا فى سبيلها .

الفصل الثانى

المسيحية فى مصر

نتكلم فى هذا الفصل عن عقيدة الأقباط — بعد أن ألممنا بطرف من عقائد قدماء المصريين — ويقتضينا ذلك أن نورد أولا كلمة موجزة عن ظهور المسيحية ، نلمح فيها الى قصة السيد المسيح ، وسيرة حياته وموته وقيامته . والى رسله الذين بشروا به وحملوا رسالته الى العالم . ثم الى الكتاب المقدس الذى ضم سيرته وطرفاً من سيرة رسله وأصبح إلى هذه الساعة دستوراً ومناراً المسيحيين فى كل الأرض .

ثم نتكلم بعد ذلك عن دخول المسيحية فى مصر على يد مرقس الرسول وما لقيته فيها من ترحيب من جانب الشعب، ومن محاربة وعنت من جانب الحكام ، ومن اضطهاد للمؤمنين بها . ثم نرى كيف تبلورت العقيدة القبطية بعد أن مرت بمراحل طويلة من الإختلافات والمناقشات فى المجامع الداخلية والدولية ، وبعد أن احتكت بالفلسفات اليونانية وغيرها فى جامعة الإسكندرية . ثم لا يسعنا — استكمالا للبحث — الا أن نورد بعد ذلك كلمة عن ظاهرة كان لها أكبر الأثر فى المجتمع القبطى والعقيدة القبطية على مر العصور ، وهى الرهبنة . ثم نختم هذا الفصل بكلمة عن « خلاصة العقيدة القبطية » .

الفرع الأول

ظهور المسيحية

البحث الأول

قصة السيد المسيح

١ ـ ميلاد السيد المسيح :

جوهر العقيدة المسيحية كما وردت فى الكتاب المقدس ، أن الله أرسل ملاكه إلى عذراء اسمها مريم ، مخطوبة لرجل من بيت داوود إسمه يوسف ، من مدينة الناصرة ، إحدى مدن الجليل فى فلسطين ، وبشرها بأنها وجدت نعمة عند الله فاختارها ليولد منها المسيح مخلص العالم بحلول الروح القدس عليها ، فقبلت البشرى فرحة ، وتم لها ما قاله الملاك فحبلت من الروح القدس.

فلما اقتربت أيام وضعها كان الإمبراطور الرومانى أغسطس قيصر قد أصدر أمره بأحصاء السكان فى اليهودية التى كان ملكها هيرودس ،

على أن يسجل كل واحد فى مدينته التى ولد فيها ، فصعد يوسف لذلك من الناصرة إلى مدينة داوود التى تدعى بيت لحم مع مريم خطيبته ، وإذ وجدا المدينة مزدحمة بالمسافرين ، اضطرا لأن يقيما بمكان الدواب فى أحد منازلها ، وهناك جاء المخاض مريم فولدت إبنها وأضجعته فى مذود البقر ، وكان ذلك الإبن هو يسوع المسيح .



« بشارة الملاك للعذراء »

وفى ليلة الميلاد هذه ظهر ملاك لجماعة من الرعاة وبشرهم بميلاد المسيح المخلص ، وظهر معه فريق من الملائكة يسبحون الله قائلين « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » فترك الرعاة قطعانهم وذهبوا إلى المكان الذى دلهم عليه الملائكة فرأوا الطفل وسجدوا له .

ولما تمت ثمانية أيام ليختتن الطفل حسب شريعة موسى دعي اسمه يسوع أى المخلص ، كما دعاه الملاك قبل أن تحبل به أمه .

وفى تلك الأيام جاء مجوس من المشرق إلى أورشليم قائلين « أين هو المولود ملك اليهود ، فأننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له » ، فلما سمع هيرودس ذلك اضطرب وجمع رؤساء الكهنة وسألهم « أين يولد



« سجود المجوس للطفل يسوع »

المسيح » فقالوا له « فى بيت لحم اليهودية » فدعى المجوس وأرسلهم إلى بيت لحم قائلا لهم بمكر « اذهبوا ومتى وجدتم الصبى أخبرونى لكى آتى أنا أيضاً وأسجد له » فذهبوا والنجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى بلغوا مكان الصبى فسجدوا له وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومراً . إلا أنهم أوحى إليهم فى حلم ألا يعودوا إلى هيرودس فانصرفوا من طريق آخر إلى بلادهم .

وبعد أن تمت أيام التطهير الشرعية ، صعدوا بالصبى إلى أورشليم ليقدموه للرب . وكان فى الهيكل عندئذ رجل بار إسمه سمعان كان قد أوحى اليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب ، فما رأى



« السيدة العذراء مريم ويسوع الطفل »

يسوع مع أمه حتى أخذه بين ذراعيه وبارك الله قائلا : « الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام ، لأن عينى قد أبصرتا خلاصك » .

أما هيرودس فحين سأل عن المجوس ، وعلم أنهم خدعوه غضب جداً وأمر بقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين

فما دون ، عسى أن يقتل يسوع من بينهم . وحينئذ ظهر ملاك الرب ليوسف في حلم قائلا : « قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر » .

٢ ـ الهرب الى مصر :

ويقول المؤرخون أن يوسف وخطيبته والصبى جاءوا إلى مصر عن طريق صحراء سينا ودخلوها من جهة الفرما الواقعة بين بورسعيد والعريش، ومنها الى مدينة بسطة ، التى كانت تقع بالقرب من مدينة الزقازيق الحالية . واتجهوا غرباً ، فعبروا فرع النيل الشرقى عند سمنود . ثم



« الهرب إلى مصر »

عبروا فرعه الغربى حتى إذا بلغوا وادى النطرون ، اتجهوا إلى الوجه القبلى فنزلوا بمدينة الأشمونين . ثم مضوا الى القوصية ثم الى قرية ميرة ، المسماة الآن « مير » ، وهبطوا بجهة قسقام ـ حيث يوجد الآن دير العذراء الشهير بالمحرق ـ وظلوا مقيمين هناك حتى ظهر ملاك الرب ليوسف وقال له : « قم

خذ الصبي وأمه وعد الى اليهودية ، لأن هيرودس الذى كان يطلب نفس الصبي قد مات » فقاموا وانحدروا شمالا حتى جاءوا بابيلون ـ المسماة الآن مصر القديمة ـ وكان بها حى لليهود لايزال لهم فيه آثار الى اليوم . ونزلوا فى الموضع الذى فيه كنيسة القديس سرجيوس ـ المعروفة بكنيسة أبى سرجة ـ ثم اتجهوا إلى عين شمس ، وكان بها عدد كبير من اليهود أيضاً ، واهم فيها هيكل كان يعرف بهيكل أونياس . فأقاموا هناك يستظلون بشجرة يقال أن موضعها حيث توجد الآن الشجرة المعروفة بشجرة مريم بالمطرية ـ ومن هناك انطلقوا الى اسرائيل عن طريق مديرية الشرقية ، فالصحراء كما جاءوا .

وقد اختلف المؤرخون حول المدة التي قضتها الأسرة المقدسة منذ خروجها من أرض اسرائيل حتى رجوعها من مصر اليها : فقدرها بعضهم بستة أشهر ، وبعضهم بسنة ، وبعضهم بسنتين ، وآخرون بأربع سنوات . ويرجح البعض أنها لاتقل عن سنة ولا تزيد عن سنتين ، وذلك لأنه قد تحقق أن هيرودس الذى كان يطلب قتل الصبي توفى فى السنة التى ولد فيها المسيح .

٣ ـ يسوع فى صباه :

فلما عاد يوسف والصبى وأمه الى أرض اسرائيل، وجدوا أن أرخيلاس يملك على اليهودية مكان هيرودس أبيه، فخافوا أن يذهبوا إلى هناك وانصرفوا إلى نواحى الجليل وسكنوا فى مدينة يقال لها ناصرة . وهنالك قضى يسوع أيام صباه .

وكان أبواه يذهبان كل سنة الى ورشليم فى عيد الفصح

فلما كان فى الثامنة من عمره صعدا إلى أورشليم كعادتهما ، حتى إذا انقضت أيام العيد رجعا وهما يظنان أن الصبى فى الركب معهما . ولكنهما حين وصلا لم يجداه فراحا يبحثان عنه عند الأقرباء والمعارف . وأخيراً عادا إلى أورشليم فوجداه فى الهيكل جالساً وسط المعلمين يسمعهم ويجادلهم ،

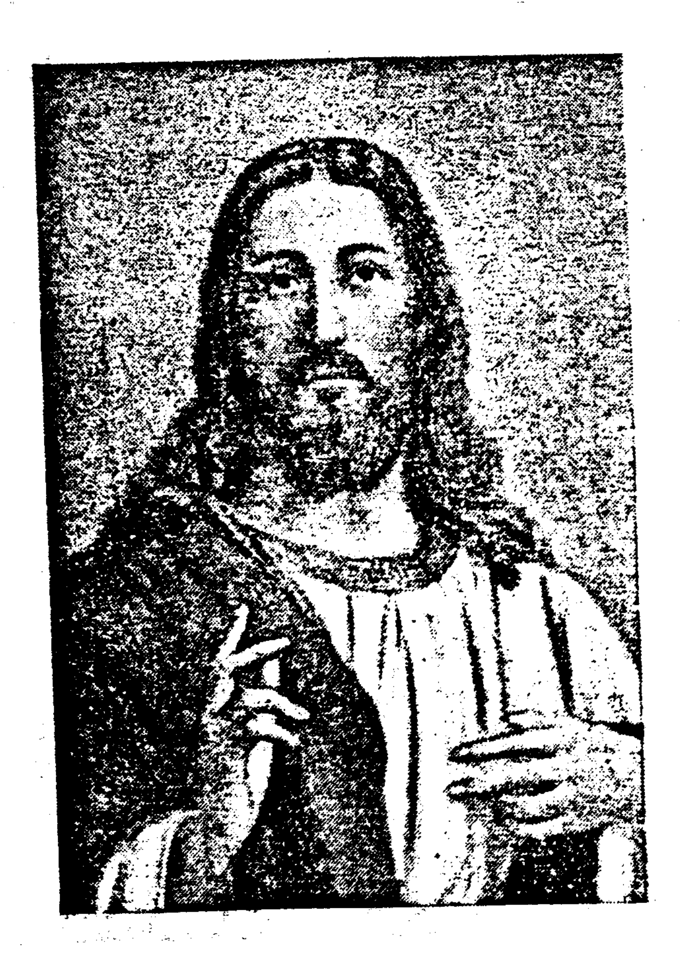


« يسوع فى صباه »

وقد بهت الحاضرون جميعاً من فهمه وأجوبته ، فقالت له أمه « يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا ؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين » فقال لهما . « لماذا تطلبانني ؟ ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فيما لأبى ؟ » فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما . ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة .

٤ ـ العماد :

وفى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر ، إذ كان بيلاطس البنطى والياً على اليهودية وهيرودس حاكماً للجليل ، كان يوحنا يعمد



« يسوع فى شبابه »

فى الأردن ويكرز قائلا : « يأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلا لأن أنحنى وأحل سيور حذائه . أنا عمدتكم بالماء ، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس »

وفى تلك الأيام جاء يسوع من الجليل إلى الأردن ، وكان فى نحو

الثلاثين من عمره ، ليعتمد من يوحنا ، فما أبصره هذا مقبلا حتى صرخ قائلا « هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » . فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل



حمامة وآتياً عليه وصوت من السموات قائلا : « هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت » .

٥ — التجربة :

ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح القدس ليجرب من إبليس ، فبعد أن صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً ، فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً » . فأجاب وقال « مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله »

ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة ، وأوقفه على جناح الهيكل وقال له « إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك » . فقال له يسوع « مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك ، ثم أخذه أيضاً إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك

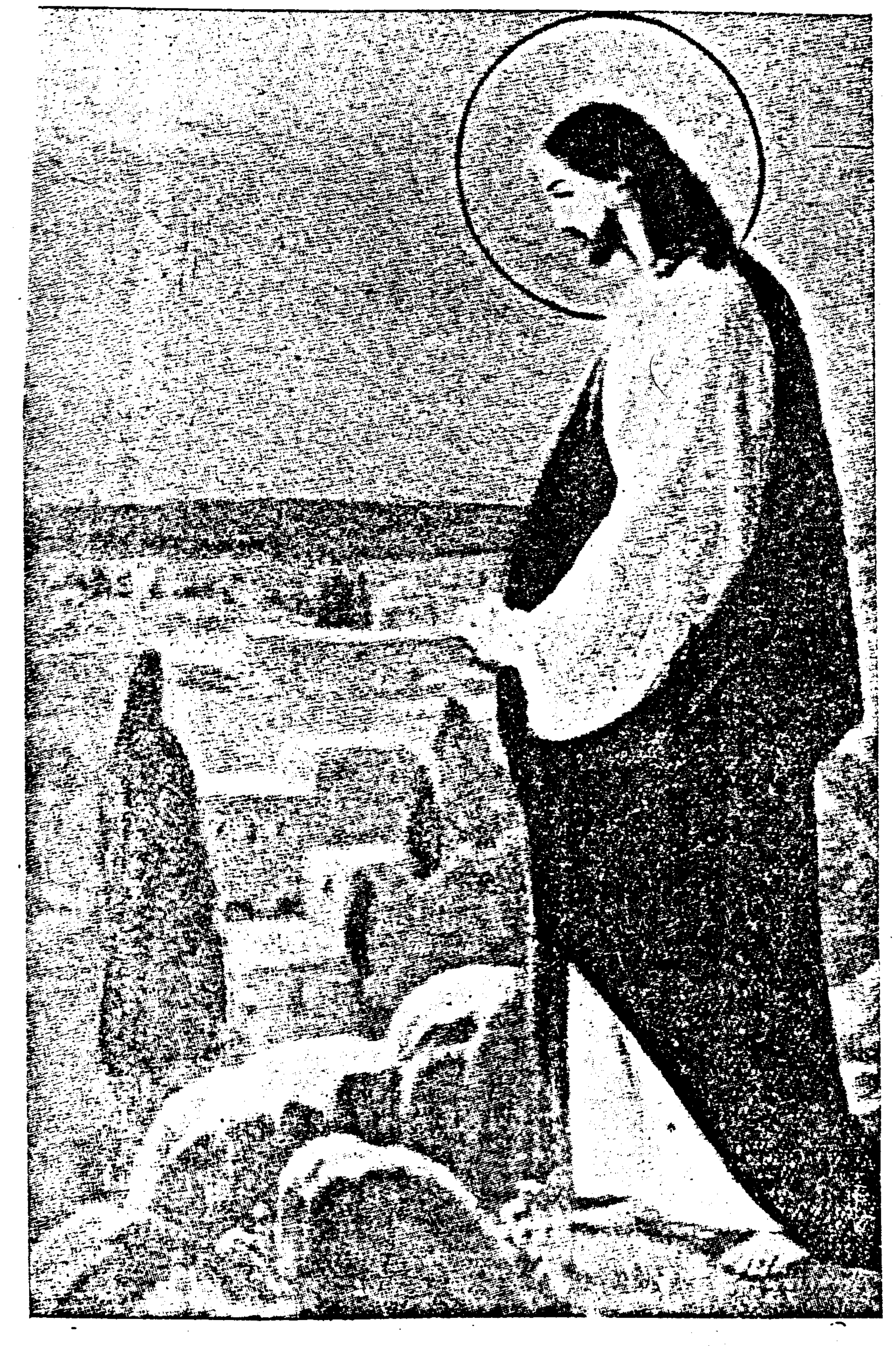


« التجربة »

العالم ومجدها وقال له « أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى » . حينئذ قال له يسوع « إذهب ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » .

٦ — تعاليم يسوع ومعجزاته :

وفى تلك الأيام أمسك هيرودس يوحنا وطرحه فى السجن ، فلما سمع يسوع ذلك غادر الناصرة وأتى إلى الجليل فسكن فى كفر ناحوم . ومن ذلك الوقت بدأ يطوف ويعلم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف ، ويصنع العجائب فذاع خبره فى كل سوريا ، وأحضروا إليه



« يسوع فى أيام صومه ووحدته »

جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة ، والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم . فتبعته جموع كثيرة . وكان يعلمهم قائلا :

« طوبى المساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات . طوبى للحزانى لأنهم يتعزون. طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض . طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون. طوبى للرحماء لأنهم يرحمون . طوبى لأنقياء القلب



« السيد المسيح يخطب على الجبل »

لأنهم يعاينون الله . طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون . طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات . طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين . إفرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات » .

وقال لهم : « سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم

لاتقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضاً . ومن سخرك ميلا واحداً فاذهب معه اثنين . من سألك فاعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده . سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » .



« السيد المسيح يشفى المرضى »

وقال لهم : « إذا صليتم فقولوا : أبانا الذى فى السموات . ليتقدس إسمك ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك . كما فى السماء كذلك على الارض . خبزنا كفافنا . أعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا . كما نغفر أيضاً المذنبين إلينا . ولا تدخلنا فى تجربة . لكن نجنا من الشرير . لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين » .

ودخل إلى المجمع فى كفر ناحوم وصار يعلم. فبهتوا من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان. وكان فى مجمعهم رجل به روح نجس فصرخ قائلا: « آه مالنا ولك يايسوع الناصرى. أتيت لتهلكنا. أنا أعرفك من أنت قدوس الله ». فانتهره يسوع قائلا: « إخرس واخرج منه ». فصرعه الروح النجس بصوت عظيم وخرج منه.

ومر يسوع برجل أبرص فمد يده ولمسه فذهب عنه البرص. ومر برجل أعمى منذ ولادته. فتفل على الأرض وصنع طيناً وطلى به عينى الأعمى وقال له « اذهب اغتسل فى بركة سلوام » فمضى واغتسل وأتى بصيراً.



« السيد المسيح يقيم إبن أرملة نايين »

وفى أحد الأيام كان يعلم فجاء رجال يحملون على فراش رجلا مفلوجاً. ولما لم يجدوا منفذاً من شدة الزحام، صعدوا إلى السطح ودلوه أمام يسوع.

فلما رأى إيمانهم قال له « أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك » . فقال الكتبة والفريسيون فى نفوسهم « من هذا الذى يتكلم بتجديف ؟ من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده ؟ » فعرف يسوع أفكارهم وقال لهم « ماذا تفكرون فى قلوبكم ؟ أيهما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم وامش ؟ ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا أقول لك أيها المفلوج قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك » ففى الحال قام أمامهم وحمل فراشه ومضى .



« السيد المسيح يقيم ابنة يايروس »

٦

وذهب إلى مدينة تدعى نايين ، فأذا ميت محمول هو الابن الوحيد لأمه الأرملة . فلما رآها يسوع تحنن عليها وقال لها « لا تبكى » ثم تقدم وقال « أيها الشاب لك أقول قم » . فجلس الميت وابتدأ يتكلم .

وجاء إليه رجل اسمه يايروس وجثا عند قدميه ، راجياً إياه أن يدخل بيته لأن ابنته الوحيدة تموت . ولكن مالبث أن أقبل واحدمن داره وقال

له « ماتت ابنتك فلا تتعب المعلم » . فالتفت إليه يسوع قائلا لاتخف آمن فقط فهى تشفى » . فلما جاء إلى البيت كانوا يبكون عليها ويلطمون وقد تحققوا من موتها ، فأخرج الجميع وأمسك بيدها ونادى قائلا « ياصبية قومى » ، فرجعت روحها وقامت فى الحال .

ومرض لعازر الذى كان يسوع يحبه مع أختيه مريم ومرثا ، فأرسلت الأختان إليه قائلتين « ياسيد . هوذا الذى تحبه مريض » فلما أتى يسوع وجد أنه مات منذ أربعة أيام ، وقالت له مرثا « ياسيد . لو كنت ها هنا لم



« السيد المسيح يقيم لعازر من الموت »

يمت أخى » ، فقال لها يسوع : « سيقوم أخوك » . وجاء إلى القبر . وقد وضع عليه حجر فقال يسوع « إرفعوا الحجر » فقالت له مرثا « ياسيد قد انتن لأن له أربعة أيام » . قال لها يسوع « إن آمنت ترين مجد الله » ، فرفعوا الحجر ورفع يسوع عينيه الي فوق ، وصلى ثم صرخ بصوت عظيم

« لعازر هلم خارجاً » ، فخرج الميت وجسده مربوط بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع « حلوه ودعوه يذهب » .

وكان الفريسيون لا يفتأون يسألون يسوع ليجربوه ويمسكوا عليه سقطة، فقالوا له « هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ؟ » فقال لهم « بماذا أوصاكم موسى ؟ » فقالوا « إنه أذن بأن يكتب كتاب طلاق فتطلق » فأجاب يسوع وقال لهم « من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية . ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . إذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » .

وقالوا له ليصطادوه بكلمة « يامعلم قل لنا ، أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟ » فعلم يسوع خبثهم وقال « لماذا تجربوننى يامراؤون ؟ أرونى معاملة الجزية » فقدموا ديناراً فقال لهم « لمن هذه الصورة والكتابة ؟ » قالوا له « لقيصر » فقال لهم « أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

وكان بالهيكل فقدموا له امرأة أمسكت فى زنا قائلين « يامعلم ، هذه المرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل . وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم . فماذا تقول أنت؟ » فانحنى يسوع وراح يكتب بأصبعه على الأرض . ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم « من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر » . ثم انحنى ثانية وراح يكتب على الأرض . وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحداً واحداً وبقى يسوع وحده والمرأة واقفة فى الوسط . فلما نظر يسوع ولم يجد أحداً

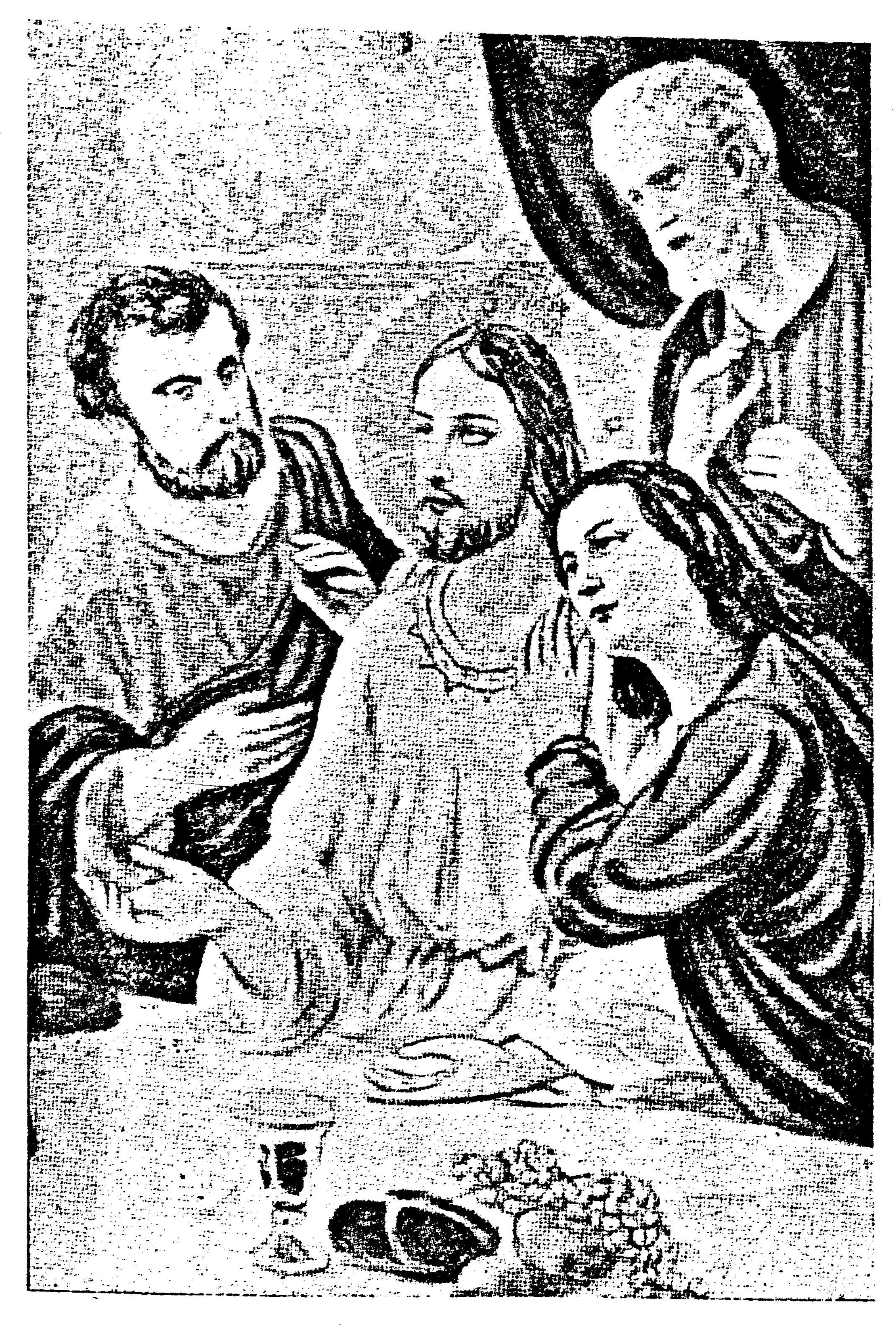
سوى المرأة قال لها « يا إمرأة أين المشتكون عليك؟ أما أدانك أحد ؟ » فقالت « لا أحد ياسيد » فقال لها يسوع « ولا أنا أدينك . إذهبي ولاتخطئي مرة أخرى » .

وكان يسوع في تلك الأيام قد اختار ممن تبعوه اثنى عشر تلميذاً هم : سمعان الذي سماه أيضاً بطرس . وأندراوس أخوه . ويعقوب . ويوحنا . وفيلبس . وبرثلماوس . ومتى . وتوما . ويعقوب بن حلفى . وسمعان القانوى . ويهوذا أخو يعقوب . ويهوذا الأسخريوطي . وقد أعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء الأمراض وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله .

ثم بعد ذلك عين سبعين آخرين وأرسلهم اثنين اثنين إلى كل مدينة وموضع .

٧— التآمر على يسوع :

فلما كثرت آيات يسوع والتفت الجموع حوله تستمع إلى تعاليمه وتمجد معجزاته ، وقد قضى أكثر من ثلاث سنوات يعلم ويصنع العجائب ، اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون وراحوا يتآمرون ويتشاورون قائلين : « ماذا نصنع ؟ » . فقال قيافا رئيس الكهنة : « إنه خير لنا أن يموت واحد ولاتهلك أمة كلها » ومن ذلك اليوم قرروا أن يقتلوه ، وترقبوا فرصة لذلك . حتى تقدم إليهم يهوذا الأسخريوطي أحد التلاميذ وساومهم على تسليمه . فجعلوا له ثلاثين من الفضة نظير ذلك .



« يسوع مع بعض تلاميذه »

٨ — دخول أورشليم :

أما يسوع فاذا كان عالماً أن ساعته قد جاءت، قال لتلاميذه « ها نحن صاعدون إلى أورشليم . وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، ويسلمونه الى الأمم، فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم » .



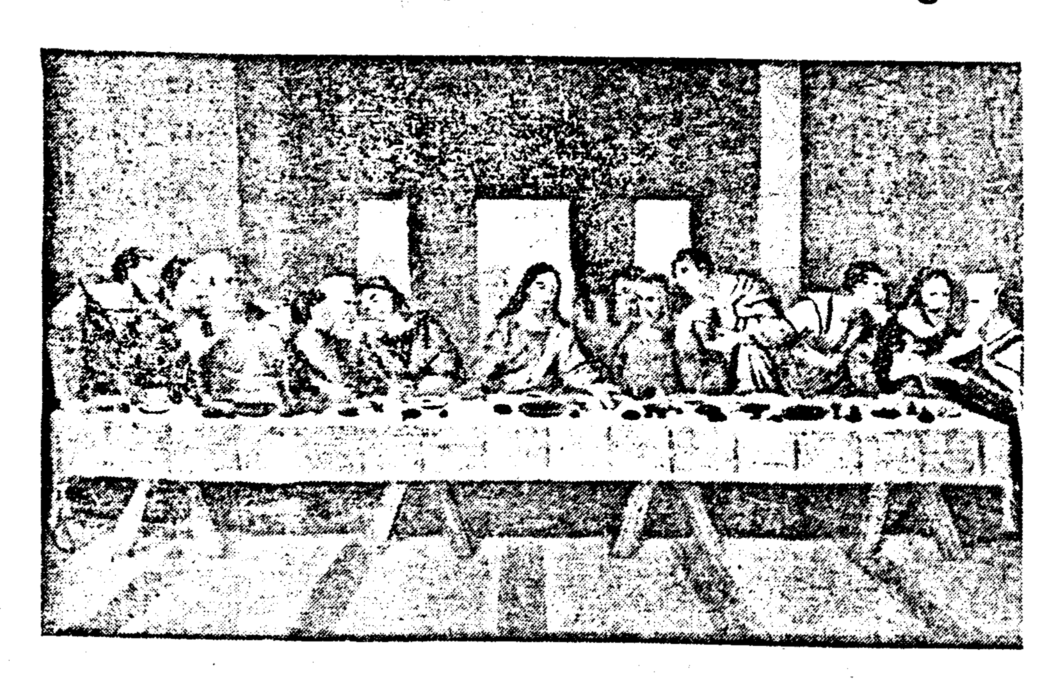
« دخول أورشليم »

ثم تقدم صاعداً إلى أورشليم، وإذ قرب من بيت فاجى وبيت عنيا عند جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما « إذهبا إلى القرية التى أمامكما، وحين تدخلانها، تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد، فحلاه وأتيا به، وإن سألكما أحد لماذا تحلانه فقولا له الرب محتاج اليه » فمضيا وأتيا بالجحش، وطرحا عليه ثيابهما، وأركبا يسوع . وفيما هو سائر فرش كثيرون ثيابهم فى الطريق وآخرون قطعوا

أغصاناً من الشجر وفرشوها كذلك . وكانوا يصرخون قائلين « أوصنا لابن داود . مبارك الآتى باسم الرب ملك اسرائيل . أوصنا فى الأعالى » ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها .

٩ — حفلة الوداع :

وفى أول أيام الفصح ، أرسل يسوع اثنين من تلاميذه وقال لهما « إذهبا إلى فلان ، وقولا له المعلم يقول إن وقتى قريب، عندك أصنع الفصح مع تلاميذى » ففعلا كما أمرهما . فلما اتكأ مع تلاميذه ، قال لهم « شهوة



« حفلة الوداع »

اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم » . ثم أخذ الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ ، وقال « خذوا كلوا هذا هو جسدى » وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا « إشربوا منها كلكم . لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا »

وفيما هم يأكلون قال « الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمنى » فحزنوا جداً ، وابتدأ كل واحد منهم يقول له « هل أنا هو يارب » فأجاب وقال « الذى يغمس يده معى فى الصحفة هو يسلمنى » ثم التفت إلى يهوذا قائلا له « ما أنت فاعل قم وافعله سريعاً » فقام وخرج وحينئذ قال يسوع « الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه ، ياأولادى أنا معكم زماناً قليلا بعد . ستطلبوننى وحيث أذهب أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا » .

ثم رفع يسوع عينيه نحو السماء وقال « أيها الاب قد أتت الساعة. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته . والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم » .

١٠ــ الآلام والصلب :

وبعد ذلك خرج يسوع مع تلاميذه إلى جبل الزيتون . وهنالك بدأ يكتئب وقال لتلاميذه « نفسى حزينة جداً حتى الموت » ثم قال لهم « أمكثوا هنا حتى أصلى ، ثم تقدم وجثا على ركبتيه وصلى بحرارة ، وعرقه يسيل كقطرات الدم قائلا « يا أبتاه إن شئت فاعبر عنى هذه الكأس . ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك » . وبعد أن قضى فى الصلاة وقتاً طويلا يكرر الرجاء والابتهال ، عاد إلى تلاميذه وقال لهم « قد أتت الساعة ، هوذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدى الخطاة » .

وحينئذ أقبل يهوذا ومعه جنود رؤساء الكهنة والفريسيين وجمع كثير

بسيوف وعصى . وكان يهوذا قد قال لهم « الذى أقبله امسكوه ». فتقدم اليه قائلا « ياسيدى » وقبله . فقال له يسوع « يا يهوذا أبقبلة تسلمنى ؟ ».

وألقوا أيديهم عليه، فاستل سمعان بطرس سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه، فقال له يسوع « رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يهلكون » .

ومضوا بيسوع إلى قيافا رئيس الكهنة . وكان الحاضرون جميعاً يطلبون شهادة زور على يسوع ليقتلوه، فلما لم يجدوا قام رئيس الكهنة وقال له « هل أنت المسيح ابن الله ؟ » فأجاب قائلا « أنت قلت » فمزق رئيس الكهنة ثيابه والتفت إلى الجميع قائلا « ها قد سمعتم تجديفه ، فما حاجتنا بعد إلى شهود ؟ » فصاحوا قائلين « إنه مستوجب الموت » ، ثم بصقوا فى وجهه وراحوا يهزأون به ويلطمونه قائلين « تنبأ من الذى لطمك ؟»

وجاءوا بعد ذلك إلى بيلاطس قائلين « إننا وجدنا هذا يفسد الأمة مدعياً أنه ملك » . فاستجوبه بيلاطس، ثم اتجه إلى رؤساء الكهنة والمجتمعين قائلا « إنى لا أجد علة فى هذا الإنسان » .

وكانت العادة أن يطلق الوالى للجموع أسيراً واحداً تختاره ، فقال لهم بيلاطس « من تريدون أن أطلق لكم يسوع أم باراباس ؟ » ـ وكان هذا لصاً وقاتلا ـ فقالوا : « أطلق لنا باراباس » فقال « فماذا أفعل بملك اليهود ؟ » فصرخوا قائلين « اصلبه . اصلبه » . فعاد وقال لهم « أى شر فعل ؟ إنى

لا أجد فيه علة للموت » . فصاحوا أيضاً وقد ازداد هياجهم قائلين « اصلبه اصلبه » . فأخذ بيلاطس ماءاً وغسل يديه أمام الجميع وقال « إنى برىء من دم هذا البار ».

فأجاب الشعب قائلا « دمه علينا وعلى أولادنا » . وحينئذ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب .

فمضى به الجنود إلى داخل دار الولاية ، حيث ألبسوه أرجواناً ، وضفروا إكليلا من الشوك ووضعوه عليه ، وبدأوا يستهزئون به قائلين « السلام ياملك اليهود » ويضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم . وأخيراً نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه وخرجوا به ليصلبوه .

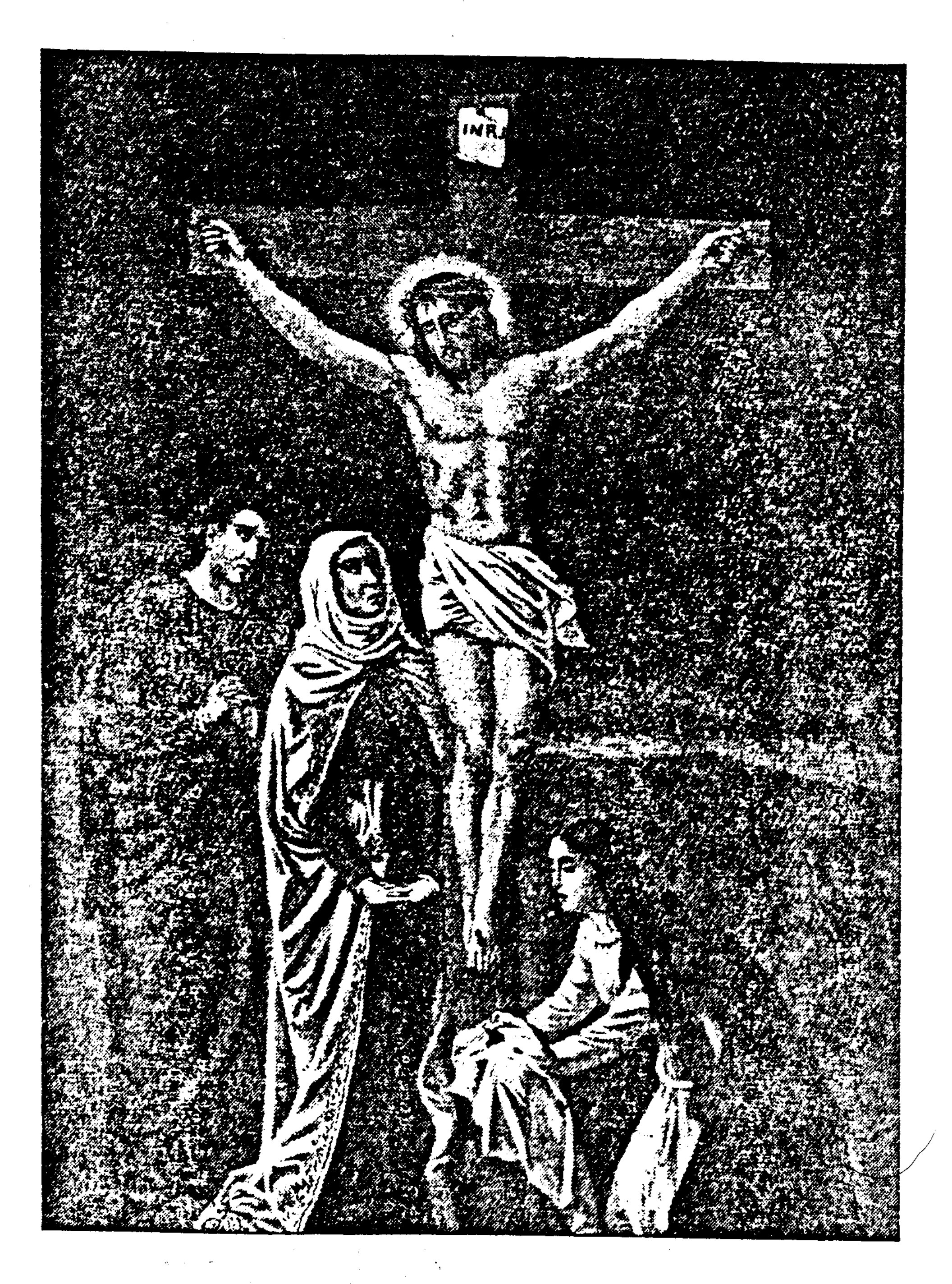
وحمل صليبه إلى الموضع الذى يسمونه « جلجثة » وهناك صلبوه ، وحينئذ صرخ يسوع قائلا « يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » وصلبوا معه لصين واحد عن يمينه والآخر عن يساره . وكتبوا فوقه « هذا هو ملك اليهود » ، واقتسموا ثيابه واقترعوا عليها . وراحوا يهزأون به قائلين « ياناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك » . وقال له أحد اللصين المصلوبين معه « إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وخلصنا » فانتهره اللص الآخر قائلا « أولا تخاف الله ، إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ، أما نحن فبعدل جوزينا لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يرتكب شراً » ثم التفت إلى يسوع قائلا « أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك » فقال له يسوع « الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » .

ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها . وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع قائلا «إلهى إلهى لماذا تركتنى» .ثم قال «أنا عطشان»



« السيد المسيح يحمل صليبه »

فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على قصبة ورفعوها إليه . وأخيراً نادى بصوت عظيم قائلا « يا أبتاه فى يديك أستودع روحى » ، ثم أسلم الروح . وحينئذ انشق حجاب الهيكل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت والأموات قامت وملأ الخوف قلوب الجنود الذين



« السيد المسيح على الصليب »

كانوا يحرسون يسوع ، فصرخوا قائلين « حقاً كان هذا ابن الله » . وراح المجتمعون كلهم من الفزع والندم يقرعون صدورهم .

ثم لكى لاتبقى الأجساد على الصليب فى السبت ، طلب اليهود من بيلاطس أن تكسر سيقان المصلوبين ويرفعوا . فكسر الجنود سيقان اللصين وأما يسوع فحين جاءوا إليه وجدوه قد مات ، فتقدم أحد الجنود وطعن جنبه بحربة فخرج منه دم وماء .

وفى المساء تقدم رجل من الرامة إسمه يوسف إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع ، فلما أذن له أنزل الجثمان ولفه بكتان ووضعه فى قبر جديد لم يوضع فيه أحد من قبل ، ثم دحرج حجراً كبيراً على بابه .

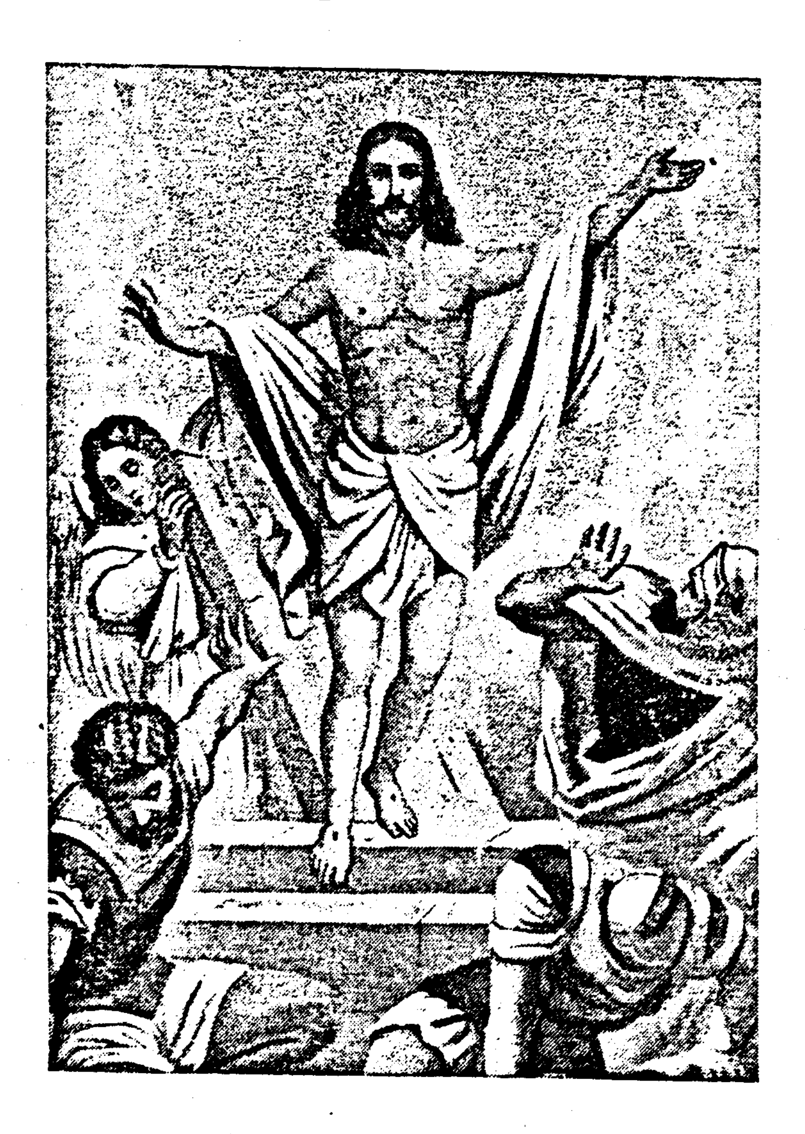
وفى الغد جاء رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس وقالوا « قد تذكرنا أن ذلك المضل قال إنى بعد ثلاثة أيام أقوم فمر بضبط القبر لئلا يأتى تلاميذه ويسرقوه، ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى » .

١١ — القيامة :

وفى فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب إلى القبر لتدهنا جسد يسوع بالطيب والحنوط فوجدتا الحجر مرفوعاً عن القبر ولم تجدا جسد يسوع فى مكانه ورأتا رجلا جالساً بثياب بيض ، فدهشتا وخافتا فقال لهما « لا تخافا فأن يسوع الذى تطلبانه قد قام . فاذهبا وقولا لتلاميذه» فانطلقتا فرحتين .

وفيما هما تركضان رأتا يسوع فخافتا وسجدتا له فقال لهما يسوع «لاتخافا واذهبا إلى إخوتى وقولا لهم أن يسبقونى إلى الجليل وهناك يروننى» فذهبتا

وقالتا للتلاميذ فلم يصدقوهما . حتى إذا كانت عشية ذلك اليوم ، كان التلاميذ مجتمعين والأبواب مغلقة فجاء يسوع ووقف فى وسطهم قائلا لهم



« قيامة السيد المسيح »

« سلام لكم » ، ثم أراهم يديه ورجليه وجنبه ، ففرحوا جداً إذ رأوا الرب . فقال لهم يسوع أيضاً « سلام لكم . كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا »

ثم نفخ وقال « إقبلوا الروح القدس » ثم قال لهم « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل يوم إلى انقضاء الدهر » .



« صعود السيد المسيح »

١٢ ـ الصعود :

وظهر يسوع بعد ذلك مراراً لتلاميذه . وبعد أربعين يوماً من قيامته اجتمع بهم على جبل الزيتون وراح يعلمهم ثم ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم .

* * * *

تحقق النبوءات

وبميلاد المسيح وموته وقيامته وصعوده تحققت نبوءات العهد القديم التى فاه بها الأنبياء قبل ذلك بأجيال طويلة :

فقد جاء فى نبوءات أشعياء النبى أنه «يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كفته ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلها قديراً أبا أبديا رئيس السلام » (أش ١١ : ١)

وجاء فى نبوءات أشعياء كذلك «ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ، ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب . ولذته تكون فى مخافة الرب ، فلا يقضى حسب نظر عينيه ،ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضى بالعدل للمساكين ،ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ،ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه ، ويكون البر منطقة متنيه ، والأمانة منطقة حقويه » (أش ١١ : ١) .

وعن ولادته من عذراء تقول نبوءات أشعياء : « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » (أش ٧ : ١٤)

وعن نشأته فى بيت لحم تقول نبوءات النبى ميخا : « أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على اسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» (مى٥ : ٢)

وعن آلامه جاء فى مزامير داوود النبى : «لأنه قد أحاطت بى كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يدى ورجلى . أحصوا كل عظامى. وهم ينظرون ويتفرسون فى . يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون» . (مز ٢٢ : ١٦) .

وجاء فى المزامير كذلك : « ويجعلون فى طعامى علقماً وفى عطشى يسقوننى خلا » (مز ٦٩ : ٢١) .

وجاء فى نبوءات أشعيـــاء : « بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين . وجهى لم أستر عن العار والبصق » (أش ٥٠ : ٦) .

وعن آلامه وموته جاء كذلك فى نبوءات أشعياء : « محتقر ومخذول من الناس . رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا . محتقر فلم نعتد به . ولكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها . ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولا ، وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه . وبحبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا . ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه ، كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه من الضغطة ومن الدينونة أخذ وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء . أنه ضرب من أجل ذنب شعبى وجعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته . على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن فى فمه غش . أما الرب فسر بأن يسحقه الحزن . أن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح . من تعب نفسه يرى ويشبع . وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها . لذلك أقسم له بين الاعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أثمه وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين » . (أش ٥٣ : ٩)

وعن قيامته جاء فى مزامير داوود النبى : « أنا اضجعت ونمت . إستيقظت لأن الرب يعضدنى » . (مز ٣ : ٥)

وعن صعوده جاء فى المزامير « صعدت إلى العلاء » (مز ٦٨ : ١٨) .

وثائق رسمية

والمسيحيون يستمدون سيرة السيد المسيح من الكتاب المقدس ومن أفواه رسله الذين رأوه وآمنوا به وبشروا العالم برسالته ، وكذلك من الوثائق التاريخية التى وجدت فى أوراق الولاة والملوك الذين عاصروه ، ومن أشهرها وثيقتان رسميتان :

١ — **الوثيقة الأولى** : أوردها المؤرخ يوسابيوس فى كتابه ، ذاكراً أن الملك ابجارا ملك « إيديسا » الذى كان يحكم الشعوب القاطنة وراء نهر الفرات اصيب بمرض عضال عجز عن شفائه الأطباء ، وقد انتهت إلى سمعه أنباء يسوع ومعجزاته ، فبعث إليه برسالة مع رسول خاص يدعوه للقدوم إليه . وقد نقل المؤرخ القديم نص هذه الرسالة كما نقل رد السيد المسيح عليها ، وما تلاها من أحداث ، من مستندات مملكة « إيديسا » وكانت محفوظة فى عصره فى السجلات العامة الرسمية المتضمنة أعمال ملوكها. وقد ورد فى هذه السجلات ما يلى :

الرسالة التى كتبها إبجارا الحاكم إلى يسوع ، وأرسلها إليه فى أورشليم على يد حنانيا ، الساعى النشيط :

« السلام من إبجارا حاكم إيديسا إلى يسوع المخلص السامى الذى ظهر فى مملكة أورشليم — لقد سمعت أنباءك وآيات الشفاء التى صنعتها بدون أدوية أو عقاقير ، لأنه يقال أنك تجعل العمى يبصرون والعرج يمشون ، وأنك تطهر البرص وتخرج الأرواح النجسة والشياطين، وتشفى المصابين بأمراض مستعصية وتقيم الموتى — وإذ سمعت كل هذه الأمور عنك ، إستنتجت أحد أمرين كلاهما صحيح فأما أنك أنت الله هبطت من السماء ، وإما أنك ابن

الله إذ تصنع هذه الأمور ـ لذلك كتبت إليك راجيا أن تكلف نفسك مشقة المجيء إلى ، لتشفيني من المرض الذى أعانيه،لأنى سمعت أن اليهود يتآمرون عليك لإيذائك ، ولدى مدينة جميلة ، تتسع لكلينا على صغرها »

ثم وردت بعد ذلك إجابة السيد المسيح على الحاكم إيجارا بيد الرسول حنانيا :

« طوبى لك يامن آمنت بى دون أن ترانى . لأنه مكتوب عنى أن الذين رآونى لا يؤمنون بى ، أما الذين لم يرونى فيؤمنون ويخلصون . أما عن مجيئى إليك ، فأنى مضطر أن أتمم هنا الرسالة التى جئت من أجلها. وبعد ذلك أعود إلى الذى أرسلنى . على أنه بعد صعودى سأبعث إليك بأحد تلاميذى ليشفى مرضك ، ويعطى حياة لك ولآلك » .

وقد ورد بعد ذلك فى السجلات بيان مؤداه أن يسوع بعد صعوده أرسل يهوذا الذى يدعى تداوس أحد السبعين رسولا إلى إيجارا ، فشفاه من مرضه ، كما شفى كثيرين غيره وبشرهم بالمسيح .

٢ ـ والوثيقة الثانية : هى تقرير رفعه يوليوس والى الجليل إلى قيصر روما تيباريوس ، وقد أورده يوستينوس وترتيليانوس من علماء القرن الثانى ، وقد جاء بهذا التقرير :

« إنه يوجد أيها القيصر فى عصرنا هذا رجل اسمه يسوع يسير على مقتضى الفضيلة العظمى ، ويتخذه الشعب نبياً ، ويقول تلاميذه أنه ابن الله خالق السموات والأرض . والحق أننا نسمع يامولاى عن يسوع هذا أموراً عجيبة ، فأنه يقيم الموتى ويشفى المرضى بكلمة واحدة — وهو إنسان معتدل القامة ، جميل الصورة ، ذو هيبة كاملة البهاء ، حتى ليضطر من ينظر

إليه ان يحبه ويخافه ، وقد استرسل شعره ، مغطياً أذنيه ثم منسدلا على كتفيه ، فى لون رمادى ولكنه يشع منه الضياء ، وجبينه متسع أغر ، شأن كل الناصريين ، ووجهه مستو لا غضون فيه ، وأنفه معتدل ، وفمه بلا عيب ، وعيناه تشعان كالشمس ، فلا يمكن لإنسان أن يحدق فيهما . وإذا عنف أرهب . وإذا وعظ أبكى . وهو يبدو فرحاً وإن كانوا يقولون أنهم ما رأوه ضاحكاً قط . وبكلامه يأسر الكثيرين . وبه شبه كبير من أمه التى هى أجمل نساء هذه النواحى — فأن كنت تحب يامولاى أن تراه ، فأنبئنى وأنا أرسله إليك فى الحال — فضلا عن أنه أذهل أورشليم كلها بمعرفته ، لأنه يستوعب كل العلوم ، رغم أنه لم يدرس منها شيئاً البتة . والحق أن الناس ما سمعوا قط مثل ما سمعوا من يسوع هذا ولذلك فأن كثيرين من علماء اليهود يعتبرونه إلهاً ، فى حين أن كثيرين يبغضونه قائلين أنه ينقض شرائع جلالتكم ، ولذلك أشعر بالقلق من كلام أولئك العبرانيين . فى حين أننى أسمع أنه ما أساء إلى أحد قط ، وإنما على العكس يقول أولئك الذين عرفوه واختبروه أنهم حصلوا منه على نعمة عظيمة وصحة كاملة — وإننى لأعبر عن طاعتى لجلالتكم واستعدادى لتنفيذ أوامر عظمتكم »

البحث الثانى

رسل السيد المسيح

أعمال الرسل

بعد أن صعد يسوع إلى السماء ، عاد تلاميذه إلى أورشاليم وظلوا بها ، امتثالا لأمره إذ قال لهم «أقيموا فى أورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعالى» وهنالك صعدوا إلى العلية التى كانوا يقيمون بها وراحوا جميعاً يواظبون على الصلاة والابتهال مع النساء ومريم أم يسوع وإخوته، وفى هذه الأثناء انتخب التلاميذ متياس ليحل محل يهوذا الأسخريوطى .

وفى يوم الخمسين كانوا يصلون جميعاً بحرارة ، فانطلق فجأة صوت من السماء كهبوب الريح العاصفة وملأ البيت كله ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم فامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بلغات مختلفة ، وكان هنالك يهود من كل أمة فبهتوا مما رأوا وسمعوا وآمن كثيرون وقد عمد التلاميذ فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس .

ثم بدأ تلاميذه ـ وقد امتلأوا من الروح القدس ـ يصنعون من الآيات والعجائب ما كان يسوع يصنعه : ففيما كان بطرس يدخل الهيكل رأى رجلا مقعداً يستجدى فقال له : « ليس لى فضة ولا ذهب ولكن الذى لى فأياه أعطيك . باسم يسوع المسيح الناصرى قم وامش » فقام ومشى . ومر فى

موضع آخر برجل مفلوج ومطروح علي فراشه منذ ثماني سنوات إسمه إينياس فقال له : « يا إينياس يشفيك يسوع المسيح » فشفي وقام في الحال . وكان في يافا صبية اسمها طابيثا ، مرضت وماتت ، فأرسلوا يطلبون بطرس فجاء وجثا على ركبتيه وصلى ثم التفت إلى الصبية المسجاة وقال « يا طابيثا قومي » ففتحت عينيها وقامت ، فآمن كثيرون ، وكانوا يحملون المرضى في الشوارع ويضعونهم في طريق بطرس حتى إذا جاء يخيم ولو ظله عليهم . فاغتاظ رؤساء الكهنة وأمسكوا بطرس وألقوه في السجن .

وكان اسطفانوس يصنع آيات وعجائب عظيمة فهيجوا الشعب عليه وأخذوه إلى خارج المدينة وراحوا يرجمونه وهو يدعو قائلا : « أيها الرب يسوع إقبل روحي » حتى رقد أخيراً ومات . وفي ذلك اليوم حدث اضطهاد عظيم لكل الذين آمنوا بيسوع ، فراح اليهود وعلى رأسهم رجل اسمه شاول يدخلون البيوت ويخطفون الرجال والنساء ويلقون بهم في السجون .

وكان شاول ممتلئاً حقداً علي المسيحيين ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق ليقبض عليهم ويسوقهم موثقين إلى أورشليم . وفيما هو في الطريق وقد اقترب من دمشق أبرق حوله بغتة نور من السماء فسقط على الأرض وقد عميت عيناه وسمع صوتاً يقول له : «شاول ،شاول لماذا تضطهدني » فقال «من أنت ياسيد ؟ » فقال « أنا يسوع الذى أنت تضطهده»فقال وهو يرتعد «يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ » فقال له « قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل » . وفي دمشق أرسل إليه الرب تلميذاً اسمه حنانيا قائلا له في رؤيا « إذهب إليه لأنه إناء مختار ليحمي اسمي أمام أمم وملوك بني اسرائيل » . فمضى ووضع عليه يديه فللوقت وقع من عينيه شيء كالقشور فأبصر في الحال وقام واعتمد وللوقت جعل يكرز في المجامع

المسيح فتشاور اليهود ليقتلوه فأخذه التلاميذ ليلا وأنزلوه من السور ورحل إلى أورشليم وراح هنـــاك يجاهر باسم يسوع . فحاولوا أن يقتلوه فأخذه الأخوة وأرسلوه إلى طرسوس .

وقد اشتد هيرودس الملك على المسيحيين فقتل يعقوب أخا يوحنا وسجن بطرس وعذب سائر الرسل وأهانهم ، ولكن هؤلاء احتملوا كل صنوف العذاب والإهانة بل والموت فى سبيل نشر دعوة الخلاص وتبشير كل الأمم بقيامة السيد المسيح ، فأسســوا كثيراً من الكنائس المسيحية فى السامرة والجليل وفينيقية والشام وأنطاكية. ولم يمض القرن الأول حتى كانوا قد ابشروا معظم أقطار المسكونة وأسسوا كنائس فى كل مكان . وكتبوا الأناجيل، والرسائل التى بعثوا بها إلى الأمم فكانت هى الشعلات التى أضاءت ســبل الإيمان بالمسيح وأصبحت نصوصها هى شريعة المسيحيين فى كل العصور .

فمن الرسل أربعة كتبوا الأناجيل التى تسمى كذلك بالبشائر . وخمسة كتبوا الرسائل . والباقون اقتصروا على التبشير ونشر الدعوة فى كل أنحاء العالم . وهذه كلمة موجزة عن البارزين منهم :

١ – متى البشير :

ويدعى لاوى بن حلفى . وكان من العشارين أى جباة العشور – وهى الضرائب – فى كفرناحوم . وقد كان من أوائل من اختارهم المسيح ، إذ مر به وقال له اتبعنى فترك كل شىء وقام وتبعه . ثم اختاره يسوع بعد ذلك ضمن الإثنى عشر تلميذاً وبعد صعود السيد المسيح طلب إليه المؤمنون أن يكتب لهم الإنجيل باللغة الآرامية فأجابهم إلى طلبهم . وقد بشر فى فلسطين . وفى

صور وصيدا ، ثم انطلق إلى بلاد الحبشة وصنع بها عجائب كثيرة فآمن على يديه كثيرون ، ومن ثم أطلق الملك عليه جنوده فأمسكوه وضربوه ضرباً مبرحاً حتى مات شهيداً .

٢ - مرقس البشير :

واسمه يوحنا وأما مرقس فلقبه . وأصله من اليهود القاطنين بالخمس مدن الغربية فى شمال أفريقيا ، وقد هاجر أبواه إلى فلسطين موطن أجدادهما وأقام فى أورشليم . وكان مرقس من أوائل الذين آمنوا بالمسيح فاختاره ضمن السبعين رسولا ، وكان يتردد على بيته ، ويقال أنه أكل الفصح عنده مع تلاميذه ، وأن فى بيته حل الروح القدس على التلاميذ . وقد بشر فى أنطاكية وآسيا الصغرى والخمس مدن الغربية ، ثم قصد إلى مصر فأسس كنيستها وكان أول بطريرك لها ، ثم غادرها إلى روما حيث وقع فى الأسر مع بولس . وقد كتب إنجيله باللغة اليونانية ، كما وضع القداس الذى اقتبس منه بعد ذلك القديسون باسيليوس وغريغوريوس وكيرلس . ثم عاد إلى الإسكندرية فأسس فيها أول مدرسة لاهوتية، وبنى كنيسة فى بوكاليا بالقرب من شاطىء البحر ، وراح يدعو للإيمان بالمسيح فقام عليه الوثنيون وراحوا ينكلون به ويعذبونه حتى مات شهيداً .

٣ - لوقا البشير :

وقد ولد فى أنطاكية ودرس الطب ومارسه . وكان مرافقاً لبولس الرسول فى أسفاره وخاصة فى روما . وقد كتب إنجيله باليونانية ، كما كتب أعمال الرسل ، ومات شهيداً فى مدينة يتراس .

٤ - يوحنا البشير :

وقد ولد فى بيت صيدا من أعمال الجليل وهو ابن زبدى وسالومى

وأخو يعقوب ، وكانت أمه أخت العذراء مريم ، وكان يعمل هو وأخوه مع أبيهما زبدى فى صيد السمك ، فأمرهما السيد المسيح أن يتبعاه فتركا أباهما وتبعاه ، وقد دعاهما السيد « بوانرجس » أى إبنى الرعد لشدة غيرتهما وعظيم إيمانهما ، وكان يوحنا ويعقوب وبطرس مع السيد المسيح عند إقامة إبنة يايروس وفى حادثة التجلى وفى بستان جثيمانى وعند التنبؤ بخراب الهيكل ، وقد انفرد يوحنا فى الإنجيل بالنص على أن يسوع كان يحبه ، كما انفرد بالاتكاء على صدره ليسأل عمن يسلمه . وهو الذى أمره السيد مع بطرس باعداد الفصح وهو وحده الذى كان يسير دون خوف أثناء محاكمة يسوع . وقد رافقه عند الصلب فسلمه السيد والدته إذ قال لهـا : « يا إمرأة هوذا إبنك » ، ثم قال ليوحنا « هوذا أمك » ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته . وبعد القيامة وحلول الروح القدس اشترك يوحنا مع بطرس فى إقامة المقعد عند باب الهيكل ، وفى الذهاب إلى السامرة لوضع الأيدى على المؤمنين بها فحل عليهم الروح القدس . وقد مضى يوحنا إلى بلاد آسيا الصغرى وبدأ عمله فى مدينة أفسس ، وقد أخذ السيدة العذراء معه ، وهناك أقام طفلا ميتاً فآمن أهل المدينة على يديه وقد رسم لهم كهنة وأساقفة يتولون رعايتهم وكان يخرج من أفسس إلى نواح أخرى فى آسيا لنشر الدعوة وأسس كنائس كثيرة فى تلك البقاع . ثم حكم عليه بالنفى فى عهد الإمبراطور دومتيانوس إلى جزيرة بطمس وهناك كتب سفر الرؤيا. وبعد قتل دومتيانوس سنة ٩٦ ميلادية رجع يوحنا إلى أفسس ، وهناك كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية. وكانت تسود كل كتاباته روح المحبة ، حتى أنه حين تقدمت به السن جداً وأقعدته الشيخوخة عن السير كانوا يحملونه إلى الكنيسة ويرفعون يديه ليقول كلمة واحدة هى « يا أبنائى أحبوا بعضكم بعضاً » . ومات وقد تجاوز المائة من عمره ودفن بالقرب من مدينة أفسس .

٥ ـ بولس الرسول :

وقد ولد فى طرسوس بآسيا الصغرى من أبوين يهوديين ، وكان مكتسباً الرعوية الرومانية ، حتى إذا أكمل تعليمه بطرسوس أرسل لأورشليم ، حيث تضلع فى الناموس على يد غمالائيل أشهر علماء اليهود فى عصره وكان فى بداية الأمر معادياً للمسيحيين — وهو الذى كان يسمى شاول — حتى ظهر له يسوع وهو فى طريقه إلى القبض عليهم وصنع معجزة معه فآمن ، وأصبح من أشد المبشرين غيرة وإخلاصاً ، وقد خصص لتبشير الأمم ، ومع أنه لم يكن من الإثنى عشر أو من السبعين رسولا ، فقد قام بأعظم عمل تبشيرى فى تاريخ المسيحية ، وقد طاف بلاد آسيا الصغرى واليونان وإيطاليا متنقلا بين قبرص وأنطاكية وأفسس وبسيدية وأيقونية ولسترة ودرنة وكيليكية وليكاؤونية وغلاطية وتراوس وفيلبى وتسالونيكى وبيرية وأثينا وكورنثوس وروما . ويقال أنه بلغ أسبانيا وبلاد غالة أى فرنسا وانجلترا وأقصى تخوم الغرب وأسس عدة كنائس فى آسيا وأوروبا وكان يواليها بالزيارة . وقد تحمل فى سبيل ذلك اضطهادات كثيرة حتى استشهد أخيراً فى روما على عهد نيرون سنة ٦٨ ميلادية . وقد كتب أربع عشرة رسالة باللغة اليونانية .

٦ ـ يعقوب الرسول :

وهو يعقوب بن حلفى أخو متى البشير ويدعى بالصغير تمييزاً له عن يعقوب بن زبدى أخى يوحنا الإنجيلى . وكان لاشتهاره بالطهارة يعرف بيعقوب البار . وكانت أمه تدعى مريم ، وهى أخت العذراء وزوجة كلوبا وقد كانت واقفة من بعيد مع الأخريات عند الصليب بين اللوانى تبعـ

يسوع من الجليل وكن يخدمنه ، وقد تكون هى « مريم الأخرى » التى كانت جالسة مع المجدلية عند القبر حين دحرج الحجر عن بابه . وكان يعقوب مع التلاميذ فى العلية بعد صعود السيد المسيح ، وهو أحد التلاميذ الإثنى عشر ، وأول أسقف على مدينة أورشليم ورئيس أول المجامع المسيحية . وهو الذى كتب الرسالة التى تحمل اسمه . وقد استاء رئيس كهنة أورشليم من انتشار المسيحية على يد يعقوب فأجبره على الصعود فوق جناح الهيكل كى يشهد أمام اليهود ضد المسيح فوقف وقال لهم : « إن يسوع جالس الآن فى الأعالى عن يمين الرب » . فألقوه من فوق جناح الهيكل ثم رجموه حتى مات شهيداً فى نحو سنة ٦٢ ميلادية ودفن حيث مات بقرب الهيكل .

٧ – بطرس الرسول :

وهو سمعان بطرس من مدينة صيدا الواقعة على بحيرة طبرية . وكان أخوه أندراوس تلميذاً ليوحنا المعمدان ، فسمع شهادة يوحنا عن يسوع ، فذهب إليه وخاطبه قائلا « أنت هو المسيح ابن الله الحى » فقال له يسوع « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى » وقد اختاره ضمن الإثنى عشر تلميذا ، وهو الذى طلب إليه يسوع أن يعد مع يوحنا عشاء الفصح قبيل تسليمه لليهود . وحين جاء جنود رؤساء الكهنة والفريسيين للقبض على يسوع استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه ، وكان ضمن الذين ذهبوا باكراً إلى القبر بعد قيامة السيد المسيح وقد ظهر له السيد عند بحيرة طبرية . وعندما حل الروح القدس على التلاميذ خطب فى الجموع فاجتذب إلى المسيحية ثلاثة آلاف نفس ، ثم جرت على يديه المعجزات فشفى المقعدين وأقام الموتى ، فلما رأى الناس العجائب التى يصنعها كانوا يأتون بالمرضى

ليخيم ولو ظله عليهم فيشفيهم . ثم زج به هيرودس ملك اليهود فى السجن. ثم بعد إطلاق سراحه ذهب ليبشر فى أنطاكية ورسم أسقفاً عليها ، كما بشر فى بنطس وغلاطية وكبادوكية وبثينية فى آسيا الصغرى ، وبابيلون - أى



« القديسان بطرس وبولس »

مصر - حيث التقى بالرسول مرقس وكتب هنالك رسالته الأولى . ثم ذهب إلى قيصرية وكورنثوس ، ثم ذهب أخيراً إلى روما حيث التقى بالرسول بولس وكان قد سبقه إليها ، فلما انتشرت المسيحية فى روما بواسطتهما فزع الإمبراطور نيرون وأمر بالقبض عليهما ، وقد حكم على بطرس بالصلب

فأبى أن يصلب بالطريقة التى صلب بها سيده ، وطلب أن يصلبوه منكساً ، وكان ذلك فى سنة ٦٥ ميلادية . وله رسالتان .

٨ – يهوذا الرسول :

ويدعى كذلك لباوس ولقبه تداوس وهو ابن حلفى وأخو يعقوب ويوسى وسمعان ، وهو أحد الإثنى عشر تلميذاً . وقد بشر فى اليهودية والسامرة والجليل والآدوم الواقعة بين البحر الميت وخليج العقبة ، وبلاد العرب وسوريا والعراق. ويقول تاريخ الأرمن القديم أن تداوس هو أول من بشر بالمسيحية فى بلادهم . وأخيراً استقر فى بلاد الفرس حيث مات شهيداً. وهو الذى كتب رسالة يهوذا التى تتضمنها أعمال الرسل .

٩ – متياس الرسول :

وقد ولد فى بيت لحم ، واختاره يسوع ضمن السبعين رسولا ، ثم اختير مع التلاميذ الأحد عشر بعد صعود المسيح بدلا من يهوذا الأسخريوطى. وقد بشر فى فلسطين وكبادوكية ، من أعمال آسيا الصغرى، ثم عاد إلى أورشليم فقام عليه اليهود ورجموه بالحجارة حتى مات . وكان ذلك فى نحو سنة ٦٨ ميلادية .

١٠ – فيلبس الرسول :

وقد ولد فى بيت صيدا بالجليل . وقد اختاره المسيح قائلا له « اتبعنى » فتبعه ، ثم جعله ضمن الإثنى عشر تلميذاً. وبعد صعود السيد المسيح انطلق يبشر فى أفريقيا حيث آمن على يديه كثيرون ، ثم ذهب إلى هيرابوليس بآسيا الصغرى ، وصنع هناك عجائب كثيرة ، إلا أن الوثنيين حنقوا عليه

وعذبوه عذاباً أليماً ثم صلبوه منكساً ودفن فى هيرابوليس بالقرب من لادوكية .

١١ - برثلماوس الرسول :

وهو ذاته نثنائيل ، وهو من قانا الجليل ، وقد ذهب مع فيلبس ليرى المسيح ، فلما رآه يسوع مقبلا إليه قال عنه : « هوذا إسرائيلى حقاً لا غش فيه » وقد اختاره بعد ذلك ضمن الإثنى عشر تلميذاً . وكان هو أحد السبعة الذين ظهر لهم المسيح بعد قيامته عند بحيرة طبرية . وبعد حلول الروح القدس عليه مع التلاميذ انطلق ليبشر فى آسيا الصغرى ، فدخلها بحيلة إذ باع نفسه كعبد، واشتغل فى زراعة الكروم مع سيده الذى اشتراه ، وهنالك بدأ يصنع العجائب ويشفى المرضى ويقيم الأموات . ثم ذهب بعد ذلك إلى بلاد الهند واليمن ، وأخيراً عاد إلى بلاد الأرمن وبشر فيها ، فثار عليه كهنة الأوثان فى لوكانيا بالقرب من بحر قزوين ، فصلبوه ثم سلخوا جلده وقطعوا رأسه ثم وضعوه فى غرارة وألقوه فى البحر .

١٢ - سمعان الرسول :

وهو الملقب سمعان القانوى نسبة إلى قانا الجليل، ويدعى كذلك بالغيور ، وقد اختاره المسيح ضمن الإثنى عشر تلميذاً . وقد بشر فى أفريقيا وبريطانيا وفارس . وحين كان فى هذه الأخيرة مع يهوذا الرسول تآمر الكهنة عليهما وحرضوا الشعب على قتلهما فنشروا سمعان من وسطه بمنشار وقطعوا رأس يهوذا .

١٣ - أندراوس الرسول :

هو أخو بطرس الرسول ، وكان تلميذاً ليوحنا المعمدان ، ولما سمع

عن يسوع ذهب إليه وبقى معه يوماً كاملا ، ثم حدث أخاه بطرس عنه قائلا له « قد وجدنا مسيا » الذى تفسيره المسيح . وقد اختاره المسيح ضمن الإثنى عشر تلميذاً . ثم بعد صعود المسيح وحلول الروح القدس بشر اندراوس فى فارس وبيزنطية أى الاستانة وخائية ومكدونية أى اليونان . وحين كان فى مدينة بتراس اليونانية،قبض عليه الوالى وأوسعه ضرباً ثم طاف به عرياناً فى المدينة ثم صلبه على صليب خاص سمى بعد ذلك صليب مار اندراوس ، وقد ظل معلقاً عليه يومين حتى فاضت روحه . ويقال إن زوجة الوالى مكسيميانه آمنت وهو على الصليب وأخذت جسده وكفنته ودفنته فى قبر عظيم .

١٤ ـ توما الرسول .

ويسمى كذلك ديديموس وقد ولد فى الجليل ، وقد اختاره المسيح ضمن الإثنى عشر تلميذاً . وقد أظهر حبه للمسيح فى مواقف كثيرة ،منها أنه حين أعلن السيد رغبته فى الذهاب إلى اليهودية لإقامة لعازر من الموت خشى عليه تلاميذه من اليهود فقال توما « لنذهب نحن أيضاً لنموت معه » ولكنه حين قام المسيح من بين الأموات لم يكن مع التلاميذ حين جاء يسوع فقال له التلاميذ الآخرون « قد رأينا الرب » فقال لهم « إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع أصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أؤمن » وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضاً داخلا وتوما معهم فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف فى الوسط وقال « سلام لكم » . ثم قال لتوما « هات إصبعك إلى هنا وابصر يدى . وهات يدك وضعها فى جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا » فأجاب توما وقال له « ربى وإلهى »، كما ظهر له يسوع مرة أخرى مع التلاميذ عند بحيرة طبرية . وبعد حلول الروح القدس عليه بشر فى اليهودية

وفارس والحبشة والصين والهند وفى هذه الأخيرة قام عليه عبدة الأوثان وقتلوه طعناً بالحراب ودفن فى مليابور . وقد أقام البرتغاليون بالقرب من قبره مدينة سموها « سان توما » أى القديس توما .

١٥ ـ يعقوب الرسول

هو يعقوب بن زبدى أخو يوحنا الإنجيلى ، ويلقب بيعقوب الكبير تمييزاً له عن يعقوب بن حلفى ، وهو من بيت صيدا بالجليل ، وأمه سالومة أخت السيدة العذراء مريم ، وكان من أخصاء يسوع مع بطرس ويوحنا، وكان يسوع يسميه مع أخيه بوانرجس أى ابنى الرعد، وبعد صعود السيد بشر فى اليهودية والسامرة فى فلسطين إلى حين استشهاد اسطفانوس ، ثم انطلق فبشر فى أسبانيا ، وبنى بها كنيسة على اسم السيدة العذراء، ثم عاد إلى أورشليم فقبض عليه هيرودس وقطع رأسه بالسيف . ويقول إكليمنضوس الإسكندرى الذى عاش فى الجيل الثانى « إن الرجل الذى وشى بيعقوب واقتاده إلى ساحة الإعدام تأثر حين رأى قوة إيمانه ورباطة جأشه فتاب واستغفر واعترف بأنه مسيحى فقبله يعقوب وباركه وقطع الجلاد رأس الإثنين معاً » وكان ذلك سنة ٤٤ ميلادية فكان يعقوب بذلك أول من استشهد من الرسل ويقال أن جسده نقل إلى أسبانيا حيث يعتبرونه شفيع كنيستها .

* * *

وهكذا نرى أن جميع الرسل تقريبا استشهدوا وماتوا أشنع ميتة فى سبيل التبشير بيسوع الذى تبعوه وآمنوا بدعوته وقيامته بعد موته، ونشروا رسالته فى كل أنحاء العالم ، وبذلك تحققت نبوءة مزمور داوود النبى القائل « فى كل الأرض خرج منطقهم ».

خلفاء الرسل

حين كان الرسل يبشرون بالمسيح فى البلاد ويكثر المؤمنون على أيديهم ، كانوا يقيمون لهم أساقفة ويكلفونهم بأن يرعوهم كما قال بولس الرسول لأساقفة أفسس : « إحترزوا لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أع ٢٠:٢٨)

وقد وردت الشروط الواجب توافرهـا فى الأساقفة فى رسـالة بولس الرسول إلى تيطس ، إذ قال له : « يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله غير معجب بنفسه ولا غضوب ولا مدمن الخمر ولا ضراب ولا طامـع فى الربح القبيح ، بل مضيفاً للغرباء محباً للخير متعقلا باراً ورعاً ضابطاً لنفسه ملازماً للكلمة الصادقة التى بحسب التعليم لكى يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين » (تيط ١ : ٧) .

وقد منح الرسل أولئك الأساقفة سلطة إقامة القسوس كما قال بولس الرسول فى رسالته السالفة الذكر إلى تلميذه تيطس : « تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم فى كل مدينة شيوخاً كما أوصيتك » (تيط ١ : ٥) .

كما منحوهم سلطة إقامه شمامسة . وقد وردت الشروط الواجب توافرها فى الشمامسة فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس إذ قال له : « يجب أن يكون الشمامسة ذوى وقار لا ذوى لسانين ، غير مولعين بالخمر الكثير ولا طامعين بالربح القبيح ولهم سر الإيمـان بضمير طاهر » (تيمو ٣ : ٨ – ١٢) .

وأشهر الأسقفيات التى أقيمت فى العالم المسيحى وما زالت قائمة حتى اليوم

أسقفيات أورشليم والإسكندرية وأنطاكية وروما . وسنتحدث عن كل منها فيما يلى ، ثم نتبعها ببعض الأسقفيات التى لم تعد قائمة بعد :

١ — أسقفية أورشليم :

كانت أورشليم هى مركز الإشعاع فى بشارة السيد المسيح . وقد اختصها فى كلامه الأخير قبل صعوده إلى السماء بقوله : « تكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقاصى الأرض » ، ولذلك فقد اعتبرت كنيستها أم الكنائس .

وكان أول من أقيم أسقفاً لأورشليم هو يعقوب البار ، تلميذ السيد المسيح ، وقد اعتبر علماء الكنيسة الأوائل ذلك تكريماً له ، إذ قال يوسابيوس نقلا عن إكليمنضوس الإسكندرى « إن بطرس ويعقوب ويوحنا ، وقد كانوا مميزين من الرب لم يتخاصموا على المجد معاً بعد صعود المخلص ، بل انتخبوا يعقوب الصديق أسقفاً على أورشليم » . حتى إذا قتل اليهود يعقوب خلفه أخوه سمعان ، أحد السبعين رسولا ، وقد قبض عليه الإمبراطور تراجان وجلده بالسياط ثم أمر بصلبه فمات شهيداً سنة ١٠٧ ميلادية.

وما زال كرسى أورشليم قائماً حتى اليوم .

٢ — أسقفية الإسكندرية :

إمتازت أرض مصر بمجىء السيد المسيح فى طفولته إليها ، ثم مجىء رسله بطرس ومرقس وسمعان القانوى ، وقد كان مرقس الرسول هو الذى أسس كنيسة الإسكندرية سنة ٦٢ ميلادية ورسم أول أسقف لها وهو إنيانوس ومعه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة ، وبذلك تم قول أشعياء النبى « فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر .. ويعرف



البابا كيرلس السادس

خليفة مرقس الرسول وبطريرك الإسكندرية ورأس الكنيسه القبطية

المصريون الرب فى ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة » (أش ١٠ : ١٩ – ٢١) .

ومازال كرسى الأسكندرية من أبرز الكراسى الرسولية فى العالم المسيحي ، وقد اشتهر بمحافظته على كل تقاليد الكنيسة الأولى . ويجلس على كرسى الإسكندرية اليوم البابا كيرلس السادس بطريرك الكرازة المرقسية ورأس الكنيسة القبطية .

٣ — أسقفية انطاكية :

بدأت المسيحية تدخل أنطاكية بعد استشهاد اسطفانوس ، ثم دخلها برنابا ، كما ذهب إليها بولس وبطرس ، ورسم لها أغناطيوس الملقب بالثيؤفورس أسقفاً للمسيحيين الذين من أصل يهودى ، وأفوريوس المسيحيين من الأمم أى الذين ليسوا من أصل يهودى .

وقد قبض الإمبراطور تراجان على أغناطيوس وأرسله مقيداً بالسلاسل إلى روما لكى يلقى هنالك للوحوش . فلما وصل إلى أزمير كتب إلى المسيحيين فى روما رسالة يخبرهم فيها أنه قادم ليموت فى مدينتهم ويطلب إليهم ألا يحزنوا من أجله قائلا لهم : « إننى أشتهى الاستشهاد لكي أظهر ذاتى مسيحياً لا بالقول فقط بل بالفعل » . فلما وصل إلى روما قابلوه باكين وجاثين على ركبهم فصلى معهم ثم حمله الجند للوحوش فانقضوا عليه ولم يتركوا منه إلا عظاماً ، وقد جمعها المؤمنون وأرسلوها إلى أنطاكية . وكان ذلك سنة ١١٥ ميلادية .

٤ — أسقفية روما :

دخل الدين المسيحى إلى روما عن طريق بعض أهلها الذين من أصل يهودى ، وكانوا يزورون أورشليم فعادوا منها بأيمانهم الجديد . وقد كتب

بولس الرسول إلى أولئك رسالته إلى رومية نحو سنة ٥٨ ميلادية ثم ذهب الى روما بنفسه ، وأقام عليها الأسقف لينوس ، وقد خلفه أنيكليتوس ، ثم إكليميس وهو إكليمنضوس الروماني ، وكان عضواً فى مجلس الشيوخ الرومانى فنفاه الإمبراطور تراجان الى شبه جزيرة القرم ، وهناك وضعوا فى عنقه مرساة وطرحوه فى البحر فمات شهيداً نحو سنة ١٠٠ ميلادية .

٥ — أسقفية أفسس :

وقد بدأ البشارة فى أفسس بولس الرسول ، ومن الأساقفة الذين أقامهم عليها تيموثاوس الذى كتب له بولس رسالتين من رسائله ، وقد قام عليه اليونان واليهود وظلوا يضربونه حتى مات سنة ٩٧ ميلادية ، ونقل جسده إلى القسطنطينية فى عهد قسطنطين الكبير . كما ذهب الرسول يوحنا الى أفسس وذكرها فى رؤياه .

٦ ـ أسقفية أزمير :

وقد بدأ البشارة فى أزمير يوحنا الرسول وأقام عليها بوليكريس أسقفاً وخاطبه فى رؤياه قائلا « كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة » ، وفعلا ظل أميناً إلى أن مات شهيداً .

٧ ـ أسقفية أثينا :

وقد كانت أثينا من أوائل البلاد التى قصدها الرسل للتبشير فيها وأقاموا بها أساقفة . ومن أشهر أولئك الأساقفة ديوناسيوس الأثينى ، وهو عالم يونانى قصد إلى الإسكندرية فى شبابه ليتبحر فى العلوم الفلكية ، وفى أثناء رصده النجوم والكواكب فى يوم من الأيام انكسفت الشمس فى رابعة النهار ، وكان القمر فى ذلك الوقت بدراً ، مما يخالف قوانين الطبيعة لأن

الشمس لا تنكسف إلا والقمر فى المحاق ، فصرخ قائلا « إما أن إله الطبيعة يتألم أو أن العالم قد قارب نهايته » . ثم دون هذا الحادث فى مذكراته ، حتى إذا عاد إلى أثينا سمع خطاب بولس الرسول فى أريوس باغوص عن الإله الآب ، وعن إبنه الذى خلص العالم بموته ، والذى اظلمت الشمس وقت آلامه ، فتذكر ما رآه وآمن بيسوع واعتمد من بولس الرسول ، وأقامه بولس أسقفاً على أثينا ، فعمل بها حيناً ثم انطلق يعمل فى روما مع أسقفها إكليمنضوس ، ثم غادرها ليبشر فى بلاد الغال ــ أى فرنسا ــ حتى إذا بلغ باريس قبض عليه الوثنيون هو واثنين من تلاميذه وعذبوهم عذاباً أليماً ، حتى إذا تمزق لحم ديوناسيوس وكان قد بلغ المائة من عمره ، علقوه على صليب فراح يعظ الناس وهو معلق عليه حتى فاضت روحه .

٨ ــ أسقفية ليون .

من أشهر أساقفة ليون إيريناوس تلميذ بوليكربس أسقف أزمير. وقد اعتنق المسيحية على يديه كثيرون . فلما سمع الإمبراطور سافيروس بذلك أمر بقتل كل من اعتنق المسيحية ، ومن ثم وقعت مذبحة عظيمة راح ضحيتها نحو تسعة عشر ألف نفس، وكان إيريناوس من أوائل من استشهدوا فى هذه المذبحة سنة ٢٠٣ ميلادية .

٩ ــ أسقفية قرطاجنة :

كان لأسقفية قرطاجنة فى عصر الأباطرة الوثنيين شأن كبير وخاصة على يدى القديسين ترتليانس وكبريانس . وقد اشتهر ترتليانس برسائله التبشيرية ومؤلفاته الجدلية الرائعة ، وأما كبريانس فقد استشهد فى عهد الإمبراطور فاليريان سنة ٢٥٧ ميلادية .

البحث الثالث

الكتاب المقدس

أسفار الكتاب المقدس

وردت سيرة السيد المسيح وأعمال رسله فى الكتاب المقدس ، وهو ينقسم إلى قسمين رئيسيين : العهد القديم . والعهد الجديد .

١ ـ العهد القديم :

أما العهد القديم فيشمل أخبار العالم منذ بدء الخليقة ، ويتضمن تاريخ اليهود ، وملوكهم ، وشرائعهم ، وأنبيائهم ، وما تنبأوا به . وهو يضم ٤٦ سفراً تندرج تحت خمسة أقسام كبرى ، وهى :

١ ـ أسفار موسى التى تتضمن شريعته ، وعددها خمسة ، وهى : التكوين . والخروج . واللاويين . والعدد . والتثنية .

٢ ـ أسفار تاريخية وعددها ١٦ وهى : يشوع . والقضاة . وراعوث . وصموئيل الأول . وصموئيل الثانى . والملوك الأول . والملوك الثانى . وأخبار الأيام الأول . وأخبار الأيام الثانى . وعزرا . ونحميا . وطوبيا .

وأستير . ويهوديت . والمكابيين الأول والثانى . وسوسنة . والشيخين .

٣ ـ أسفار شعرية وعددها ستة وهى : أيوب . والمزامير. والأمثال . والجامعة . ونشيد الأنشاد . ومراثى أرميا .

٤ ـ أسفار نبوية وعددها ١٧ ، وهى : أشعيا . وأرميا . وباروخ . وحزقيال . ودانيال . وهوشع . ويوئيل . وعاموس . وعوبديا . ويونان. وميخا . وناحوم . وحبقوق . وصفنيا . وحجى . وزكريا . وملاخى .

٥ ـ أسفار تعليمية وعددها إثنان ، وهى : سفر الحكمة . ويشوع بن سيراخ .

٢ ـ العهد الجديد :

وأما العهد الجديد فيتضمن سيرة السيد المسيح وأعمال رسله ورسائلهم ونبوءاتهم ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ أسفار تاريخية وهى أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا وسفر أعمال الرسل .

٢ ـ أسفار تعليمية وعددها ٢١ وهى : رسائل بولس وهى رومية . وكورنثوس الأولى . وكورنثوس الثانية. وغلاطية . وأفسس . وفيلبى . وكولوس . وتسالونيكى الأولى .وتسالونيكى الثانية . وتيموثاوس الأولى . وتيموثاوس الثانية . وتيطس . وفليمون . والعبرانيين .وبعد ذلك رسائل يعقوب . وبطرس الأولى . وبطرس الثانية . ويوحنا الأولى . ويوحنا الثانية . ويوحنا الثالثة . ويهوذا .

٣ ـ سفر نبوى وهو رؤيا يوحنا اللاهوتى .

ترجمة الكتاب المقدس

وقد كتب الشطر الأكبر من أسفار العهد القديم فى الأصل باللغة العبرية . وكتب العهد الجديد فى الأصل باللغه اليونانية .

وقد ترجم العهد القديم إلى لغات كثيرة : وكانت أول ترجمة له هى الترجمة السبعينية من العبرية إلى اليونانية . وقد نهض بها ٧٢ عالماً من علماء اليهود بالإسكندرية حوالى عام ٢٨٢ قبل الميلاد بأمر بطليموس فيلادلفوس لفائدة اليهود الساكنين فى مصر . وقد بدأ الفليسوف بنتينوس ترجمة العهد القديم بعد ذلك من الترجمة السبعينية إلى اللغة القبطية بين القرنين الثالث والخامس بعد الميلاد .

أما عن الترجمة إلى اللغة العربية ، فيذهب البعض إلى أن أول ترجمة للعهدين معاً كانت عام ٧٥٠ ميلادية بمعرفة يوحنا أسقف أشبيلية بأسبانيا نقلا عن اللاتينية . إلا أن ذلك غير مقطوع به ، وإن كان يحتمل أن الأناجيل الأربعة قد ترجمت فى القرنين الثامن والتاسع من اليونانية أو السريانية أو القبطية . وقد اشتغل أولاد العسال وهم من علماء القبط فى القرن الثالث عشر بمراجعة الأناجيل الأربعة والرسائل فى اللغات القبطية واليونانية والسريانية والعربية ، وضبطوا ترجمتها العربية ودونوها بخطهم فى نسخة موجودة الآن بالمتحف القبطى .

ثم فى القرن السابع عشر ، قام الأب سركيس الوزى مطران دمشق مع نفر من العلماء بجمع عدة نسخ عربية وقابلوها بنسخ عبرية ويونانية وانتهوا إلى نسخة منقحة طبعت فى روما سنة ١٦٧١ ميلادية .

ثم فى القرن التاسع عشر قام المعلم فارس الشدياق بترجمة الكتاب كله وطبع العهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١ ثم طبع العهدان فى لندن سنة ١٨٥٧ .

وفى سنة ١٨٥٦ ظهرت الطبعة الأولى للكتاب المقدس بعناية القس غالى سميث المرسل الأمريكى وبمساعدة المعلم بطرس البستانى والدكتور كرنيليوس فنديك فى مدينة بيروت وهى الأكثر شيوعاً اليوم فى الأقطار العربية.

وقد تمت الترجمة اليسوعية بعناية الرهبان اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٧٦ ميلادية .

الفرع الثانى

دخول المسيحية فى مصر

البحث الأول

بشارة مرقس الرسول

دخلت المسيحية فى مصر على يد مرقس الرسول فى منتصف القرن الأول.

ومرقس الرسول هو يوحنا الملقب بمرقس ، أحد الإنجيليين الأربعة ، وأصله من اليهود القاطنين بالخمس مدن الغربية — أى بنتابوليس الواقعة فى الجزء الشرقى من طرابلس الغرب على تخوم مصر الشمالية الغربية — وقد هاجر أبواه أرسطوبولوس ومريم إلى فلسطين موطن أجدادهما . ويقال أنه ابن عم زوجة بطرس الرسول وأن أمه مريم هى أخت برنابا الرسول . وكان مرقس فى أورشليم وقت ظهور السيد المسيح فكان من أوائل من آمنوا به وقبلوا دعوته ، فاصطفاه من جملة السبعين رسولا . وكان يتردد كثيراً على بيته، وفى

ذلك البيت أكل الفصح مع تلاميذه ، وفيه كانوا يجتمعون بعد قيامة المسيح ، حيث دخل عليهم وأظهر لهم نفسه ، وفى هـذا البيت حل الروح القدس عليهم .

وقد بدأ مرقس بالتبشير فى بلاد فلسطين وما حولهـا ، ثم رافق خاله برنابا وبولس الرسول فى رحلتهما الأولى إلى أنطاكيه حوالى سنة ٤٥ ميـلادية ، ثم إلى قبرص وبعض جهات آسيا الصغرى ، حتى إذا بلغوا برجة بمفيلية تركهما هناك وعاد إلى أورشليم وبقى فيها إلى حين انعقاد المجمع الرسولى الأول حوالى سنة ٥٠ ميلادية . ثم صاحب خاله برنابا فى رحـــلة تبشيرية أخرى إلى قبرص . وفى حوالى سنة ٥٢ ميلادية قصد وحـده إلى مسقط رأسـه فى شمال أفريقيا حيث بشر الخمس مدن الغربية ، ثم اتجه إلى مصر عن طريق الصحراء الغربية ماراً ببعض بلاد الوجه القبلى ثم تقدم شمالا إلى بابليون فأقام فيها بعض الوقت ، ويقال أنه فى هذه الفـترة كتب إنجيله ، ثم غادر بابيلون إلى الإسكندرية سنة ٦١ ميلادية وكانت هذه المدينة هى عاصمة البـلاد فى ذلك الحين . وفيها بدأ يبشر بالمسيح .

ولم تكن أخبار ظهور المسيحية مجهولة لدى أهل الإسكندرية قبل أن يذهب إليها مرقس ، لأن الثابت أن كثيرين من سـكانها اليهود كانوا قد زاروا أورشليم فى عيد الفصح وسمعوا بمحاكمة المسيح وصلبه وقيامته ، ومنهم من بقى بها إلى حين صعوده وحـلول الروح القدس على تلاميذه ، فلما عادوا إلى الإسكندرية أخبروا أهلها بما سمعوا وما رأوا فضلا عن أن لوقا البشير كان قد كتب إنجيله إلى واحد من أهل الإسكندرية وهو العزيز ثاوفيلس . ومن ثم لم تكن بشارة مرقس أمراً



القديس مرقس الرسول

جديداً أو غريباً عليهم . بل إنها وجدت تربة مواتية لغراسها بينهم لأن الديانات المصرية القديمة كانت تعانى فى ذلك الحين أشد حالات الفساد والضعف ، وكانت تلاقى خاصة من اليهود واليونانيين المقيمين بالإسكندرية كثيراً من التعريض والتهكم والتنديد بما فيها من خيالات وخرافات ، فكان الشعب لذلك فى حاجة ماسة إلى دين صالح جديد ، ومن ثم وجد طلبته فى الدين الوافد إليه من فلسطين يبشره بالله الواحد وبيسوع المخلص ، ولا سيما أن هذا الدين الجديد ينطوى على أمور لم يكن من الصعب على المصريين فهمها وإساغتها لأنهم كان لديهم فى دياناتهم ما يقربها إلى أذهانهم ، بالتفصيل الذى أسلفناه عند الكلام عن معتقدات قدماء المصريين .

وكان أول من بشره مرقس إسكافاً إسمه إنيانوس ، إذ كان حذاؤه حين وصل إلى الإسكندرية قد تهرأ من طول المسير ، فمال إلى هذا الإسكاف ليصلحه . وحدث بينما كان هذا يستعمل المخرز أن أصاب يده فأدماها فصاح قائلا « أيها الإله الواحد » ، فأخذ مرقس يده وشفاها ثم راح يبشره بذلك الإله الواحد الذى هتف باسمه وهو لا يعرفه . فآمن الإسكاف بكلامه ودعاه إلى بيته ، وجمع له أقاربه وأصحابه فبشرهم بالمسيح وعمدهم فكانوا هم باكورة المؤمنين فى مصر كلها .

فلما رأى الوثنيون يوادر نجاح الرسول فى بشارته حنقوا عليه وراحوا يتربصون له ليفتكوا به . ولكنه واصل أداء رسالته غير عابىء بما يدبرون فأقام إنيانوس أسقفاً ، ورسم معه قسوساً وشمامسة ، وشيد أول كنيسة بالإسكندرية ، ووضع قداساً للصلوات هو أصل القداسات المعمول بها عند الأقباط حتى اليوم ، وأسس المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية وأقام العلامة

يسطس رئيساً لها . ثم سافر إلى أفسس حيث تقابل مع تيموثاوس ، ثم اتجه إلى روما تلبية لدعوة بولس الرسول ، وبقي بها حتى استشهد بولس سنة ٦٧ فعاد إلى مصر واستأنف عمل الكرازة جائلا بكل أنحاء البلاد يبشر بالمسيح . فلما كثر عدد المؤمنين وتوطدت دعائم الكنيسة التى أسسها ، تغلغل الحقد فى قلوب الوثنيين عليه وأضمروا الغدر به . حتى إذا كان عيد القيامة فى ٢٦ أبريل سنة ٦٨ ميلادية ، وهو يحتفل بالعيد فى الكنيسة مع شعبه هجموا عليه ووضعوا حبلا فى عنقه وراحوا يجرونه فى طرقات المدينة وساحاتها حتى تمزق لحمه ونزف دمه . وما فتئوا يفعلون به هكذا حتى كان المساء فألقوا به فى السجن . ثم فى اليوم التالى عادوا به وراحوا يجرونه كذلك حتى أسلم الروح . وحينئذ تقدم المسيحيون وأخذوا جسده وكفنوه ووضعوه فى تابوت ونحتوا له قبراً فى الكنيسة ذاتها ودفنوه فيه .

وقد بقي جسد مرقس مدفوناً بالإسكندرية حتى سرقه بعض البحارة البندقيين فى القرن التاسع وأخذوه إلى بلدهم ، ماعدا الرأس فقد بقي فى مصر واختصت به الكنيسة القبطية وحفظته بالكنيسة المرقسية الكبرى بالإسكندرية ولم يزل بها حتى اليوم .

البحث الثانى

الاضطهادات

قاست الكنيسة القبطية من الإضطهادات مالم تقاسه كنيسة أخرى فى العالم : فما بدأت المسيحية تنتشر فى البلاد المصرية ، وتتغلب شيئاً فشيئاً على الوثنية حتى فزع قياصرة الرومان وولاتهم فى مصر ، لأن المملكة الرومانية كانت تعتبر الدين المسيحى عدوا لها ، وخطراً يهدد كيانها ويعمل على تقويض أركانها ، فقاومته أشد مقاومة ، واضطهدت المؤمنين به شر اضطهاد ، وأوقعت بهم أقسى صنوف التنكيل والتعذيب والقتل فى أبشع صوره وأشنع أساليبه ، عاقدة العزم على إبادتهم والقضاء عليهم القضاء الأخير . إلا أن المسيحيين استمسكوا بأيمانهم واستماتوا فى الثبات عليه ، واستشهدوا فى سبيله أفواجاً ، رافضين إنكاره أو النكوص عنه ، وظلت يد الطغيان تحصدهم حصداً . ولكنهم ما فتئوا صامدين على مر القرون والأجيال فما استشهد منهم قوم إلا بهر استشهادهم قوماً آخرين فآمنوا بهذا الدين الذى يستعذب أصحابه العذاب والفداء ، ودخلوا بدورهم فى زمرة الشهداء .

أشهر الاضطهادات

ولعل أشهر الإضطهادات التى وقعت على المسيحيين عامة والأقباط خاصة ، فى العهد الأول المسيحية هى الآتية : —

١ — إضطهاد نيرون سنة ٦٤ ميلادية :

أقدم الطاغية نيرون على إشعال النار فى روما . ثم اتهم المسيحيين بأحراقها ، وصب عليهم جام نقمته وجنونه ، وشن عليهم حملة شعواء



« تعذيب المسيحيين الأوائل »

فى كل أنحاء المملكة الرومانية ، متفننا فى تعذيبهم ، مبتدعاً أبشع الوسائل فى الفتك بهم . وقد قال تاسيتوس المؤرخ الرومانى الوثنى « إن نيرون كان يضع بعض المسيحيين وهم أحياء فى جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب تنهشهم ، ويطلى بعضهم الآخر بالقار ، ويعلقهم على مشانق ثم يضرم فيهم النار ليجعل منهم مشاعل يستضىء بها وهو يمر

بالليل ، وكان يمتع نفسه بمنظر أطفالهم والوحوش تمزقهم وتلتهم أشلاءهم » .

٢ — إضطهاد دومتيانوس سنة ٩٠ ميلادية :

بلغ الإمبراطور دومتيانوس سنة ٩٠ ميلادية أن المسيح مزمع أن يملك فى كل العالم ، فخاف أن يتم ذلك فى عهده ، ومن ثم أمعن فى اضطهاد المسيحين وقتل كثيرين منهم . وكان ممن نكل بهم يوحنا الإنجيلى إذ عذبه عذاباً أليما ثم نفاه إلى جزيرة بطمس . إلا أنه حين أكد له علماء المسيحيين أن المسيح لن يكون ملكاً أرضياً بل روحياً يملك على القلوب خفف عنهم وطأة الإضطهاد .

٣ — إضطهاد تراجان سنة ١٠٦ ميلادية :

أصدر تراجان سنة ١٠٦ ميلادية أمره إلى ولاته فى كل أنحاء المملكة بأن يقضوا على المسيحيين ويمنعوا اجتماعاتهم التى كانوا يعقدونها فى الخفاء ليقيموا صلواتهم ويحتفلوا بأعيادهم ، فسامهم الولاة أبشع أنواع العذاب والتنكيل ، وقتلوا منهم آلافاً مؤلفة . وقد استخدم هذا الإمبراطور ساحة الملعب الرومانى المسمى بالكلو سيوم فى إعدام المسيحيين بألقائهم هنالك إلى الوحوش تمزقهم شر ممزق ، وهو يتلهى بمنظرهم وهم يتحولون بين الأنياب المفترسة إلى أشلاء . وكان ممن ذهبوا ضحية هذه الوحشية البشعة البابا كردونوس البطريرك القبطى الرابع والقديس أغناطيوس أسقف أنطاكية وكثيرون غيرهما .

٤ — إضطهاد أدريانوس سنة ١٢٤ ميلادية :

وقد اشتد الإضطهاد كذلك فى عهد الإمبراطور أدريانوس ، حتى ارتفعت الأصوات المتألمة من كل جانب . وقد كتب كودراتس

أسقف أثينا رسالة إلى الإمـبراطور سنة ١٢٦ ميلادية يشرح له فيها عقيدة المسيحيين وأسباب تمسكهم بأيمانهم قائلا : « إن أعمال مخلصنا كانت ظاهرة للأعين لأنهـا كانت حقيقيه : فأن الذين شفاهم أو أقامهم من الموت لم يشاهدهم الناس فقط عند شفائهم أو قيامتهم ، وإنما ظلوا أحياء بين الناس ، لا فى عهد المخلص فحسب ، وإنما بعد صعوده إلى السماء كذلك ، بل أن بعضاً منهم ما زالوا يعيشون حتى اليوم » كما وردت إلى الإمبراطور رسائل أخرى باللغة اليونانية من يوستينوس الفيلسوف وأثيناغوراس استاذ المدرسة اللاهـوتية ، وباللغة اللاتينية من ترتليانس القس بكنيسة قرطاجنة . وقد كان من أثر هذه الرسائل أن أصدر الإمبراطور أمره للولاة بتخفيف وطأة الإضطهاد عن المسيحيين.

٥ — إضطهاد ماركوس أوريليوس سنة ١٦٢ ميلادية :

أصدر الأمبراطور ماركوس أوريليوس فى عام ١٦٢ ميلادية أمره بأبادة المسيحيين ، وقد بدأ بقتل رؤسائهم . وتبدو بشاعة أعمال الإضطهاد فى هذا العهد فى رسالة كتبها بوليكربس أسقف أزمير سنة ١٦٥ م يقول فيها : « إن الذين اعترفوا بمسيحيتهم ضربوا ضرباً عنيفاً بالسياط حتى ظهرت عروقهم ، ولكنهم فى معمعان هذاالعذاب كانوا ثابتين لا يبدون ألماً ، فى حين أن الحاضرين كانت تنفطر قلوبهم إشفاقاً عليهم ..والذين حكم عليهم بأن يطرحوا للوحوش قاسوا أشد العذاب فى السجن وهم ينتظرون اليوم المعين لاستشهادهم ، إذ كان السجانون يطرحونهم وهم عراة على حجارة مسنونة فتنبثق الدماء من أجسادهم ، ولكن الله كان يؤازرهم بنعمته » . وكان من أولئك الشهداء شاب يدعى جرمانيكس ، كان دائباً على تشجيع الآخرين ، فحاول الحاكم أن يغريه بالوعود كى ينكر إيمانه ، ولكنه ألقى

بنفسه بين أنياب الأسود مفضلا إياها على إنكار عقيدته . وكان من أولئك الشهداء كذلك يوستينوس الفيلسوف الذى طالما دافع عن المسيحيين ولا سيما أمام الوثنيين واليهود، لأنه كان ملما بفلسفاتهم ، كما أنه كان يداوم الاحتجاج على الظلم الواقع على المسيحيين من الولاة ، ومن ذلك رسالته إلى الإمبراطور أدريانوس .

٦ — إضطهاد سافيروس سنة ٢٠٣ ميلادية :

وقد اشتد الإضطهاد فى عهد الإمبراطور سافيروس سنة ٢٠٣ ميلادية ، وازداد عدد الشهداء فى أيامه زيادة مروعة . وكان ممن قتل فى تلك الأيام أريناوس أسقف ليون وليونيداس والد أوريجانوس العلامة القبطى ، كما كان ممن قتل فى تلك الأيام عدد كبير من النساء ، ومنهن بوتامينا وبرباتو . وقد كتب ترتليانوس فى ذلك الوقت رسائل احتجاج إلى حاكم أفريقيا ، وقال إكليمنضوس الإسكندرى « إن كثيرين من الشهداء كانوا يصلبون أو تقطع رؤوسهم أو يحرقون أمام أعيننا » .

٧ — إضطهاد كاراكلا سنة ٢١١ ميلادية :

وقد تولى كارا كلا العرش سنة ٢١١ فضاعف الجزية على المسيحيين فى مصر وقضى على من يقاوم الحكومة منهم بالصلب أو بأن يطرح للوحوش .

ومن الجنايات البشعة التى ارتكبها ضد المصريين أنه أقام احتفالا خارج الإسكندرية ، فلما خرج أهالى المدينة لمشاهدته أشار إلى جنوده فجردوا أسلحتهم وقضوا على جميع الحاضرين فى وحشية لا مثيل لها ، فلم ينج منهم إلا القليل .

٨ — إضطهاد مكسيميانوس سنة ٢٣٥ ميلادية :

حين جلس مكسيميانوس على العرش سنة ٢٣٥ اضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً وخاصة في مصر ، فاستشهد كثيرون في عهده ، واضطر كثيرون إلى الفرار من وجهه ومنهم البابا ياروكلاس بطريرك الإسكندرية

٩ — إضطهاد ديسيوس سنة ٢٤٩ ميلادية :

كان الإمبراطور ديسيوس الذي جلس على العرش سنة ٢٤٩ ميلادية يكره المسيحيين كراهية شديدة ، وقد نكل بهم تنكيلا لم يسبق له مثيل وتفنن في تعذيبهم بوسائل تقشعر من هولها الأبدان . وقد قتل عشرات الألوف من الرجال والنساء والأطفال. ويقول القديس أوسابيوس القيصري أنه في فترة من فترات ذلك العهد قتل عشرة آلاف دفعة واحدة ، ثم يقول « إنني رأيت عدداً كبيراً يقتل في أحد الأيام ، حتى أن السيوف من كثرة ما استعملت في ذلك اليوم تكسرت ولم تعد تقطع ، بينما أنهك التعب الجلادين ، فكانوا يتناوبون حتى يعمل البعض ويستريح الآخرون ». ويقول القديس ديونسيوس بابا الإسكندرية الرابع عشر عن ذلك الإضطهاد : « إنه كان من الفظاعة حتى لقد كان كفيلا بأن يزعزع أكثر المؤمنين استمساكا وثباتا » ويصف بعض حوادث التنكيل فيقول : « أمسك الوثنيون رجلا هرماً يدعى « متريا » وطلبوا إليه أن ينكر المسيح فرفض الرجل طلبهم فانقضوا عليه كالوحوش وراحوا يضربونه ضرباً مبرحاً ويدفعون مناخس في وجهه وعينيه وهو ثابت القلب ، فلما يئسوا منه سحبوه إلى خارج المدينة وراحوا يرجمونه بالحجارة حتى مات ، ثم اندفعوا إلى منازل المسيحيين فنهبوها وأشعلوا فيها النار . وأخذوا عذراء فاضلة إسمها أبولونيا وحطموا عظامها وهددوها بالحرق إن لم تنطق بكلمات

الكفر بإيمانها فتجلدت وثبتت فطرحوها فى النار حتى صارت رماداً . وأمسكوا رجلا آخر اسمه سرابيون وأذاقوه عذاباً يقصر القلم عن وصفه حتى سحقوا عظامه سحقاً ، وأخيراً طرحوه من ارتفاع شاهق فتحطم ومات . . وإذا سار الإنسان ليلا أو نهاراً فى الشوارع والأزقة لا يسمع إلا ضجيج قوم يهددون ويتوعدون ويعذبون كل من يرفض أن يجحد إيمانه وينكر مسيحه ، ولا يرى المرء الا أبراراً يجرهم الأشرار على وجوههم ثم يطرحونهم فى النار المتقدة فيحترقون كالهشيم » .

ويقول القديس ديونسيوس كذلك : « إن الخوف عم الجميع ، وقد فصل المسيحيون جميعاً من خدمة الحكومة ، مهما كانت كفاءتهم أو مقدرتهم فى عملهم ، وكان الوثنيون يشون بالمسيحيين ويرشدون عنهم فيؤتى بهم فى الحال ويطلب إليهم تقديم الذبائح للأوثان . ومن أولئك الأتقياء رجل اسمه يوليانوس كان مقعداً فحمله رجلان إلى دار الحكم وطلبوا إليه أن ينكر إيمانه فرفض ، وعندئذ حملوه على جمل وطافوا به شوارع الإسكندرية وهم يجلدونه بالسياط ، ثم أخيراً طرحوه فى لهيب النار فظل يحترق حتى مات » .

كما يقول أوريجانوس عن هذا الإضطهاد إنه « كان المقصود به القضاء على المسيحية قضاءاً تاماً واستئصال المسيحيين فى كل مكان » ويقول « إن القضاة كانوا يتميزون غيظاً إذا تحمل المسيحى ألوان العذاب المريع بشجاعة واستبسال ، فى حين أنهم كانوا يبدون من السرور ما لا حد له إذا ظفروا بمسيحى واحد يضعف أمام الإرهاب ويخر ساجداً للأوثان »

وفى عهد هذا الأضطهاد استشهد القديس مرقوريوس الشهير بأبى سيفين.

١٠ - إضطهاد فاليريانه سنة ٢٥٨ ميلادية :

وقد أصدر الإمبراطور فاليريان أمره سنة ٢٥٨ بقتل المسيحيين فاستشهد فى عهده كثيرون ومنهم سكستس أسقف روما وكبريانس أسقف قرطاجنة وقد لقى البابا ديونسيوس فى ذلك الإضطهاد عذاباً شديداً ثم أبعد منفياً عن مقر كرسيه . وكان الوثنيون يشقون بطون أطفال المسيحيين ويخرجون أحشائهم أمام آبائهم إمعاناً فى تعذيبهم .

وقد كتب البابا ديونيسيوس يقول : « لقد أصبح الوقت الحاضر كغيره من الأوقات الغابرة ، وقد أصبحت سيان عندنا أوقات الحزن والغم وأوقات الفرح والسرور التى لايكاد يراها أحد ولو فى المنام لكثرة توالى المصائب وتتابع النكبات حتى أصبح الأنسان لايقع نظره إلا على عيون دامعة وقلوب مفجوعة على أناس أتقياء كثيرين ماتوا . فلو أنك مررت اليوم فى المدينة إذن لسمعت التنهدات والزفرات يكاد القلب يتفطر منها ألماً ووجيعة على قوم مشرفين على الهلاك يرون أبواب القبور مفتوحة أمامهم تكاد أن تبتلعهم قبل أن تفارق الروح أجسامهم حتى أصبحنا فى زمن أشبه بالزمن الذى مات فيه كل بكر فى أرض مصر على يد موسى فلم يخل بيت من البكاء والعويل ، لأنه يوجد ميت على الأقل فى كل بيت . وكنت أتمنى لو يكون هذا كل البلاء ويقف المصاب عند هذا الحد مع ما حدث من أهوال تشيب لها النواصى ، بل زادوا فى أنهم طردونا طرداً وراحوا يضيقون الخناق علينا حتى هلك أكثر من بقى منا ، ومع ذلك فأننا لم نترك حقلا ولا مغارة ولا سفينة ولاسجناً إلا اجتمعنا فيه منادين بكلمة الرب » .

كما كتب يقول : « وما لبث أن داهمنا فوق هذه المصائب وباء فتاك

أصاب المسيحيين والوثنيين معاً . فكنا نواسى الوثنيين ونعطف عليهم ، معتبرين إياهم أخوتنا فى الإنسانية ، وقد انقطع المسيحيون إلى تمريض المصابين وسد حاجات المعوزين ، وكانوا أحياناً يصابون بالعدوى منهم ويموتون بدلا عنهم ، وهكذا مات كثيرون من المسيحين فداءاً عن المرضى من الوثنيين » .

وقد كانت نهاية فاليريان بشعة كأعماله ، فقد أسره الفرس فى الحرب وأهانه ملكهم إهانات بالغة وأذله إذلالا عظيماً ثم أمر بسلخ جلده وصبغه بلون أحمر وعلقه فى هيكل الأوثان .

١١ ـ أضطهاد دقلديانوس سنة ٢٨٤ ميلادية :

وقد كان أقسى الجميع على المسيحيين هو الإمبراطور دقلديانوس الذى جلس على العرش سنة ٢٨٤ ميلادية ، فقد صمم هذا الإمبراطور على ألا يكف عن قتل المسيحيين حتى تصل دماؤهم إلى ركبة فرسه ، وفعلا نفذ عزمه وراح يطوق بفرسه فى بحر من دماء الشهداء . وقد هدم كنائس المسيحيين وأحرق كتبهم وقبض على أساقفتهم وأذاقهم كل صنوف العذاب وأغرقهم فى مذابح دامية لم يسبق لها نظير فى التاريخ . وقد قال أوسابيوس المؤرخ : « إنه ليعسر على الكاتب الماهر أن يصف مقدار ماتجرعه الشهداء فى مصر من ألوان العذاب القاسية والآلام التى تشيب من ذكرها النواصى فقد كانوا يأتون بأولئك الشهداء ويشقون بالخناجر أجسادهم ويروحون ينزعون عنها الجلد عضوا عضوا حتى تزهق الروح . أما النساء فقد كانت تربط الواحدة منهن من إحدى قدميها وترفع فى الهواء بآلة مخصصة لذلك وتظل معلقة كذلك بصورة تنفر منها الإنسانية حتى تزهق روحها وكانوا يقربون غصنين قويين من شجرتين متقاربتين

بآلة جعلت لهذا الغرض ثم يجيئون بالشهيد ويربطونه بهذين الغصنين ثم يتركونهما ليعودا إلى وضعهما الأول والشهيد بينهما فتتمزق أضلاعه وتسحق عظامه سحقاً وتتطاير أشلاء جسمه فى الفضاء . وقد كانت تستمر هذه الفظائع أعواماً طويلة . وكثيراً ما كان يصدر حكم بقتل عشرة أشخاص فى لحظة واحدة ، وأحياناً بقتل عشرين مرة واحدة ، وأحياناً ثلاثين وأحياناً ستين . وقد حكموا مرة على مائة رجل بالموت فماتوا فى يوم واحد مع زوجاتهم وأولادهم الصغار بعد أن ذاقوا من العذاب ما تقشعر منه الأبدان » .

وقال أوسابيوس أيضاً : « وقد شاهدت بعينى بينما كنت واقفاً بقرب النطع جماً غفيراً من المسيحيين جمعوا لينالوا الشهادة ولكن بطرق مختلفة ، فكان بعضهم يحرقون فى أتون النار ، وبعضهم تجز رؤوسهم بالسيف ، وكانوا من الكثرة بحيث أن السيف قد تلم حده من كثرة ما قطع من الرقاب ، وكذلك السيافون تعبوا وخارت قواهم من ذبح الآدميين فكانوا يستريحون هنيهة ريثما يستردون أنفاسهم . أما المؤمنون فقد كانوا يقبلون الموت بصدور منشرحة وثغور باسمة بعد أن يجاهروا بكل جرأة وشجاعة باعترافهم بالمسيح ، حتى إذا حكم عليهم بالموت كانوا يرنمون ويرتلون إلى آخر نسمة من حياتهم . كما أن الذين سبق لهم أن اشتهروا بالغنى والثراء أو بالتبحر فى العلم والفلسفة كانوا يتقدمون إلى الشهادة فى فرح عجيب »

وقد قيل أن الذين استشهدوا فى هذا الإضطهاد الذى استمر عشرين عاماً يبلغ عددهم المليون . مما دفع الأقباط أمام هذا الهول الأكبر لأن يخلدوا تاريخ من ذهبوا ضحيته من شهدائهم ، فبدأوا

تقويمهم بسنة ٢٨٤ للميلاد وهى السنة التى ارتقى فيها دقلديانوس عرش المملكة ، واعتبروها السنة الأولى فى تاريخهم الذى أصبح يدعى تاريخ الشهداء ويبدأ من يوم ٢٩ أغسطس سنة ٢٨٤ ميلادية .

١٢ — إضطهاد غاليريوس سنة ٣٠٤ ميلادية :

كان غاليريوس صهر دقلديانوس الذى جلس على العرش سنة ٣٠٤ يرمى من وراء الإضطهادات القاسية التى شنها على المسيحيين أن يقضى عليهم ويفنيهم ، ولكنه كان كلما شدد النكير عليهم ازدادت المسيحية انتشاراً ، فأصدر أمراً جديداً فى سنة ٣٠٨ يقضى بمواصلة اضطهادهم فى غير هوادة ولا رحمة . وكان حاكم مصر فى عهده مكسيميان دازا فكان أقسى الحكام فى تطبيق أوامر الإمبراطور . وقد فتك بالمسيحيين فى مصر فقتل منهم من قتل ومن بقى منهم حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ليسخرهم فى العمل فى المحاجر والمناجم .

١٣ — إضطهاد مكسيميان سنة ٣٠٥ ميلادية :

تنازل غاليريوس عن العرش لمكسيميان دازا سنة ٣٠٥ ميلادية ففاق جميع من سبقوه فى القسوة على المسيحيين ، وراح ضحيته آلاف الشهداء الأبرياء ، وقد قال أحد المؤرخين « إن جثث القتلى كانت تحمل على عربات وتلقى فى البحر » وقد استشهد فى هذا العهد البابا بطرس البطريرك الثامن عشر الملقب بآخر الشهداء .

* * * *

أشهر الشهداء

ومن بين الألوف المؤلفة من أولئك الشهداء الأبطال الأبرار لم يصل إلينا إلا سيرة عدد قليل منهم ، مدونة فى السنكسار وفى مؤلفات يوليوس الأقفهصى ، ومن أشهر من بلغتنا أعمالهم منهم :

١ — القديسة دميانة :

وهى الإبنة الوحيدة لمرقس والى البرلس والزعفران ووادى السيسبان بأقليم الغربية ، وكانت رائعة الجمال . فلما بلغت الخامسة والعشرين من عمرها نذرت نفسها للبتولية ، فأقام لها أبوها ديراً اعتزلت فيه واعتزل معها أربعون عذراء من بنات كبراء الولاية . وقد حدث أن اضطر والدها بأمر دقلديانوس لأن يقدم البخور للأوثان ، فأرسلت إليه وعاتبته ، قائلة له : « خير لك يا أبى أن تموت شهيداً فتحيا مع المسيح من أن تحيا وثنياً فتموت مع الشيطان » ، فاعترف بخطئه وجاهر أمام القيصر بأيمانه بالمسيح فأمسكه وقتله . وأما هى فأرسل إليها القيصر قائداً ومعه مائه من جنوده كى يحملها على إنكار إيمانها أو يقتلها . فلما قال لها القائد ذلك انتهرته وصارحته بأنها لن تطيع أمر القيصر ، فشرع يعذبها ولكنها احتملت العذاب صابرة ، وفى النهاية قطع رأسها هى والعذارى الأربعين المقيمات معها ، وكان ذلك فى أوائل القرن الرابع للمسيح . ثم جاء القديس يوليوس الأقفهصى فأخذ الأجساد ودفنها ، ودون سيرة القديسة ورفيقاتها . وبعد ذلك أصدر قسطنطين الكبير أمره ببناء كنيسة فوق قبرها ، وقد دشنها البابا ألكسندروس ورسم لها أسقفاً وقسوساً وشمامسة . ولا

يزال لها دير على مسافة إثني عشر كيلو متراً شمالى بلقاس ، يؤمه الأقباط للزيارة كل عام . وقد بنيت باسمها كنائس عديدة فى كل أنحاء البلاد .



« القديسة دميانة »

٢ — القديسة كاترينة :

ولدت بالإسكندرية فى ختام القرن الثالث من أبوين وثنيين ، ولما بلغت الثامنة عشرة من عمرها آمنت بالمسيح وتعمدت ثم فى سنة ٣٠٧ ميلادية قدم إلى الإسكندرية الإمبراطور مكسيموس الثانى وأصدر أمراً بإعدام كل مسيحى لا يضحى للأوثان ، ومن ثم اشتعلت نار

الإضطهاد وراحت القديسة تبذل كل جهدها فى تثبيت المؤمنين . بل لقد بلغت بها الجسارة أن دخلت هيكل الأوثان وكان مكسيموس يقدم التقدمات لها فوبخته على تقديمه الذبائح لآلهة كاذبة ، فدهش من جرأتها ومن فرط جمالها واستدعاها إلى بلاطه ، وهناك أفحمت الفلاسفة المحيطين به فآمنوا بالمسيح ، فقتل الإمبراطور الفلاسفة وطرح كاترينا فى السجن عساها تلين لإغرائه وقد سبته بجمالها فلم يجد منها إلا كل صرامة وتوبيخ ، فأمر الجند بأن يعذبوها أمامه ، فظلوا يخدشونها بمخالب حديدية حتى تخضب جسدها كله بالدم ، وبعد أن عذبها عذاباً أليماً جعل زوجته الإمبراطورة نفسها تؤمن بالمسيح ، قطع رأسها ورأس زوجته . وكانت القديسة فى ذلك الوقت فى التاسعة عشرة من عمرها .

٣ — الفريسة تيودورة :

ولدت فى نهاية القرن الثالث من أبوين مسيحيين من الأشراف ، حتى إذا كان اضطهاد دقلديانوس كانت فى السابعة عشرة من عمرها ووشى بها الوثنيون فقبض عليها وجيء بها أمام بركونوس الوالى ، فقال لها إنها إن لم تنكر إيمانها سيطرحها فى دور البغايا ، فلم يرهبها تهديده قائلة إن المسيح سيخلصها ، فنفذ وعيده ، فعزم شاب مسيحى يدعى ديديموس على أن يخلصها ولبس أثواب جندى وطلب الدخول إليها ، ثم ألبسها ملابسه فخرجت متنكرة . وبعد ذلك انكشفت حيلة ديديموس فحكم الوالى بقطع رأسه وطرح جسده فى النار ، وفيما هم يسوقونه إلى ساحة الموت جاءت تيودورة تجرى وأبت إلا أن تسبقه إلى الإستشهاد وأصر هو على أن يموت عنها واشتد النقاش بينهما حتى تأثر الحاضرون وسالت دموعهم من هذا الإيمان العجيب ، وقطعت رأسيهما معاً سنة ٣٠٤ ميلادية .

٤ — القديسة بوتامينا :

هى عذراء من الإسكندرية كانت تحت رعاية العلامه أوريجانوس ، وقد حكم عليها بالموت بوضعها فى قدر مملوء بالزيت المغلى فظلت تموت موتاً بطيئاً ثلاث ساعات . ثم أمسكوا أمها مارسيلا وقتلوها حرقاً . وقد أثر موقف الفتاة وأمها فى جندى كان يحرسها إسمه باسيليوس فجاهر بمسيحيته ، فقطعوا رأسه . وقد روى ترتليانوس وأوريجانوس أن عدداً عظيماً من الوثنيين غير هذا الجندى آمنوا بالمسيح بسبب ما رأوه من بوتامينا وأمها ومنهم أرنوبيوس أحد علماء البلاغة المشهورين .

٥ — القديسة صوفيا :

هى فتاة من منف استشهدت أثناء الإضطهاد الذى حدث فى أيام البابا أرمانيوس البطريرك السابع ، وقد نقل القيصر قسطنطين الكبير جسدها إلى القسطنطينيه وبنى لها الكنيسة الشهيرة باسم «أجيا صوفيا» أى القديسة صوفيا .

٦ — القديس مار جرجس :

وهو الشهير بمار جرجس ، وقد ولد فى النصف الثانى من القرن الثالث ، وكان من أشراف كبادوكية بآسيا الصغرى ، وقد انخرط فى سلك الجندية وبلغ فيها رتبة قائد بجيش دقلديانوس . فلما شن هذا القيصر حملة الإضطهاد الرهيب على المسيحيين ، كان القديس يسير فى مدينة نيقوميدية فوجد منشوراً ملصقاً يتضمن الأمر بالقضاء على كل المؤمنين بالمسيح ، فانتزع المنشور من مكانه ومزقه وألقى به على

الأرض ثم توجه بنفسه إلى مجلس الملك وأخذ يدافع أمامه عن المسيحيين ويصف سمو ديانتهم إزاء ضلالات الوثنية ، فأمر القيصر بتعذيبه ،



« القديس جاورجيوس »

فأوقعوا به أقسى أساليب التعذيب حتى أن كثيرين ممن رأوا شجاعته وثباته وصبره آمنوا بالمسيح ، ومن بينهم الملكة نفسها ، فأمر القيصر

بقطع رأسه ورأس الملكة ، ودفن بفلسطين موطن والدته وكان ذلك سنة ٥٠٣ ميلادية . ويقال أن جسده نقل إلى مصر على عهد الأنبا غبريال البابا الثامن والستين . وتحترم كل الشعوب المسيحية على اختلاف مذاهبها هذا القديس احتراماً عظيماً ، ولا سيا الشعب الروسى والشعب الإنجليزى . فالروس يرسمون صورته على حصونهم ، والإنجليز يرسمون صورته على نقودهم ، ويعتبرونه شفيعهم وحامى مملكتهم .

٧ — الفريسى تادرس :

وهو الشهير بالأمير تادرس . وقد ولد ببلدة الشطب فى مديرية أسيوط ، ولذلك يلقب بالشطبى ، وقد انتظم فى سلك الجندية ، وظل يرتقى فيها حتى بلغ أرقى مناصبها وهو منصب أمير اللواء أو وزير الحربية . ثم وقع الإضطهاد على المسيحيين فى عهد ليسيوس خليفة دقلديانوس فلم يسعه إلا أن يعترف أمام القيصر بأنه مسيحى ، فأمر بأعدامه حرقاً . وقد استشهد سنة ٣٢٠ ميلادية وما زالت بقاياه مدفونه بكنيسته بحارة الروم بالقاهرة .

٨ — الفريسى يوليوس :

وهو الشهير بالأقفهصى . وقد ولد فى أقفهص بمركز الفشن بمديرية المنيا . وقد دون تاريخ من سبقوه من الشهداء . كما أنه كان يعتنى بتضميد جراح المصابين وبتكفين أجساد الشهداء وإرسالها إلى بلادهم . وقيل أنه ذهب إلى سمنود فطلب إليه الوثنيون تقديم القرابين للأصنام فرفض ذلك وجاهر بمسيحيته وصلى فسقطت الأصنام ومات كهنتها . فما رأى والى المدينة هذه المعجزة حتى آمن بالمسيح . ثم ذهب القديس

إلى أتريب ـ وما تزال خرائبها قائمة بالقرب من بنها ـ فأمسكه واليها وعذبه ، ثم لما رأى معجزاته آمن على يديه . ثم رحل بعد ذلك إلى طوه بمركز ببا فأمر الوالى ألكسندروس بأعدامه فقطعت رأسه وقتل والداه وكثيرون من المسيحيين معه .

٩ ـ القديس مرقوريوس :

وهو الشهير بأبى سيفين . وهو من أشهر الشهداء غير المصريين الذين تعترف بهم الكنيسة القبطية . وقد ولد فى روما من أبوين مسيحيين ولما بلغ سن الجندية انتظم فى سلكها ، وارتقى إلى رتبة رئيس الجند . ويقال أنه بينما كان يخوض الحرب فى صفوف جيش القيصر ، ظهر له ملاك وقلده سيفاً غير السيف الذى معه ، فدعى لذلك بأبى سيفين . فلما انتصر القيصر فى هذه الحرب أمر بتقديم الذبائح للأصنام شكراً لها . فرفض مرقوريوس أن يفعل ذلك فأرسله القيصر مكبلا بالحديد إلى قيصرية فلسطين ، وهناك قطعت رأسه سنة ٢٥٠ ميلادية . ثم فى أوائل القرن الخامس عشر ـ أى فى عهد البابا يؤنس البطريرك الرابع والسبعين ـ نقلت رفاته إلى مصر ودفنت فى الكنيسة المعروفة الآن باسمه فى مصر القديمة .

البحث الثالث

جامعة الاسكندرية

لكى تتكامل الفكرة عن العقيدة القبطية والصورة التى تسلمها الأقباط عن آبائهم منها ، يلزمنا أن نتكلم عن جامعة الإسكندرية باعتبارها البوتقة التى تبلورت فيها هذه العقيدة فى صورتها النهائية .

ويعرف بهذا الإسم ثلاث جامعات ، وهى : الجامعة الوثنية ، والجامعة الفلسفية ، والجامعة المسيحية ، ونفرد لكل منها كلمة موجزة :

١ ـ الجامعة الوثنية

وقد أنشئت بالإسكندرية فى عهد بطليموس الأول سنة ٣٢٣ قبل الميلاد ، ولم تكن فى الواقع جامعة بمفهومها المعروف ، وإنما حلقات متتابعة من العلماء والفلاسفة الذين خدموا الفكر أكثر من تسعة قرون متوالية منذ أوائل القرن الرابع قبل الميلاد إلى منتصف القرن السابع للميلاد ، وكانت هذه الجامعة مدرسة للمذاهب الفلسفية على الخصوص أسوة بالمدرسة اليونانية فى ذلك العصر ، كما أنها اشتغلت بالعلوم الأخرى كالطب والكيمياء والطبيعة والحساب والهندسة والفلك والجغرافيا والتاريخ واللغه والموسيقى وغيرها .

وكان مقر هذه الجامعة الذى يقوم فيه علماؤها وفلاسفتها بأبحاثهم ، ويلقون محاضراتهم ، ويضعون مؤلفاتهم ، ويكتبون رسائلهم ، أماكن متفرقة بالإسكندرية أهمها :

١ — المكتبة الكبرى ، التى أسسها بطليموس الأول وجمع لها فيما يقال أكثر من نصف مليون مجلد . وقد احترقت مع الأسف حين أغار يوليوس قيصر على الإسكندرية .

٢ — المكتبة الصغرى ، أو مكتبة سيرابيوم ، وقد بلغ ما بها أكثر من ربع مليون مجلد ، وقد باد معظمها أثناء الصراع الذى دارت رحاه بين الوثنيين والمسيحيين سنة ٣٩٠ ميلادية ، واحترق باقيها سنة ٦٤١ ميلادية .

٣ — الرواق أو المتحف ويتكون من قاعة كبرى من قاعات القصور الملكية ، مؤثثة بمناضد للعلماء ومعدة للمحاضرات والمحاورات وملحق بها حدائق للحيوانات والنباتات ، ومعامل وحجرات للفحص والتشريح ومجموعات من التماثيل والنماذج لإجراء الأبحاث عليها ومرصد فلكى وغير ذلك .

ومن أشهر مآثر هذه الجامعة ترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية فى عصر بطليموس فيلادلفوس سنة ٢٢٧ قبل الميلاد ، وهى المعروفة بالترجمة السبعينية .

٢ ـ الجامعة الفلسفية

وقد أنشأها أمونيوس السقاص حوالى سنة ١٩٣ ميلادية ، لمناظرة الجامعة اللاهوتية ، وخصصها لتعليم الفلسفة الأفلاطونية الجديدة ، وهى

خلاصة مذهبي أفلاطون وأرسطو ، وظلت عامرة بطلابها أكثر من ثلاثة قرون . وقد ارتفع شأنها خاصة فى عهد مؤسسها وخلفيه بلوتينوس وموروفيروس . ثم انحرفت فى القرن الرابع على عهد جامبليك عن التعاليم الفلسفية الراقية إلى أعمال السحر والشعوذة ، وكان ذلك فى عهد الإمبراطور يوليانوس سنة ٣٦١ ميلادية ، ثم اضمحلت وانتهت سنة ٥٢٩ ميلادية على عهد جوستنيانوس ، ولم يرأسها بعد جامليك سوى نيروكلوس ودامامسوس

٣- الجامعة المسيحية

وهى المدرسة اللاهوتية التى أسسها مرقس الرسول فى أوائل سنى كرازته وقد اشتغلت فى أول عهدها بدراسة مبادىء المسيحية ثم بتدريسها ، ثم اشتغلت بعد ذلك ، فضلا عن هذا ، بالدراسات الفلسفية والعلمية والأدبية ، وقد توثقت العلاقات فى هذا الصدد بينها وبين علماء الجامعة الوثنية الأولى حتى لقد قال الإمبراطور أدريانوس « إن عباد سيرابيس بالإسكندرية مسيحيون ، كما أن أساقفة النصرانية يعبدون سيرابيس » . وقد أسفرت دراسات هذه الجامعة المسيحية عن وضع أصول علم اللاهوت ، الذى جابهت به الفلسفة الوثنية للعصر اليوناني الرومانى وهى فى أوجها ، حين كانت تتألق فى سمائها أسماء النابهين من فلاسفتها أمثال سينيكا وأبيكتاتوس ومارك أوريليوس .

وقد أجمع مؤرخو الكنيسة الذين أدركوا العصور الرسولية كأوسابيوس وسقراط وسوزومين على أن الفضل فى انتشار المسيحية إنما يرجع إلى مدرسة الإسكندرية اللاهوتية ، كما يتضح من تاريخ الكنيسة

أن كبار أساقفتها وعلمائها فى الشرق والغرب أمثال باسيليوس الكبير وغريغوريوس أخيه ، وغريغوريوس الناطق باللاهوتيات ، مدينون بعلمهم وفضلهم لهذه المدرسة . وقال القديس أورينيموس فى مقدمة ترجمته اللاتينية لكتاب « انبثاق الروح القدس » لديديموس الضرير « إن ما جاء فى مؤلفات أوغسطينوس وأمبروسيوس وغيرها من الموضوعات الفلسفية « منقول عن الفلسفة المسيحية المصرية » .

وقد عظم شأن هذه المدرسة ، حتى لقد كان منصب رئيسها لأهميته يلى المنصب البطريركى فى المرتبة ، وقد ظل باباوات وأساقفه الكرسى الإسكندرى زمناً طويلا ينتخبون من رؤسائها ، كما أن عدداً كبيراً منهم كان من تلاميذها ، ومنهم ألكسندروس وأثناسيوس وديونسيوس وكيرلس وديسقورس .

وقد تعاقب على رئاسة هذه المدرسة فى القرون الثلاثة الأولى للمسيحية جماعة من فطاحل العلماء وهم مرقس . ويسطس . وأمانيوس ومركيانوس . وبنتينوس . وإكليمنضوس . وأوريجانوس . وياروكلاس وديونسيوس . وثاؤغسطس . وبيروس . وأرخلاوس . وبطرس . وسرابيون . ومقار السياسى . وديديموس الضرير . ورودون .

ومن أشهر علماء هذه الجامعة بانتينوس وإكليمنضوس . وأوريجانوس . وديديموس الضرير . وأثناسيوس . وكيرلس الكبير . ونفرد كلمة لكل منهم :

١ — بانتينوس :

ولد بانتينوس بالإسكندرية فى أوائل القرن الثانى من أصل

قبطى . ويقال أنه من تلاميذ أثيناغوراس الذى كان من فلاسفة الدين المسيحى فى النصف الأخير من القرن الثانى .

وكان بانتينوس من أوائل من أسندت إليهم رئاسة الجامعة المسيحية . وقد تولى إدارتها نحو سنة ١٨١ ميلادية حتى اختاره البابا ديمتريوس فى سنة ١٨٩ ميلادية ليعلم مبادىء الدين المسيحى فى الهند بناءاً على طلب المؤمنين بهذه البلاد ، فسلم رئاسة الجامعة إلى زميله إكليمنضوس ، وسافر إلى الهند ، ثم بعد أن أدى رسالته هناك قفل راجعاً ، ومر فى طريقه ببلاد اليمن ، وأحضر معه من هناك النسخة الأصلية المكتوبة بالآرامية من إنجيل متى ، ويقال أنها بخط متى نفسه ، وقد قام بعد ذلك بترجمة الكتاب المقدس من اليونانية إلى القبطية . وقد استعمل الحروف اليونانية فى كتابة اللغة القبطية بعد أن أضاف إليها السبعة الحروف الأخيرة من اللغة الديموطيقية فكان بذلك أول واضع للأبجدية القبطية المعروفة حتى اليوم . وقد ألف كتباً كثيرة تتضمن تفسير الأسفار الإلهية ولكنها فقدت كلها . وقد توفى بانتينوس فى أواخر القرن الثانى .

٢ — اكليمنضوس :

هو تيطس فلافيون ، المعروف بأكليمنضوس الإسكندرى ، تمييزاً له عن إكليمنضوس الرومانى ، وقد ولد فى أواسط القرن الثانى فى الإسكندرية — ويقول البعض فى أثينا — وقد انكب منذ حداثته على دراسة الفلسفة الرواقية والأفلاطونية . ثم راح يطوف ببلاد اليونان والرومان وآسيا الصغرى والشرق باحثاً عن العلم والمعرفة ، وأخيراً قصد مدرسة الإسكندرية اللاهوتية على عهد

بانتينوس الذى بشره بالمسيحية فاعتنقها على يديه ، وخلفه فى رئاسة المدرسة بعد أن رسم كاهناً نحو سنة ١٩٠ ميلادية . وقد وضع مؤلفات جليلة يستبين منها غزارة علمه وعمق فلسفته وعظيم إلمامه بقوانين الكنيسة وعقائدها . وقد بدأ بكتابة « نداء إلى الأغريق » يدعو فيه الوثنيين إلى اعتناق المسيحية ، ثم ألف كتاب « المربى » يصور فيه شخصية السيد المسيح ويشرح تعاليمه ، وينصح المؤمنين بالسير فى حياتهم على منهاجه ، وهو فى ثلاثه أجزاء . كما ألف كتاب « المتفرقات » فى التأمل والحكمة ، وهو فى ثمانية أجزاء . وهذه المؤلفات باقية حتى اليوم ، وقد طبعها الأسقف بوتسر باللغتين اليونانية واللاتينية . كما وضع إكليمنضوس رسالة عنوانها « من هو الغنى الذى يخلص ؟ » ورسالة عنوانها « الحث على الصبر » ، وغير ذلك من الكتب والرسائل التى لم يصلنا منها إلا النزر اليسير .

ومن أبرز ما تتميز به مؤلفات إكليمنضوس ، اجتهاده فى البرهنة على أن المسيحية تثبت أمام التمحيص الفكرى ، وأن البحث الفلسفى وسيلة لازمة لذلك ، وهو يقول فى ذلك : « إن الفلسفة التى أعنيها ليست هى الرواقية أو الأفلاطونية أو الأبيقورية أو الأرستطاليه ، وإنما هى مجموع ما تحويه هذه المذاهب من السمو فى تعاليمها عن العدل والحق » .

وأخيراً عصفت الاضطهادات بالمدرسة اللاهوتية فهاجر إكليمنضوس إلى كبادوكية ومات سنة ٢١٦ ميلادية .

وقد كان لإكليمنضوس تلميذ قدر له أن يتألق فى تاريخ الكنيسة القبطية ويبهر العالم بعبقريته الفذة ، وعلمه الغزير ، وآثاره الخالدة ، وذلك هو أوريجانوس الإسكندرى .

٣ — أوريجانوس :

ولد أوريجانوس بمدينة الإسكندرية فى سنة ١٨٥ ميلادية من والدين مسيحيين . وقد بدت نجابته منذ صغره فدرس مبادىء الرياضيات والمنطق والفلك ، حتى إذا بلغ الخامسة عشرة من عمره التحق بالمدرسة اللاهوتية حيث تتلمذ على رئيسها إكليمنضوس . ثم لما كان فى السابعة عشرة امتدت يد الإضطهاد الذى شنه الإمبراطور سافيردس إلى والده ليونيداس وسيق إلى ميدان الاستشهاد . فحاول أن يتبعه ليستشهد معه ، لولا أن بذلت أمه جهداً مضنياً لتثنية عن هذا العزم كى لا تفقدهما كليهما ، فكتب إلى أبيه رسالة تفيض حماسة وإيماناً ، يشجعه فيها ويقوى عزيمته ، قائلا له : « لا تتراجع ولا تضعف أبداً بسببنا » . وبالفعل استشهد أبوه وصودرت أملاكه فأصبح أوريجانوس وهو فى هذه السن رب عائلته المكونة من أمه وأخوته الستة ، وكان عليه أن يقوم بأودهم فنزل إلى ميدان العمل .

ومن ثم اكتسب حنكه فى الحياة أضيفت إلى ما يتصف به من حماس الإيمان والشغف بالعلم ، فجعل منه كل أولئك معلماً نابغاً ممتازاً رغم يفاعة سنه ، فالتف حوله التلاميذ ، وأكبره البابا ديمتريوس الكرام فعينه رئيساً للمدرسة اللاهوتية ، ولم يكن قد جاوز الثامنة عشرة من عمره ، فكان فى ذلك اعتراف بفضله وتقدير لعبقريته . وفى هذا المنصب الخطير عرفه العالم بطلا من أبطال المسيحية المدافعين عنها ، ومعلماً من فطاحل معلميها إذ جمع بين التبحر فى الدين والحماس له ، وبين الإلمام الواسع بكل ما وصل إليه العلم وبلغته الفلسفة فى عصره ، فكان بذلك أول من أقام علم اللاهوت على أسس منظمة

من المنطق العلمى . وقد كان يقول فى ذلك : « إننا ينبغى أن نستخدم العلم فى فهم الكتاب المقدس ، لأنه مادام الفلاسفة قد درجوا على القول بأن دراسة العلوم تؤدى بنا إلى فهم الفلسفة ، فينبغى أن نقول نحن أن دراستها تؤدى بنا إلى فهم المسيحية » حتى إذا رأى مقتضيات استكمال أدواته الجدلية التبحر فى العلوم اليونانية لم يتردد فى الانخراط فى المدرسة الوثنية ، والتتلمذ على مديرها أمونيوس السقاص ، قائلا فى ذلك : « إننى لما كنت قد كرست نفسى لخدمة كلمة الخلاص وكنت محوطاً بجماعة من المغرمين بالعلوم اليونانية ، قصدت أن أفحص أفكار الهراطقة وأمتحن تأليف الفلاسفة الذين ينطقون أحياناً بحقائق لابد من الإلمام بها » إلا أن هذا المنهج انتهى بأوريجانوس إلى إدخال كثير من أفكار الأفلاطونية الجديدة فى المسيحية ، حتى لقد قال عنه أحد معارضيه إنه « يعيش كمسيحى ، ولكنه يفكر كيونانى » كما أن من أثر هذا المنهج الذى سلكه أن أساء بعض المتعصبين من تلاميذه فى الأجيال اللاحقة فهم آرائه . ونسبوا إليه ما لم يصدر عنه ، ولا سيما حين ظهرت الأريوسية ، وادعت أنها من وحي تعاليمه ، فكان من نتيجة ذلك أن اضطر البابا بطرس لأن يشن حملة عنيفة للقضاء على هذا الإتجاه منادياً بأن « كل ما يأتى عن طريق الفلسفة اليونانية إنما هو غريب عن أولئك الذين يريدون أن يعيشوا فى المسيح » . ومع ما أدت إليه تعاليم أوريجانوس من خلاف فى الرأى ، فقد كان ولا شك هو الشعلة التى أضاءت لكل من جاء بعده من أعلام المسيحيه فى الشرق والغرب على السواء ، وهو الملهم لهم جميعاً : ففى الشرق اعتبره باسيليوس الكبير وغريغوريوس النازينزى ، معلمهما وأستاذهما . وقد جمعا فى مؤلف

لهما أسمياه « فيلوكاليا » نبذات من كتابه « مبادىء الفلسفة المسيحية » . وقال عنه إيرونيموس أنه « كان بلا جدال المعلم الأول لجميع الكنائس بعد الرسل » وفى الغرب لم تكن مؤلفات أساطين الكنيسة اللاتينية وأعظم لاهوتييها إلا أفكاراً منقولة عن أوريجانوس ، وقد نقل هيلاريوس أسقف بواتييه بفرنسا تفاسيره لإنجيل متى وسفر أيوب والمزامير إلى اللاتينية ، كما نقل أمبروسيوس معلم أوغسطينوس عنه شرحه للتوراة ، وكذلك فعل القديس إيرونيموس . ويعترف أوسابيوس أسقف فرسيل بأيطاليا بأنه لم ير فلسفة حقيقية فى غير مؤلفات هذا العلامة القبطى .

وقد عاش أوريجانوس حياة مسيحية خالصة ، بل لقد أخذ نفسه فى فى هذا السبيل بالعنف والعسف ، متبعاً فى حياته نظاماً نسكياً صارماً ، فكان ينام على الأرض ويمشى حافى القدمين ولا يملك إلا جلباباً واحداً ولا يقرب اللحم ولا يشرب الخمر ولا يأكل إلا ما يقيم الأود . بل أنه كى ينتصر على شهوة الجسد ويتجنب الغواية خصى نفسه عملا بالنص الحرفى للآية الإنجيلية القائلة : « هناك أناس خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات » وبذلك أعطى أسطع برهان على حياة الطهر التى وهب نفسه لها .

وكان حركة دائبة لاتكل ولاتهدأ فى أداء رسالته التى أخذها على عاتقه فكان لا يفتأ يتعلم ويعلم . بيد أن ذلك لم يكن ليصرفه عن الإهتمام بأولئك الأبرياء الذين وقعوا فريسة الإضطهاد ، وكانوا يساقون كل يوم إلى ساحة الاستشهاد ، فكان ما يفتأ يتبعهم ليشد من أزرهم فى ساعات الضيق ، ويقتحم الأسوار المضروبة حولهم فى جرأة وشجاعة ليعزيهم ويقوى عزائمهم ويقبلهم قبلة الوداع ، وقد قبض على خمسة من تلاميذه الأحباء فظل معهم إلى آخر لحظة ، وقد رأى مصرع أربعة منهم وهم ساويرس الذى أحرقوه

بالنار وهيراقليدس وهارون وبلوتارخ الذين قطعوا رؤوسهم . أما الخامس فقد نجا وهو ياروكلاس الذى أصبح بعد ذلك رئيساً للمدرسة اللاهوتية ثم بطريركاً .

وقد كان من أثر بلاغة أوريجانوس وجرأته أن هدى كثيرين من الوثنيين إلى المسيحية فسخط الوثنيون عليه وأرادوا أن يفتكوا به ، وفى ذلك يقول أوسابيوس المؤرخ « إن عوامل الإضطهاد كانت تزداد ضده كل يوم ، وقد أصبح حنق القوم عليه عظيماً حتى أن أهالى الإسكندرية عن بكرة أبيهم لم يستطيعوا احتماله أو الصبر على انتقاله من منزل لآخر وجولاته فى كل ناحية مرشداً ومشجعاً الجم الغفير الذين هداهم إلى الإيمان الصحيح »

وروى أبيفانوس أن رعاع الوثنيين أمسكوه يوماً وهو فى الطريق وحملوه بضجيج عظيم إلى هيكل سيرابيوم وألبسوه لباس كهنتهم ورفعوه إلى المنصة وأعطوه سعف النخل كى يوزعه على عبدة الأوثان ، فلوح بالأغصان ونثرها على المتجمهرين قائلا بصوت عظيم « هلموا خذوا هذه الأغصان ، ولكن لا برسم الأوثان وإنما باسم يسوع المسيح خالق الإنسان» .

وفى سنة ٢١١ سافر أوريجانوس إلى روما فى عهد أسقفها سافرينوس فقوبل هناك بكل إجلال واحترام .

ثم فى سنة ٢١٢ بعث حاكم بلاد العرب إلى البابا ديمتريوس بطريرك الإسكندرية يطلب إليه إرسال أوريجانوس الذى بلغتهم شهرته ليشرح لشعبه تعاليم الدين المسيحى ، فأذن البابا لأوريجانوس بتلبية هذه الدعوة ، فترك فى مكانه ياروكلاس وذهب لإتمام هذه

المهمة، ثم ذهب بعد ذلك مرة أخرى إلى بلاد العرب ليحضر مجمعاً انعقد هناك بسبب سقوط بيرلوس أسقف البصرة وهراطقته، فتمكن أوريجانوس من إرجاعه إلى الإيمان الصحيح. كما ذهب إلى بلاد العرب مرة ثالثة لدحض بدعة انتشرت هناك مؤداها أن اللاهوت مات مع الناسوت ثم قام معه بعد ذلك.

وفى سنة ٢١٥ اشتد الإضطهاد بالإسكندرية فى عهد الإمبراطور كاراكلا فهرب أوريجانوس إلى قيصرية فى فلسطين حيث لقى هناك كل إجلال وإكرام. ومع أن وظيفة الوعظ كانت حينذاك وقفاً على رجال الكهنوت ولم يكن أوريجانوس قد نال رتبه كهنوتية، طلب إليه ألكسندروس أسقف أورشليم وثيوتيسوس أسقف قيصرية أن يشرح الأسفار المقدسة للشعب. حتى إذا خفت وطأة الإضطهاد عاد إلى الإسكندرية وواصل نشاطه الأول فى المدرسة اللاهوتية.

وفى سنة ٢١٩ استدعته « جوليا ماميا » والدة الإمبراطور إسكندر سافيروس إلى أنطاكية لتراه وتستمع إليه وتستأنس بآرائه، وقد طبقت شهرته الآفاق، فلما ذهب اليها سرت به سروراً عظيماً وطلبت إليه أن يعلم الشعب.

وفى سنة ٢٢٨ أرسل لهالبابا ديمتريوس الى أخائية ببلاد اليونان ليقاوم الهراطقة الذين أقلقوا راحة الكنيسة هناك، فقام بهذه المهمة، ثم زار فلسطين قبل عودته، وهناك أقنعه ثوسيتوس أسقفها، وألكسندروس أسقف أورشليم بأنه لا يجوز « لأستاذ الأساقفة وأمير شراح الكتب المقدسة » أن يكون مجرداً من كل رتبة كهنوتية فقبل منهما درجة القسوسية وكان عندئذ فى الثالثة والأربعين

من عمره . إلا أن البابا ديمتريوس بطريرك الإسكندرية حين سمع بذلك عقد مجمعاً بالإسكندرية سنة ٢٣١ وعزل أوريجانوس من الرتبة الكهنوتية قائلا إنه « لايصلح لها لأنه خصى نفسه » كما حكم بنفيه من الإسكندرية . ومن ثم أقام أوريجانوس فى قيصرية فلسطين ، حيث استأنف نشاطه هناك ، عاقداً حلقات للدرس أمها كثيرون من طلاب اللاهوت ، وقد دخل كثيرون فى المسيحية على يديه ، ومنهم غريغوريوس ثاغماتورغوس ، أى صانع العجائب ، وقد رسم أسقفاً بعد ذلك على قيصرية الجديدة من أعمال تيطس ، وأخوه أثينودوروس ، الذى صار أسقفاً أيضاً على تلك البلاد .

وفى أثناء اضطهاد مكسيميانوس سنة ٢٣٦ فر أوويجانوس من قيصرية ولجأ إلى فروميتيانوس أسقف قيصرية فى كبادوكية ، حتى إذا شمل الإضطهاد هذه النواحى كذلك اختبأ أوريجانوس مدة سنتين فى بيت سيدة فاضلة ثرية تسمى يوليانة ، وقد أذنت له فى هذه الأثناء بالانتفاع بمكتبة كانت قد ابتاعتها من سيماخوس أحد علماء الأبيونيين ، وهو الذى ترجم العهد القديم إلى اليونانية ، فانتفع أوريجانوس بهذه المكتبة انتفاعاً عظيماً .

وفى سنة ٢٣٨ كانت قد خفت حدة الاضطهاد فعاد إلى قيصرية فى فلسطين واستأنف هناك أعماله . ولكن ما لبث أن ثار الاضطهاد الذى شنه ديسيوس على المسيحيين ، وقد استشهد فى هذا الاضطهاد القديسان الكسندروس أسقف أورشليم وباسيليوس أسقف أنطاكية فقام أوريجانوس يدافع عن المسيحيين ، ومن ثم قبضوا عليه وطرحوه فى السجن وعذبوه عذاباً أليماً . وقد كتب يوسيبوس فى وصف ما عاناه فى السجن ذلك العالم الجليل قائلا : « يصعب على الكاتب الماهر

وصف ما قاساه أوريجانوس واحتمله بصبر وفرح من العذاب الشديد والالام القاسية أثناء هذا الإضطهاد إذ وضعوه فى مقطرة من حديد وزجوا به فى أعماق السجن حيث ظل مطروحاً على خشبة ومشدوداً بأربعة وثاقات لا يستطيع معها الحراك ، وهم يشعلون النار من حوله تهديداً له وتخويفاً ، ولكنه لم يبد ضعفاً أو ضجراً . وقدموه للحكم عليه بالموت ، فسعى القاضى الموكل بالحكم جهده فى تأخير موته ، لا لينجيه ، وإنما ليطيل عذابه » .

إلا أنه أطلق سراحه بعد موت ديسيوس ، ولكنه كان قد أقعدته القيود التى رسف فيها زمناً طويلا ، وحطمته الآلام ، فلم تطل حياته بعد خروجه من السجن ومات فى سنة ٢٥٤ ميلادية بمدينة صور ، وكان وقد بلغ من العمر ٦٩ سنة ودفن بالمكان الذى مات فيه ، وقد بنيت بعد ذلك كنيسة فوقه ، وقد كتب على قبره : « هنا يرقد أوريجانوس العظيم » ، وبموته انطفأ ذلك السراج الذى أضاء العالم المسيحى بأسره نصف قرن من الزمان .

وقد وضع أوريجانوس خلال حياته الحافلة عدداً ضخماً من المؤلفات يبلغ الآلاف ، لم يصلنا منها إلا النزر اليسير من المقتطفات والشذرات :

ومن أضخم مؤلفاته كتابه المسمى « الهكسيلا » وقد حقق فيه النصوص الكتابية فى كل ترجمات الكتاب المقدس ، بأن وضعها فى ستة أعمدة تشمل : ترجمة إكويلا وهو يهودى ترجم الكتاب المقدس من العبرية إلى اليونانية ، وترجمة سيماخوس ، وهو من شيعة الأبونيين المراطقة ، وترجمة ثاؤدسيوس وهو وثنى إعتنق الديانة المسيحية وترجم الكتاب المقدس سنة ١٨٠ ميلادية ، والترجمة السبعينية ، والأصل العبرى مكتوباً بحروف

يونانية ، وقد قضى أوريجانوس فى تأليف هذا الكتاب ٢٨ سنة ، وهو فى خمسين جزء ضخم ، وقد كان محفوظاً فى مدينة صور ، ثم نقل إلى مدينة قيصرية ليحفظ فى مكتبتها ، إلا أن هذه المكتبة قد احترقت بعد ذلك بكل ما فيها .

ويتناول البعض الآخر من المؤلفات أبحاثاً لاهوتية وفلسفية ، ومن ذلك كتاب « المبادىء » الذى شرح فيه فلسفةالمسيحية ، ورسالة «الصلاة» ورسالة « الدعوة إلى الإستشهاد » وكتاب « الرئاسات » فى أربعة أجزاء وكتاب « المتنوعات » فى عشرة أجزاء ، وكتاب « القيامة » ولم تبق منه إلا أجزاء قليلة ، و « شرح الكتاب المقدس » فى ثلاثة أجزاء .

وتتناول فئة ثالثة من مؤلفاته الدفاع عن المسيحية والردعلى الإعتراضات الموجهة إليها من الوثنيين ، وخاصة الفيلسوف سلسوس ، وقد فند حججه واحدة بعد أخرى فى مجلد ضخم من ثمانية أجزاء بعنوان « الرد على سلسوس » .

وذلك غير الرسائل العديدة التى دون منها يوسيبوس مائة رسالة ، ولم يبق منها إلا القليل ، وغير المؤلفات الأخرى التى لا تقع تحت حصر ، والتى جعلت من أوريجانوس بحق أستاذ اللاهوت الذى تتلمذ عليه الشرق والغرب ، واعترفت بفضله المسيحية كلها .

وقد جد العلماء فى طبع مؤلفات أوريجانوس ، وأشهر ما طبع منها طبعة منتفوكون التى صدرت فى مجلدين بباريس سنة ١٧١٣ ميلادية ، وكتاب « المبادىء » وقد صدرت منه طبعة رودينغ فى ليبزج سنة ١٨٣٦ وطبعة شنيتسر فى ستتغارت ، وقد طبعت مؤلفات أوريجانوس كلها فى باريس بين عامى ١٧٣٣ و ١٧٥٩ فى أربعة مجلدات ضخمة .

وقد أساء البعض فهم آراء أوريجانوس التي شرحها في مؤلفاته ، كما تعمد البعض تحريفها أثناء النقل أو الترجمة، ولذلك قام من يتهم أوريجانوس بالهرطقة ، وبتسميم المعتقدات المسيحية بالأفكار التي أستمدها من الفلسفة اليونانية ، مع أن أوريجانوس نفسه قرر في مقدمة كتابه « المبادىء » ضرورة نبذ أكثر مايقوله فلاسفة اليونان ، وأنه كان يستعين بالفلسفة على رد هجمات أصحابها على المسيحية وقد أشار إلى ذلك في إحدى رسائله إلى إغريغوريوس حيث قال : « كما أن العبرانيين قد صنعوا بذهب المصريين وفضتهم تابوت العهد والكاروبين وأواني المذبح ، كذلك يجب علينا نحن المسيحيين أن نصنع بفلسفة اليونان. فلننتقل إلى هيكل الحكمة الإلهية هذه الزينات التي يسيء أربابها استعمالها . ولنأخذ عن اللغة اليونانية التي طالما استعملت لمدح الضلال والرذيلة ، عذوبتها وطلاوتها لتزين حقيقتنا الناصعة التي طالما ألبسوها باطلهم وبهتانهم . فلنجعل إله الشر قوة للخير ، ولكن حذار من الترهات التي تكسوها هذه الزينات . حذار من أن ننقل شيئاً منها إلى دين الحق لئلا نضل ونكون مثل يربعام الذي تزوج إبنة ملك مصر وعاد مع عروسه إلى اسرائيل فأبدل عبادة الإله الحقيقي بعبادة أصنام المصريين » .

وقد أنصف أساطين العلماء والقديسين أوريجانوس مما اتهم به ، فقال روفينوس : « لم يكن أوريجانوس مجرد كاتب عذب المشرب يرتاح إليه أمراء الكتاب أو مجرد مؤلف فاق نظراءه بمؤلفاته الدانية القطوف ، بل كان بلا جدال المعلم الأول لجميع الكنائس بعد الرسل ، ولا مشاحة في أن آراءه تعبر عن الأرثوذكسية التي لم يشبها ضلال » .

وكان غريغوريوس أسقف ينصص بالكبادوك يلقبه بزعيم فلاسفة المسيحيين .

وقال عنه بمفيليوس البيروتى : « إن لخصوم هـذا الفيلسوف عقولا قاصرة عن الخوض فى عباب مباحثه الواسعة وعاجزة عن إدراك سمو المعانى التى يرمى إليها من كان معلماً لكنيسته بعد رسل الرب » .

ومات القديس يوحنا ذهبي الفم منفياً فى سبيل الدفاع عن مبادىء أوريجانوس .

وكان ممن دافعوا عن أوريجانوس كذلك البـــابا ديونوسيوس الإسكندرى وغريغوريورس العجايبى وباسليوس الكبير وديديموس الضرير والبابا أثناسيوس الرسولى .

هذا هو أوريجانوس كوكب الفكر المسيحى الذى تألق فى القرن الثالث ، ، ثم بقى نوره على مر العصور .

٤ – ديديموس :

هـو ديديموس المشهور بالضرير ، وقد ولد فى أوائل القرن الرابع ، وأصيب فى صغره بمرض فى عينيه أفقده البصر ، إلا أن رغبته الشديدة فى تحصيل العلم ذللت أمامه كل عقبة فتعلم البيـــان والفلسفة والرياضة والموسيقى ، وقال إيرونيموس « إنه تعلم حتى الهندسة التى تحتاج إلى البصر أكثر من سـواها ، فكان ذلك أعجوبة لـكل من رآه وقد ذاع اسمه فى كل مكان » وكانوا يسمونه النبى البصير . وقد عين مديراً للمدرسة اللاهوتية وهـو فى نحو الأربعين من عمره ، وكان الساعد الأيمن لأثناسيوس الرسولى ، والصديق الحميم للقديس أنطونيوس . وقد وضـع جملة مؤلفات لاهوتية نفيسة ذاع صيتها حتى لقد جذبت إليـــه من الغرب روفينوس وإيرونيموس

وبلاديوس فجاءوا ليتلمذوا عليه ، وقد كتب شرحاً وافياً لكتاب « المبادىء » لأوريجانوس أوضح فيه خطأ الذين يعتقدون فى أوريجانوس الضلال ، قائلا : « إن أولئك الذين يتهمون أوريجانوس بالإبتداع قاصرو الفهم عاجزون عن إدراك الأفكار العميقة والحكمة السامية التى امتاز بها ذلك الرجل العظيم الذى يعد من النوابغ المشهورين » .

ومن مآثر ديديموس أنه ابتكر تعليم العميان القراءة بطريقة الحروف المحفورة على ألواح خشبية قبل أن يبتكر برايل طريقة الكتابة بالحروف البارزة بخمسة عشر قرناً ، كما أنه فيما يقال واضع أوشية الإنجيل فى القداس المرقسى . وهو صاحب تعبير « إله واحد فى ثلاثة أقانيم » ، وقد أخذ عنه اليونان لفظ « أقنوم » منذ ذلك الحين . وقد توفى سنة ٣٩٦ ميلادية ، وهو فى الثالثة والثمانين من عمره .

وقد قال عنه سقراط المؤرخ : « لقد كان ديديموس هو الحصن الحصين والسند القوى للديانة المسيحية حتى قبل أن يتولى رئاسة المدرسة اللاهوتية ، وقد كان خصماً عنيداً كسر شوكة أتباع آريوس وأذلهم فى مناظرته لهم » .

وقد وضع ديديموس عدة مؤلفات ، منها تفسير للمزامير ولإنجيلى متى ويوحنا ، وكتاب فى عقائد الدين ، وكتابان فند فيهما ضلال الأريوسيين ، وكتاب فى الروح القدس ، ترجمه إيرونيموس إلى اللاتينيه ، وعشر كتب فى تفسير نبوة أشعياء ، وثمانية فى تفسير نبوة هوشع وخمسة فى تفسير نبوة زكريا ، وبعث إلى إيرونيموس

بثلاثة كتب فى تفسير آيات من الأسفار المقدسة ، كما فسر سفر أيوب .

٥ ـ أثناسيوس :

ولد أثناسيوس الملقب بالرسولى بالإسكندرية فى سنة ٢٩٦ ميلادية من والدين مصريين ، والتحق فى شبابه بالمدرسة اللاهوتية . وقد اكتشف البابا ألكسندروس نجابتـــه فشمله برعايته واعتنى بتهذيبه وتثقيفه ، فنـال حظاً وافراً من العلوم اللاهوتية والفلسفية ، وقـد كتب وهو فى الثانية والعشرين من عمره رسالة ضد الوثنيين ، دلت على غزارة مادته وقوة حجته ، فرسمـه البابا ألكسندروس شماساً ، ثم رئيساً لشمامسة الكرسى البطريركى ، واتخذه مساعداً له . وفى سنة ٣٢٥ أخذه معه إلى مجمـع نيقية ، فلعب فيه دوراً هاماً وأظهر قدراً عظيماً من الفصاحة وقوة العارضة فى دحض آراء آريوس وتفنيد بدعته ، وقـد أعجب به الحـاضرون جميعاً ، وقال له الإمـبراطور قسطنطين « أنت بطل كنيسة الله » .

وفى سنة ٣٢٦ توفى البابا ألكسندروس فاختار الشعب أثناسيوس خلفاً له ، وكان عندئذ فى الثـامنة والعشرين من عمره ، ولكنه لم يكد يعتلى الكرسى البطريركى حتى ناصبه الأريوسيون العداء لموقفه منهم فى مجمـع نيقيه ، وأوغروا صدر الإمبراطور قسطنطين ضده . فأمر بنفيه إلى جنوب فرنسا ، فذهب إليها سـنه ٣٣٥ ، حتى إذا مات الإمبراطور سنة ٣٣٨ عاد إلى الإسكندرية فقوبل فيها باحتفال عظيم . إلا أن معركته مـــع الأريوسيين ظلت مستمرة ، وكان يعاضدهم فى خصومته الإمبراطور الجديد قسطنس ومن بعده يوليانوس وقد اضطهده كل منهما وطارده ، فكان يلجأ إلى الصحراء ، ويعتكف

هناك. سنوات طوالا مع الرهبان ، ثم لا يلبث أن يعود فيواصل الجهاد من جديد. فمازال بالأريوسية حتى قضى عليها القضاء الأخير، بعد أربعين سنة من الكفاح المتواصل .

ولكن لم يكد ينتهى من نضاله ضد الأريوسية حتى ظهر أبوليناريوس أسقف اللاذقية ببدعته التى مضمونها أن جسد المسيح نزل من السماء ولم يولد، وأنه جسد خيالى وليس حقيقياً ، فانبرى له أثناسيوس وكتب فى دحض بدعته ثلاث رسالات قضى بها عليها .

ولم تكن شيخوخته لتحول بينه وبين الكفاح ضد المبتدعين فى كل مكان : فكتب إلى داماسوس أسقف روما يحثه على توقيع العقاب الكنسى على أورانس أسقف ميلان الذى ناصر الأريوسيين، فأجابه داماسوس إلى طلبه ، كما كتب إلى القديس باسيليوس أسقف قيصرية الكبادوك وغريغوريوس النازنيزى وغريغوريوس نيصص وغيرهم من الأساقفة الأرثوذكسيين يحثهم على قطع دابر البدع ومقاومة مبتدعيها . وظل يناضل هكذا حتى توفى سنة ٣٧٣ وهو فى السابعة والسبعين من عمره وقد قضى فى كرسى البطريركية ست وأربعين سنة ، وقد رثاه غريغوريوس النازنيزى قائلا : « هكذا انطفأ أثناسيوس عين العالم المقدسة ، والصوت العالى للحق ، ورسول المسيح الجديد » .

ولما كان هذا الرجل العظيم قد شابه الرسل فى جهادهم وكفاحهم عن الإيمان القويم فقد لقبته الكنيسة « بالرسولى » .

وقد أشاد الغربيون بعبقرية أثناسيوس وفصاحته وقوة حجته ، وإرادته الحديدية فى الصمود لكل القوى التى قامت ضده وعلى رأسها الإمبراطور نفسه فى سبيل الدفاع عن العقيدة المسيحية الحقة . وقد بلغ من

إعجاب الغربيين به أن نقلوا رفاته إلى بلادهم ، فأخذوها أولا إلى القسطنطينية ثم إلى البندقية ، ثم إلى فرنسا ثم إلى أسبانيا .

وقد ترك لنا أثناسيوس تراثاً عظيماً من المؤلفات التى تدل على علو كعبه فى اللاهوت والمنطق والفلسفة جميعاً ، وعلى قدرته العجيبة فى الجدل والإقناع بالحجة القوية والبرهان الساطع : فمن كتب جدلية لمحاربة البدع والهرطقات مثل كتبه ضد آريوس وأبوليناريوس ، إلى كتب عقائدية مثل « تجسد الكلمة » و « الخطيئة غير المغفورة » إلى دراسات فى الكتب المقدسة ، مثل « عرض المزامير والتعليق عليها » إلى مؤلفات أدبية كرسالته عن « البتولية » إلى مصنفات تاريخية مثل « حياة القديس أنطونيوس » ، وذلك غير الرسائل العديدة التى بعث بها إلى الإمبراطور قسطنطين ، والى الأساقفة ، والى المجامع المحلية وإلى أهل أنطاكية وغيرهم .

وهكذا كان أثناسيوس كوكباً من ألمع كواكب المدرسة اللاهوتية ثم أصبح بعد ذلك هو المنار الذى بدد تلك الظلمات التى اكتنفت الكنيسة فى عصرها الأول ، وكادت أن تلقى بها فى ليل لاآخر له فكان بذلك منقذ المسيحية من الضلال ومرشدها إلى طريق الحق والحياة .

٦ — كيرلس

كان كيرلس الملقب بالكبير ابن أخت البابا الإسكندرى تاوفيلس فاعتنى بتربيته وتثقيفه وتزويده بالعلوم اللاهوتية والفلسفية ، ولذلك ألحقه فى صغره بالمدرسة اللاهوتية ، ثم أرسله بعد تخرجه منها إلى وادى النطرون حيث تتلمذ على الحكيم سيرابيون ، وأقام هناك

خمس سنوات قرأ فيها ما وصل إلى يده من الكتب والرسائل الدينية والكنسية ، ويقال أنه سافر بعد ذلك إلى أثينا حيث تتلمذ على ليبانوس أعظم أساتذة ذلك العصر . ثم أكب بعد عودته على دراسة الكتاب المقدس ، حتى برع فى تفسيره براعة أثارت الإعجاب والدهشة لدى البابا ثاوفيلس ، فطلب إليه على صغر سنه أن يعظ الناس فذاعت شهرته وقصده المؤمنون من كل ناحية للاستماع إليه .

حتى إذا توفى البابا ثاوفيلس سنة ٤١٢ اختاره الشعب بالإجماع خلفاً له ، فوجه كل اهتمامه منذ بداية عهده إلى مقاومة البدع التى ظهرت حينذاك .

وكان الإمبراطور يوليانوس قد كتب آراءه المليئة بالطعن والتجريح فى السيد المسيح ، وعمل على نشرها بالقوة بين رعاياه ، فكتب البابا كيرلس الرسائل والمقالات فى تفنيد تلك الآراء وطلب إلى الإمبراطور ثاؤودسيوس جمع مؤلفات يوليانوس وإحراقها ، ففعل الإمبراطور ذلك ، فقضى بذلك على خطر كان يهدد المسيحية فى ذلك الحين .

ثم قام بعد ذلك أتباع نوفاسيانوس ، ينادون ببدعة جديدة ينكرون بموجبها غفران الخطايا ، فحاول البابا كيرلس إقناعهم بفساد رأيهم لأن الله غفور رحيم . ولكنهم أصروا على اعتقادهم ، فطردهم من الإسكندرية وجرد أسقفهم من رتبته الكهنوتية .

إلا أن أخطر البدع التى كرس البابا كيرلس نفسه لمقاومتها ، هى تلك التى نادى بها نسطور بطريرك القسطنطينية ، إذ زعم أن فى المسيح أقنومين أحدهما إلهى والآخر إنسانى ، وأن العذراء لم تلد إلها بل إنساناً ، فقام كيرلس يسفه هذا الرأى ويثبت أن للسيد المسيح

أقنوماً واحداً إلهيا اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحاداً تاماً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة . وراح يكتب إلى نسطور رسالة بعد أخرى تفيض بالحجج والبراهين على فساد رأيه ، فلما لم يتلق منه رداً كتب إلى أساقفة كل الكنائس يستنهض همتهم للدفاع عن الإيمان القويم كما كتب إلى بابا رومية ، فأمر هذا بعقد المجمع الرومانى سنة ٤٣٠ وحكم بتحريم بدعة نسطور وقطعه من الكنيسة كما عقد كيرلس مجمعاً فى الإسكندرية وحرم فيه نسطور وبدعته ، ثم أرسل إلى الإمبراطور يطلب إليه عقد مجمع عام لينظر فى أمر نسطور فأجابه الإمبراطور إلى طلبه ، وأمر بعقد مجمع عام بمدينة أفسس سنة ٤٣١ ميلادية ، وقد حضره مائتا أسقف من جميع الكنائس وقضى بتحريم بدعة نسطور وأثبت أن فى المسيح أقنوماً واحداً وطبيعة واحدة ، بعد الاتحاد بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تحول ، وأن العذراء هى بحق والدة الإله .

وبذلك انتصر البابا كيرلس فى هدم بدعة نسطور التى عرضت الكنيسة لزوبعة عاتية كادت تصيبها بالتصدع ، وعاد إلى الإسكندرية حيث واصل جهاده فى خدمة الكنيسة ، ووضع المؤلفات البليغة عن ألوهية المسيح وسر التجسد وأمومة مريم الإلهية والثالوث الأقدس حتى توفى سنة ٤٤٤ ميلادية وهو فى الخامسة والستين من عمره ، بعد أن قضى فى كرسى البطريركية ما يزيد على الثلاثين عاماً .

وقد قال عنه البابا أغاثون : « إنه كان المناضل عن الحقيقة والمبشر الخالد بالإيمان الأرثوذكسى القويم »

وقال عنه شلستيون الأول : « إنه الرجل الرسولى والكاهن العميق الخبرة والمدافع الصالح عن الإيمان » .

وقد نشرت الإكليريكية الفرنسيسكانية بمصر مجموعة دراسات عن كيرلس الكبير سنة ١٩٤٤ بمناسبة مرور ألف وخمسمائة عام على وفاته وهى مصدرة بكلمة للبابا بيوس الثانى عشر .

وقد ترك البابا كيرلس عدة مؤلفات نفيسة فى مقدمتها « قداس مرقس الرسول » الذى جمعه ونظمه ، ولذلك يسمى بالقداس الكيرلسى وهو القداس القبطى الأصيل .

وله عدة كتب ضد بدعة نسطور وبدعة يوليانوس ، وعدة رسائل لاهوتية فى « الثالوث الأقدس » و « التجسد » و « العبادة الروحيه » فضلا عن تفسير الأسفار الخمسة . وسفر أشعياء وأسفار الأنبياء الصغار وإنجيل يوحنا ، وعدة خطب ورسائل . وقد جمعت تفسيرات كيرلس وخطبه ورسائله فى عشرة مجلدات من مجموعة «مين» الشهيرة ، وكذلك فى مجموعة الآباء الإغريق ، كما وردت بعض رسائله فى كتاب سير البطاركة لابن المقفع .

* * *

أولئك بعض عمداء وتلاميذ المدرسة اللاهوتية المشهورة بالجامعة المسيحية ، أو جامعة الإسكندرية ، التى ظلت مناراً للعلوم والفلسفات المسيحية ، ودعامة للمبادىء الكنسية حتى وقع الإنشقاق بالمجمع الخلقيدونى فى أواسط القرن الخامس ، فكان سبباً فى تشتيت شملها وأفول نجمها شيئاً فشيئاً حتى اندرست معالمها .

البحث الرابع

البدع والهرطقات

كان ميلاد السيد المسيح بتلك الطريقة الفذة ، وحياته المثالية ، وتعاليمه الإلهية ، وماصنع من معجزات فوق مقدرة البشر ، وموته وقيامته، وصعوده حوادث تجل عن تفكير العقل الإنسانى ، ويضل فيها منطقه ، وقد تسلمها المؤمنون كما سلمها لهم سيدهم ، مقرين بعجز ملكاتهم الأرضية عن اكتناه ما تتضمنه من حقائق سمائية ، وقد كفاهم داعياً للاقتناع والتسليم مارأوه بأعينهم ، وما سمعوه بآذانهم من أمور خارقة للطبيعة، لايمكن أن تصدر إلا عن إله قدير ، ولا يمكن أن يرتفع الى مستواها أى تأمل أو تفكير .

ولكن دواعى العجز البشرى تأبى إلا أن تعبث أحيانا بالنفوس ، ضعفاً او صلفاً وغروراً ، فكان لايفتأ يظهر من حين لآخر من بين المسيحيين رجل يأبى إلا أن يخضع الإلهيات للمنطق الإنسانى ، ومن ثم يضل بطبيعة الحال تفكيره ، ويحيد عن الإيمان القويم فهمه وتقديره .

وقد حاول بعض العلماء الأوائل ـ فى مجال البحث الفكرى ـ إخضاع المعتقدات المسيحية ـ مخلصين فى ذلك أو غير مخلصين ـ لمنهج البحث الفلسفى عند اليونان ، كما حاول بعضهم الآخر تفسيرها على هدى الديانات القديمة من مصرية وفارسية ويهودية ومجوسية ، ومن ثم شوهوها كل تشويه ،

وخرجوا بها عن أصلها القويم إلى مجموعة من الأوهـام والخزعبلات ، كما فعل الغنوسطيون والمانيون واتباع كرنثيوس وباريليدس وكربوكراتس وأمونيوس السقاص وغيرهم .

وراح آخرون من ضعيفى الإيمان أو ذوى المطامع والغايات ، يكيفون المعتقدات المسيحية على مقتضى تصـورهم أو هواهم ، محتجين تارة بطبـائع الأشيـاء ، ومتشبثين تارة أخـرى بالنص الحـرفى لآية من آيات الكتاب المقـدس ، وقد كانوا يبثون تعاليمهم المستممة بين البسطاء من النـاس حتى يستفحل أمرهم ، ومن ثم يغـدو أمراً محتماً على رجال الـكنيسة النهوض لمقاومة هـذه الأفكار المضللة التى دوجوا على تسميتها بالبدع والهرطقات ، وقد بادروا فى هذا السبيل إلى عقد المجـامع المحلية أو العالمية لتفنيد تلك الأفكار والتدليل على خطئها ، وحرمان مبتدعيها من رعاية الكنيسة ، وقد أجمع المسيحيون فيما عقدوه إبان القرن الرابع من مجامع عالمية ـ أو مسكونية كما اعتادوا أن يسموها ـ على وضع قانون للإيمان يتضمن المعتقد الصحيح لكل المسيحيين ، ويقطع السبيل على كل من يحاول تغيير أمر أو تفسير أمر على غير مقتضى هذا القانون . وقد درج المسيحيون جميعاً منذ وضع هـذا القانون فى القرن الرابع الميـلادى إلى اليوم عـلى التمسك به وتلاوته أثناء الصلاة فى كل كنائس العالم دون استثناء . وهذا هو نص ذلك القانون :

« نعظمك يا أم النور الحقيقى ، ونمجدك أيتها القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنـا مخلص العـالم ، أتى وخلص نفوسنا ، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح ، فخر الرسل ، إكليل الشهداء ، تهليل الصديقين ، ثبات الكنائس ، غفران الخطايا . نبشر بالثالوث المقدس ، لاهوت واحد ، نسجد له ونمجده. يارب ارحم . يارب ارحم . يارب بارك . آمين ـ بالحقيقة نؤمن بإله واحد. الله الآب ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، ما يرى وما لا يرى . نؤمن

برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور. نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء. هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه. وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء — نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب المسجود له والممجد مع الآب والإبن، الناطق في الأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي — آمين».

ونورد فيما يلي بياناً موجزاً عن بعض البدع التي ظهرت في القرون الأولى للمسيحية وكانت مخالفة للمبادىء التي يتضمنها قانون الإيمان الذي أوردنا نصه فيما سلف. وسنذكر هذه البدع بالترتيب الزمني لظهورها :—

١ — كرنثيوس :

ظهر كرنثيوس بالإسكندرية سنة ٧٣ ميلادية، وهو يهودي المولد، تعلم الفلسفة وحاول أن ينشىء ديانة جديدة يؤلفها من تعاليم المسيح ومبادئه ومن تعاليم اليهود والكنوسيسيين — وهم قوم زعموا أنهم قادرون على أن يردوا للبشر ما فقدوه من معرفة الإله الأعظم — وقد زعم كرنثيوس أن روح المسيح حلت على يسوع الناصري عند عماده من يوحنا بنهر الأردن، حتى إذا قبض عليه اليهود ليصلبوه طارت روح المسيح إلى السماء تاركة يسوع يصلب وحده، وزعم أن المسيح سيعود ثانياً ويتحد بالإنسان يسوع

الذى حل فيه قبلا ويملك مع تابعيه على فلسطين ألف سنة ، وعندئذ يقوم الأموات ويدومون فى حياة سعيدة فى العالم السماوى .

٢ ـ الغنوسطيون :

ظهر مذهب الغنوسطيين فى فلسطين وسوريا فى بداية ظهور الدين المسيحى ، وقد وفق بين الدين الجديد والأديان القديمة ، وأقيمت له مدرسة بالإسكندرية فى أوائل القرن الثانى للميلاد واعتنقه بعض المصريين ، وإن كان جوهر المذهب فى أفريقيا يختلف عنه فى آسيا ، وكان يذهب إلى أن المسيح شخصان هما المسيح ابن الله ويسوع الإنسان . وقد دخل المسيح الإلهى فى يسوع الإنسان ، حين اعتمد من يوحنا ، ثم تركه حين قبض اليهود عليه ، وقد نسب بعض أنصار هذا المذهب إلى المسيح جسداً حقيقياً ، بينما نسب بعضهم الآخر إليه جسداً وهمياً .

وقد ظل علماء المسيحيين يقاومون هذه البدعة زمناً طويلا ، فلم ينقرض أنصارها إلا فى أواخر القرن السادس .

٣ ـ أمونيوس السقاص :

حين ازدهرت المدرسة اللاهوتية ، دبت الغيرة فى قلوب الوثنيين فأنشأ رئيس فلاسفتهم أمونيوس السقاص مدرسة وخصصها لتعليم الفلسفة الأفلاطونية الجديدة ، وقد حاول أن يضم جميع الأديان بما فيها الدين المسيحى فى دين واحد ليعتنقه الجميع ، وحاول أن يجعل مبادىء هذا الدين الجديد مرضية لكل أصحاب الأديان الأخرى ، وفى سبيل ذلك تفنن فى إلباس المبادىء الدينية ثوب المجاز والرمز ، ومن ثم خرج بخليط ينطوى على تقويض للإيمان المسيحى من أساسه ، ولكن بدعته لم تعش طويلا .

٤ ـ باريليدس :

كان باريليدس أشهر الغنوسطيين ، وهو من الإسكندرية ، وقد ابتدع مذهباً استمده من تعاليم سيمون الساحر ومنندر المرطوقى ، وقد فسر الدين المسيحى تفسيراً ينطوى على خزعبلات غريبة وادعى أن يسوع المسيح قوة غير هيولية . وأنه كان يتخذ لنفسه ما يشاء من الهيئات . ولذلك فأنه حين أراد اليهود أن يصلبوه اتخذ صورة سمعان القروى وأعطاه صورته فصلب سمعان ، وأما يسوع فقد صعد إلى السماء .

وقد نشر باريليدس مذهبه بين الناس سراً فتبعه كثيرون . واستمر هذا المذهب قائماً حتى أواخر القرن الرابع .

٥ — كربوكراتس :

كان كربوكراتس يدعو نفسه معلماً ومستنيراً . ولذلك سمى أتباعه نيوستيثيين ، أى معلمين ومستنيرين ، وكان يزعم أن المسيح إنسان كسائر الناس وإنما يمتاز عليهم بقوته ، وكان أتباعه يسجدون لصورة المسيح ، ولكنهم يسجدون معها لصور فيثاغورس وأفلاطون وغيرهما من الفلاسفة ، ومع ذلك كانوا يعتبرون أنفسهم مسيحيين ، ويميزون أنفسهم عن غيرهم بوسمهم طرف أذنهم الأدنى بالنار أو الحديد .

٦ — فالنتيوس :

كان فالنتيوس مسيحياً ثم انشق على الكنيسة وأنكر تجسد المسيح ، قائلا أنه مركب من جوهر روحى ، وقد أخذ جسداً أثيرياً من السماء . ومر به من جسد السيدة العذراء ، ثم اتحد بجسد يسوع عند العماد . فلما أراد اليهود صلب يسوع تركته روح المسيح إلى السماء وعلق على الصليب

جسد يسوع المادى .

وقد بنى فالنتيوس مذهبه على خزعبلات خيالية أخذها من الغنوسطيين وغيرهم .

٧ — سابيلوس :

كان سابيلوس أحد أساقفة بطلومايس بالخمس مدن الغربية ، وكان قد نشأ فى روما وتتلمذ على نوئيتوس المرطوقى ، وأخذ عنه تعاليمه التى مؤداها أن الله أقنوم واحد وقد أعطى الناموس لبنى اسرائيل بصفته الآب . وصار إنساناً فى العهد الجديد بصفته الإبن . وحل على الرسل فى علية صهيون بصفته الروح القدس . وقد سمى تابعو نوئيتوس « مؤلمى الرب » لأنهم يعتقدون أن الله قد تألم على الصليب . ولكن سابيلوس اختلف مذهبه قليلا عن مذهب معلمه نوئيتوس ، فزعم أن جزءاً من الطبيعة الإلهية انفصل عن الله الآب وكون الإبن بالاتحاد مع الإنسان يسوع المسيح ، وأن جزءاً آخر انفصل عنه فكون الروح القدس .

وقد اعتنق زفيرينوس أسقف روما هذه البدعة كما اعتنقها خليفته كاليستوس ، فانتشرت وعمت البلاد الغربية بواسطتهما . كما وفد سابيلوس نفسه إلى مصر سنة ٢٥٧ وراح ينشر فيها بدعته ، فنهض البابا ديونسيوس وعقد مجمعاً سنة ٢٦١ ميلادية ، حرمه فيه وحرم بدعته .

٨ — نيبوس :

كان نيبوس أسقفاً لأبروشية أرسينو بالفيوم ، وقد راح ينادى باقتراب الوقت الذى يملك فيه المسيح ألف سنة على الأرض كأحد ملوك العالم ، مفسراً ما قيل عن ذلك فى سفر الرؤيا تفسيراً حرفياً .

وكان هذا الاعتقاد قد عرف فى عهد أوريجانوس فقاومه وقضى عليه مؤكداً أن ملك المسيح لن يكون أرضياً ، وإنما سمائياً ، ولكن نيبوس سعى إلى إحياء هذا الاعتقاد ، وأذاعه من بعده رجل يدعى كراسيون ، فنهض البابا ديونيسيوس ودحض هذه البدعة فى نبذة وزعها على المسيحيين بعنوان «المواعيد الإلهيه» كما وضع شرحاً لسفر الرؤيا مبيناً أنه يعتمد على الرموز ولا يصح تفسيره تفسيراً حرفياً .

٩ — بيرلس :

كان بيرلس أسقفاً للبصرة . وقد زعم أن السيد المسيح قبل ولادته من العذراء لم يكن له لاهوت متميز . وإنما كان له لاهوت الآب ، أى أن المسيح لم يكن له وجود قبل ولادته من مريم ، وأن النفس الإنسانية التى أصلها من الله دخلت بالولادة واتحدت بالإنسان ، وهى بلا ريب فائقة كل النفوس البشرية ، لأنها منبثقة من الطبيعة الإلهية ، ولما انتشرت هذه البدعة قام العلامة أوريجانوس ودحضها فى مجمع عقد بالبصرة سنة ٢٤٤ ميلادية وتمكن من إقناع بيرلس بخطئه فأصبح من أعظم أصدقائه .

١٠ — بولس السيمساطى :

كان بولس بطريركا على الكرسى الأنطاكى وقد اشتهر بالسيمساطى نسبة إلى مسقط رأسه سيمساط ، وهى مدينة واقعة بين النهرين ، وقد زعم أن ابن الله لم يكن من الأزل ، بل ولد إنساناً حلت فيه كلمة الله وحكمته ، عند ما ولد من العذراء ، وأن هذه الحكمة التى مكنته من أن يعلم ويعمل العجائب قد فارقته حين أمسكه اليهود ليصلبوه ، وبسبب هذا الذى حدث من اتحاد القوة الإلهية بالإنسان يسوغ القول أن المسيح هو الله ، ولكن

مجازاً لا حقيقة . وقد أدى هـذا القول بالسيمساطى لأن يزعم أنه كان فى المسيح أقنومان وابنان لله ، أحدهما بالطبيعة والآخر بالتبنى ، وبذلك شايع سابيلوس فى إنكار الثالوث الأقدس ، بقوله أنه يوجد إله واحـد هو الذى تدعوه الكتب المقدسة بالآب ، وأن كلمته وحكمته ليست أقنوماً ، بل أنهـا فى الكيان الإلهى بعقام الفهم فى العقل الإنسانى .

وحين بلغت البـابا ديونيسيوس الإسكندرى أنباء هذا الهرطوقى بعث إليه برسائل عديدة يبين له فيها ضلاله ، كما عقد بسببه المجمـع فى إنطاكية عدة مرات وقد انتهى الأمر بخلعه من بطريركية الكرسى الأنطاكى وتحريم بدعتـــــه .

١١ — مانى :

ولد مانى سنة ٢٣٩ ميلادية ، وكان مجوسياً ثم اعتنق المسيحية ، فأراد أن يجمع بين معتقدات المجوس ومعتقدات المسيحيين ، وأشـاع بين النـاس منذ سنة ٢٦٨ ميلادية أن المسيح ترك عمل الخلاص ناقصاً ، وأنه هو الذى سيتمه لأنه هو «البارقليط» ، وتشبه بالمسيح ، فاتخذ لنفسه إثنى عشر تلميذاً واثنين وسبعين أسـقفاً ، وأرسلهم إلى كل بلاد الشرق حتى الهند والصين ليذيعوا تعاليمه ، فانخدع كثيرون بأقواله ، وتبعه من الناس عدد عظيم .

ومذهب مانى مزيج من تعاليم المسيحية وفلسفة الفرس القديمة ، ومؤدى هذا المذهب أن الكون يحكمه إلهان ، هما إله النور وإله الظلام ، وقد تمكن إله الظلام من مزج المـادة المظلمة بقبس من النور ، فكان هذا هو الإنسان المكون من جسد مأخوذ من مادة الظـلام ، ومن روح مأخوذة من فيض النور ، وقـد أراد إله النور أن يخلص عنصر النور فى الإنسان من عنصر الظلام ، فخلق من نفسه كائنين عظيمين ، هما المسيح والروح القـــدس ،

وأرسل المسيح ليخلص أرواح الناس ويعيدها إلى وطنها السماوى . وقد ظهر المسيح بين اليهود لابساً صورة جسد إنسانى وليس جسداً حقيقياً . وأعلن لهم السبيل الوحيد لخلاص النفوس من أجسادها . وبرهن على لاهوته بعجائبه . ولكن إله الظلمة أغوى اليهود فصلبوه ، ولما لم يكن له جسد ، لم تؤثر فيه الآلام ، وقد عاد المسيح إلى عالم النور بعد أن ترك تلاميذه ليعلموا الناس ديانته ، ووعدهم بأرسال رسول أعظم يفصح عن حقائق أسمى وهو البارقليط ، وقد ادعى مانى أنه هو البارقليط .

وقد زعم مانى أنه يستطيع شفاء الأمراض ، وكان لملك الفرس طفل مريض ، فاستقدمه ليشفيه ، ولكن الطفل مات بين يديه ، فقتله الملك وسلخ جلده ، وحشاه تبناً وعلقه على باب المدينة ، إلا أن مذهبه مازال باقياً فى فارس والهند .

١٢ — هيراكس :

ولد هيراكس فى ليونتوبوليس ، وقدشارك مانى فى بعض آرائه ولكنه خالفه فى أمور كثيرة . ومما قاله أن المسيح سن شريعة جديدة أكمل وأدق من شريعة موسى ، وأنه منع تابعيه من الزواج وأكل اللحم وشرب الخمر وكل ماتتلذذ به الحواس ، وأنه منع دخول الأطفال ملكوت السموات التى لا يستحقها إلا الذين قاوموا الجسد وشهواته . وقد أنكر هيراكس قيامة الأجساد .

١٣ — آريوس :

كان آريوس أخطر أصحاب البدع التى ظهرت فى تاريخ المسيحية كلها ، وقد أثار بتعاليمه زوبعة هوجاء ، أقلقت الكنيسة زمناً طويلا ، ولم تهدأ

ريحها وتخمد أنفاسها إلا بعد كفاح مرير خاض غماره المدافعون عن الإيمان القويم .

وقد ولد آريوس فى ليبية القيروان بأفريقيا سنة ٢٧٠ ميلادية ، ودخل فى شبابه المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ، ثم رسمه البابا بطرس بطريرك الإسكندرية شماساً سنة ٣٠٧ ، ثم قساً وواعظاً ، وكان ذكياً فصيحاً ، فما لبث أن طلع على الناس بعقيدة جديدة تخالف عقيدة الكنيسة بل وتهدمها . فالكنيسة تعتقد بأن السيد المسيح هو « ابن الله المولود من الآب قبل كل الدهور » ، وأنه « مولود غير مخلوق » وأنه «مساو للآب فى الجوهر » ، فقام آريوس ينادى بأن « الآب أقدم من الإبن لإنه خلق الإبن من العدم ، فالإبن إذن غير مساو للآب فى الجوهر ، لأنه أدنى منه فى الطبيعة والمنزلة » .

ويقول آريوس فى بيان عقيدته أنه « يؤمن بإله واحد متعال يفوق حد التصور ، منطو على نفسه ، وهو من العلو بحيث لا صلة له بتاتاً بأى شىء له نهاية ، وهو فريد لا شبيه له ، أزلى لا بداية له ، لا يموت ، صالح ، وهو وحده سبحانه ينفرد بهذه الصفات — وعند ما شاءت إرادته أن يخلق عالماً له نهاية احتاج إلى وسيط ، ولم يكن فى هذا الوسيط قوة خالقة ، وإنما كان عاملا بسيطاً علمه الآب كيفية القيام بهذه المهمة . وعلى ذلك فان القوة الخالقة من صفات الآب ، أعطاها للابن فأوجد هذا بها المخلوقات — وهذا الوسيط لم يأت من عند الآب بأن صدر عنه أو انحدر منه ، بل خلقه الآب خلقاً ، فهو إذن غير أزلى ، وهو مخلوق مثل باقى المخلوقات . ولا يمتاز عنها إلا بكونه خلق قبلها ، وبأنه كان الواسطة التى استخدمها الله فى عملية الخلق ثم بعد ذلك فى عملية الفداء ، وهو ليس مساوياً للآب فى الجوهر ، بل بالعكس تتغير طبيعته مثل أى مخلوق ، وهو كأى مخلوق أيضاً قادر على عمل

الخير والشر ، فأذا كان الله قد اختاره دون سائر البشر ورآه جديراً بأن يحمل بينهم إسماً إلهياً ، فأنما مرجع ذلك إلى النبوءات عنه بأنه سيثابر في عمل الخير بمحض إرادته ، وهو أيضاً معرض للخطأ ولا يستطيع أن يحيط بكل شيء . وعند ما جاء ملء الزمان اتخذ ابن الله هذا صورة إنسان وعلم الحقيقة ، وهو بهذا الوصف لا يستحق أن نعبده ، بل أن نحترمه وأن نعترف بجميله » .

وراح آريوس يجاهر فى عظاته بهذا المذهب الذى ابتدعه ، فلما علم البابا بطرس بأمره جرده من وظيفته وأصدر قراراً بحرمه وقطعه من شركة الكنيسة .

ثم حدث أن قبض الإمبراطور ماكسيميليان على البابا بطرس وأودعه فى السجن تمهيداً لقتله ، فخاف آريوس أن يموت البطريرك قبل أن يحله من الحرمان الذى أوقعه عليه ، فبعث إليه فى سجنه قوماً يتوسطون لديه فى الصفح عنه، فقال لهم البطريرك : « أتسألوننى فى آريوس ؟ فليكن محروما فى هذا الزمان وفى الآتى من مجد ابن الله يسوع المسيح » ثم انفرد بتلميذيه أرشلاوس وألكسندروس ، قائلا لهما إنهما سيخلفاه فى البطريركية ، أحدهما بعد الآخر ، وأوصاهما بعدم الصفح عن آريوس ، لأنه عدو المسيحية اللدود .

فلما مات بطرس وخلفه أرشلاوس ، توسل إليه آريوس أن يعيده إلى شركة الكنيسة ، ووسط كثيرين من وجهاء الشعب مؤكدين توبته فقبل رجاءهم وأعاده إلى رتبته الأولى . ولكن البطريرك ما لبث أن توفى بعد جلوسه بستة أشهر . فرشح آريوس نفسه للبطريركية ، ولكن الشعب رفضه وانتخب ألكسندروس بطريركا ، فلما أراد آريوس مقابلته قال لمن

حوله : « قولوا له أوصانى أبى ألا أقبلك فلا تدخل عندى ، ولا أجتمع بك » ، فخرج آريوس حانقاً وراح ينشر بدعته بين البسطاء ، فعقدالبطريرك مجمعاً بالإسكندرية سنة ٣١٩ وأراد إقناعه باللين ، فلم يزده ذلك إلا صلفاً وتمادياً فى غيه ، فعقد البطريرك مجمعاً ثانياً بالإسكندرية سنة ٣٢١ حضره مائة أسقف وقد حكم بأنزال آريوس من درجته الكهنوتية وحرمه وحرم بدعته . وكتب البابا إلى صديقه ألكسندروس أسقف القسطنطينية ، رسالة يقول فيها : « إنهم اعتقدوا أنه وجد وقت لم يوجد فيه ابن الله ، وأنه وجد بعد ذلك من العدم مع كل الأشياء العاقلة وغير العاقلة ، وأنه قابل للتغيير ومعرض للفضيلة والرذيلة على السواء » ثم يشرح البطريرك الإيمان القويم فى رسالته إلى صديقه قائلا : « إننا نؤمن بيسوع المسيح ابن الله الوحيد ، غير المولود من العدم بل من الآب الحى ، بصورة إلهية فوق إدراك العقول المخلوقة ، فلا أحد يعرف من هو الآب إلا الإبن ، ولا أحد يعرف من هو الإبن إلا الآب ، والإبن لا ينقص عن الآب شيئاً لأنه صورة منه ، فيجب أن نقدم له كما نقدم للآب الكرامة اللائقة به » .

إلا أن آريوس لم يخضع للحكم بتجريده من الكهنوت ، واستمر فى أداء الخدمة الدينية والوعظ والتبشير بمذهبه حتى كون له حزباً ، فاضطر البطريرك لأن يطرده من الإسكندرية ، فذهب إلى فلسطين ، وهناك استمال إليه أوسابيوس أسقف نيكوميديا وأوسابيوس أسقف قيصرية وأوسيوس أسقف بيسيدية ، وبوليوس أسقف صور وغريغوريوس أسقف بيروت ، فسمحوا له بعقد اجتماعات دينية فى أبروشياتهم ، وكان يعتمد لنشر تعاليمه فى تلك الإجتماعات على الأناشيد والتراتيل التى ضمنها تعاليمه ، وجمعها فى كتاب سماه « تاليا » ، كما وزع على الناس كتباً فى شرح مذهبه ، فاستفحل أمره ، وعقد أشياعه مجمعاً فى بثينيه سنة ٣٢٢ ، ثم مجمعاً آخر فى فلسطين سنة ٣٢٣

قرروا فيهما إلغاء الحكم الصادر على آريوس من بطريرك الإسكندرية ، فرجع آريوس بناءاً على هذا القرار إلى الإسكندرية ، مما زاد الموقف خطورة ، فطرده البطريرك من المدينة مرة أخرى . وكان لأوسابيوس أسقف نيكوميديا كرامة عند كونستاسيا أخت الإمبراطور قسطنطين الكبير الذى كان موجوداً حينذاك فى نيكوميديا ، فتمكن بواسطتها من استمالة الإمبراطور إلى آريوس ، وكان الإمبراطور يعرف شيخاً جليلا من رؤساء الأساقفة اسمه أوسيوس أسقف قرطبة بأسبانيا ، فاستدعاه وأرسله إلى الإسكندرية ليتوسط لدى بطريركها فى الصفح عن آريوس ، فعقد أوسيوس بالاسكندرية مجمعاً سنة ٣٢٤ م لإزالة أسباب الخلاف ، وكانت النتيجة أنه اقتنع بوجهة نظر بابا الإسكندرية وأقره على حرمان آريوس ، ثم عاد إلى نيكوميديا وأشار على الإمبراطور بعقد مجمع عام للنظر فى أمر آريوس . فأمر الإمبراطور بعقد المجمع فى نيقية سنة ٣٢٥ م وهو المجمع المسكونى الأول ، وقد حضره ٣١٨ أسقفاً من كل أنحاء العالم المسيحى ، وفى مقدمتهم البابا ألكسندروس بطريرك الإسكندرية ، وبصحبته أثناسيوس رئيس شمامسته ، وأسطاسيوس أسقف أنطاكية ، ويوسابيوس أسقف قيصرية ومكاريوس أسقف أرشليم ، كما حضر المجمع أساقفة يمثلون إيطاليا وأسبانيا وفرنسا وانجلترا والبوسنة والهرسك والسرب والبلغار . وحضر مع آريوس أتباعه أوسابيوس أسقف نيكوميديا وثاوغنس أسقف نيقة ومارس أسقف خلقيدونية ومعهم عدد من المفكرين والفلاسفة . وقد بلغ مجموع الحاضرين نحو الألفين ، وتصدر الإمبراطور الإجتماع ، ثم طلب إلى آريوس أن يشرح مذهبه فقال :

« إن الإبن ليس مساوياً للآب فى الأزلية وليس من جوهره . وقد كان الآب فى الأصل وحيداً فأخرج الإبن من العدم بأرادته . والآب لا يمكن

أن يراه أو يكيفه أحد ولا حتى الإبن ، لأن الذي له بداية لا يعرف الأزلي . والإبن إله لحصوله على لاهوت مكتسب » .

وعندئذ دارت مناقشة حادة بين آريوس وأثناسيوس رئيس شمامسة الإسكندرية جاء بها :

« آريوس — إن سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلا : « خالقني أول طرقه » .

أثناسيوس — معنى خلقني هنا ولدني كما ينص على ذلك النص العبراني . كما جاء في نفس الفصل قوله : « منذ الأزل مسحت منذ البدء كنت معه قبل أن يخلق الجبال وقبل أن يصنع الأرض ، لما ثبت السموات كنت هناك » . كما ورد في داوود النبي : « أنت ابني وأنا اليوم ولدتك ومن البطن قبل كوكب الصبح ولدتك » .

آريوس — إن الإبن قال : « أبي أعظم مني » فالإبن إذن أصغر من الآب ولا يساويه في الجوهر .

أثناسيوس — إن الإبن دون الآب لكونه تجسد كما يتضح من نفس الآية ، إذ يقول السيد : « لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت إني ماض إلى الآب ، لأن أبي أعظم مني » أي أنه بناسوته يمضي إلى الآب الذي هو أعظم من ناسوت الإبن ، وإلا كيف يتكلم بلاهوته أنه يمضي إلى الآب حال كونه في حضن الآب؟ ويؤيد ذلك أنه في نفس الفصل يتكلم باللاهوت ويبين مساواته لأبيه في الجوهر بقوله : « من رآني فقد رأى الآب . وأنا في الآب والآب في . . وكل ما للآب فهو لي وكل ما لي فهو له لأننا نحن واحد » .

آريوس — إن المسيح قال : « أعطيت كل سلطان في السماء وعلى

الأرض » ، فذكر هنا أنه نال السلطان من أبيه لأنه أعظم منه وغير مساو له .

أثناسيوس — يعني أن الإبن بولادته الأزلية من الآب قد ملك كل سلطان ، أو أنه قال ذلك بحسب كونه متأنساً ، لأنه فى أثر هذا القول ساوى نفسه بأبيه بقوله لتلاميذه : « عمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس » .

آريوس — إن المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد ولا ملائكة السموات إلا الآب وحده » ، فأذا كان الإبن لا يعرف وقت الدينونة فكيف يكون إلهاً ؟ .

أثناسيوس — إن المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا السر الذى لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه ، كما يقول صاحب السر إنى لا أعلم هذه المسألة ، أى لا أعلمها علماً يباح به لأن بطرس قال له : « يارب أنت تعرف كل شيء » .

آريوس — إن المسيح قال « أنا لا أقدر أن أصنع مشيئتى ، بل مشيئة من أرسلنى » . وإذن فهو عبد للآب ودونه .

أثناسيوس — إن المسيح تكلم فى مواضع كثيرة بحسب كونه إلهاً صار إنساناً كقوله « إن شئت فلتعبر عنى هذه الكأس» وقوله « إلهى إلهى لماذا تركتنى » وقوله « إنى صاعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » . ومثل ذلك صلاته الى أبيه مراراً كثيرة . وبصفة كونه إلهاً قال : « من رآنى فقد رأى الآب » وقال « أنا فى الآب والآب فى » . و « أنا والآب واحد » . وفى نفس الفصل الواردة فيه آية الاعتراض قال تعالى : « كما أن الآب يقيم

الموتى ويحييهم كذلك الإبن أيضاً يحيي من يشاء ليكرم الجميع الإبن كما يكرمون الآب » ، وغير ذلك كثير من أقوال المسيح التى تصرح بمساواته للاهوت أبيه فى الأزلية والعظمة والقدرة .

آريوس — إن يوحنا قال فى بشارته عن الإبن « كل به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان » فهذا القول يدل على أن الإبن آلة استخدمها الآب لصنع الخلائق ، فالإبن ليس إلهاً خالقاً .

أثناسيوس — إن الآب خلق بالإبن ، أى بواسطة الإبن الخالق ، كما يقال بنى الملك المدينة بابنه ، فالملك وإبنه يعدان باني المدينة ، ولا سيما أن يوحنا صرح بلاهوت الإبن وأزليته ومساواته لأبيه فى الجوهر والقدرة والإبداع فى بشارته وفى رسائله حيث قال : « الذى كان منذ البدء سمعناه الذى رأيناه الذى لمسته أيدينا » . وأيضاً « الشهود فى السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح وهؤلاء الثلاثة هم واحد » . وفى الرؤيا « أنا هو الألف والياء ، البداية والنهاية ، الكائن والذى كان والذى يأتي القادر على كل شىء » وقوله « للجالس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين » . وفى أول الفصل الواردة فيه آية الإعتراض نص البشير بجلاء عن لاهوت الإبن بقوله : « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » . فكيف يكون معنى قوله بعد هذا التصريح أن الإبن ليس بأله خالق ، لكنه آلة لصنع الخلائق ، وقد اعترف داوود النبي بأن الإبن خالق كما قال « أنت يارب أسست الأرض والسموات صنع يديك » ولا ريب أن هذا القول يخاطب به النبي ابن الله كما فهم ذلك الرسول ، فقد اتضح أن ابن الله خالق نظير أبيه وإله مساوله فى الجوهر والعظمة والمجد » .

وقد حكم المجمع على آريوس بحرمه ونفيه وحرق كتبه ، ووضع الجزء من قانون الإيمان الذي أسلفنا ذكره ، ابتداءاً من عبارة « نؤمن بإله واحد . . » حتى عبارة « وليس لملكه انقضاء » .

وقد توفى بعد ذلك بقليل البابا ألكسندروس ، فخلفه أثناسيوس فى كرسى البطريركية ، وعندئذ سعى الساعون لدى الإمبراطور للعفو عن آريوس ، فأرسل الإمبراطور طلباً بذلك إلى أثناسيوس ، ولكنه رفض الطلب ، فثارت ثائرة الإمبراطور ، وعفى عن آريوس ، ففرح أنصاره بذلك فرحاً شديداً ، وفيما هم يطوفون به فى المدينة فى احتفال عظيم ، اعترته رعشة مفاجئة وسقط ميتاً .

أما تعاليم آريوس فقد انتشرت بعد موته أكثر مما انتشرت فى حياته وأصبحت خطراً حقيقياً يهدد الكنيسة بالانهيار ، وقد اشتد ساعد الأريوسيين بمعاضدة الإمبراطور ، فصمدلهم البابا أثناسيوس وبذل حياته كلها فى الجهاد لهدم تلك البدعة متذرعاً فى نضال الأريوسيين بذات سلاحهم ، وهو الجدل المنطقى ، وإن كان عماده الأول هو التلويح براية الإيمان ، قائلا « إن الطريق القويم هو الإيمان بيسوع المسيح دون تحفظ ، والإيمان إيماناً مطلقاً بما قال ، فاذا قال يسوع أنه إله ، فهو إذن إله ، لأن معرفة الله لا ترتكز على براهين بشرية ، وإنما ترتكز على الإيمان الصادق العميق ، وتغذيها التأملات الروحية الحارة . فلم يبشر بولس الرسول بدين الصليب بمحاضرات استخدم فيها المنطق البشرى ، وإنما بشر بأقوال روحية وبسلطان » .

غير أنه لم يحجم عن استخدام المنطق فى تفنيد الأريوسية فكتب يقول : « إذا كانت الاريوسية تقرر أن الخليقة ليست نتيجة عمل الآب المباشر ، فكيف يكون الابن وحده — وهو كما تقول الأريوسية كائن له نهاية

ومخلوق بسيط — نتيجة عمل الآب ؟ واحدة من اثنتين : فأما أن الخليقة نتيجة مباشرة لعمل الآب مثل الإبن . وإما أن الخليقة ليست نتيجة مباشرة لعمل الآب ، وفى هذه الحالة يتساوى معها الإبن أيضاً ، وإن الإصرار على أن الإله السرمدى يتعالى عن الأشياء التى لها نهاية إلى درجة لا تسمح له بأن يخلق إنما هو اعتراف بأنه غيرمنتج إلى الأبد . يوجد إذن فى ادعاء الهراطقة هذا تناقض وسخافة . وإذا كان وجود الوسيط ضرورياً لعملية الخلق ، كان من الضرورى أيضاً — مادام الإبن مخلوقاً — أن يوجد وسيط بينه وبين الآب . وهكذا يكون كل وسيط فى حاجة بدوره إلى وسيط آخر »

ويقول: « إن الله واحد . فأذالم يكن الإبن الذى يحتفظ له الأريوسيون بلقب إله ، من نفس جوهر الآب ، وإذا لم يكن سوى وسيط مخلوق ، إنتفت الوحدة ، وأصبح فى الوجود إلهان . لقد ألغى يسوع المسيح بالأصنام أرضاً ، وها هو آريوس يرفعهم عند ما يضع المسيح نفسه - الذى يقول عنه أنه مخلوق - فى مرتبة الإله ، فأما أن نعترف بالمساواة فى الجوهر وإما أن نترك لقب مسيحى » .

وقد كان من نتيجة الجهود التى بذلها البابا أثناسيوس وكفاحه المضنى ما يزيد على الأربعين عاماً أن دحرت الأريوسية فى كل الأقطار المسيحية — وإن كانت قد بقيت لها ذيول فى أسبانيا والولايات الجرمانية حتى القرن السادس — وقد صدر سنة ٤٢٨ ميلادية فى عهد ثيودوسيوس الثانى قانون يقضى باستئصال الأريوسية فى كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، ومنذ ذلك الحين قضى على الأريوسية القضاء الأخير .

١٤ — مكدونيوس :

عين مكدونيوس الأريوسى بطريركا للقسطنطينية سنة ٣٤٣ ميلادية

بواسطة الإمبراطور قسطنس . ثم غضب عليه الإمبراطور فطرده من كرسيه سنة ٣٦٠ ميلادية ، فابتدع بدعة جديدة ، إذ أنكر لاهوت الروح القدس ، مدعياً أن الروح القدس عمل إلهى منتشر فى الكون وليس أقنوماً متميزاً عن الآب والإبن ، واعتبره مخلوقا يشبه الملائكة وإن كانت رتبته أسمى منهم .

وقد أقنع مكدونيوس بضلاله كثيرين ، واستمرت بدعته بعد موته . وكان أخص القائمين بنشرها تلميذه مارانثيو أسقف نيكوميديا . وكان الناس يسمون أصحاب هذا المذهب « أعداء الروح القدس » .

وقد عقد البابا أثناسيوس سنة ٣٦٢ ميلادية مجمعاً بالإسكندرية حرم فيه هذه البدعة ، وحين سمع الإمبراطور ثيودوسيوس بوجود هذه البدعة ، أمر بعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية ، وقد اجتمع فى ذلك المجمع مائة وخمسون أسقفاً وحرموا هذه البدعة فقضوا عليها قبل أن يستفحل أمرها .

١٥ — نسطور :

ولد نسطور فى جرمانيقية المعرفة الآن بمرعش فى سوريا . وقد أظهر فى مبدأ أمره غيرة ضد الأريوسيين حتى أصبح بطريركا للقسطنطينية ، وعندئذ راح ينادى ببدعة جديدة مؤداها ، أنه لما كان الجزء اللاهوتى من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء فلا يحق أن تسمى والدة الإله ، بل والدة المسيح الإنسان » . وبذلك جعل للمسيح أقنومين أحدهما إنسانى والآخر إلهى ، واعتقد بأن الطبيعة الإلهية لم تتحد بالإنسان .

وشرح نسطور مذهبه قائلا : « إن مريم لم تلد إلهاً ، بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً ، وما يولد من الروح هو روح . إن الخليقة لم تلد الخالق ، بل ولدت إنساناً هو آلة للاهوت » .

فقام البابا كيرلس بطريرك الإسكندرية يدحض هذه البدعة قائلا : « إن لسيدنا يسوع المسيح أقنوماً واحداً إلهياً اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحاداً تاماً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ، فالعذراء والحالة هذه هي بحق والدة الإله » .

وقال كيرلس : « إن مريم لم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد ، لذلك هي حقاً أم الله » .

وكتب إلى نسطور يقول له : « لو لم تكن أسقفاً ما اهتم بك أحد ولكنك جالس على كرسى ابن الله . فهل يليق بك أن تستغل مركزك هذا فى التهجم عليه بذلك التجديف الذى تعجز عن اثباته ؟ كيف هداك البحث إلى أن المسيح إنسان ومن أى المراجع استخرجت هذه البدعة . أمن العهد القديم أم الجديد ؟ لقد سماه العهد القديم « الله الإبن وابن الله الآب » وسماه إنجيل يوحنا « الإبن الوحيد الذى فى حضن أبيه » ، وقال عنه متى أنه « عمانويل الذى معناه الله معنا » ، وشهد عنه مرقص فى إنجيله أنه « لما سأله رئيس الكهنة قائلا « هل أنت ابن الله ؟ » أجاب « نعم أنا هو ، ومن الآن ترون ابن الله جالساً عن يمين القوة ومقبلا على السحب ليدين الأحياء والأموات » . ألم يقل الملاك للعذراء « إن الذى تلدينه هو من الروح القدس » وأنه « ابن العلى يدعى » ؟ من الذى حمل خطايا العالم ؟ أليس هو المسيح ابن مريم الكلمة متجسداً ؟ إن كنت معتقداً أنه نبى كموسى فهل حمل موسى أو غيره من الأنبياء خطايا العالم كما حملها السيد له المجد ؟ . لقد قال عنه بولس « ليس هو إنساناً بل هو الله صار إنساناً » ، فهل رأيت الآن كيف اعترف الجميع بألوهيته ؟ فكيف تنكرها أنت ؟ »

وكتب أسقف روما إلى نسطور يقول له : « لقد وافقنا على رأى أسقف الإسكندرية ، ولقد نصحك فلا بد أن تنكر ما ناديت به ، وأن

تنادى بمـا نادى هو به ، فإن أصررت على رأيك فأنت مقطوع من عداد زملائنا ، ولا يمكن أن تكون لك شركة معنا » .

فلما لم يرتدع نسطور عقد البابا كيرلس مجمعاً بالإسكندرية قرر حرمه وحرم بدعته ، كما وضع تحريمات إثنى عشر جاء فيها : « ليكن محروماً من ينكر أن المسيح هـو الإله الحقيقى وأن العـذراء الطاهرة هى والدة الإله ، وأنها ولدت جسدانياً الكلمة المتجسد الذى من الله ، لكون الكلمة صـار جسداً . وليكن محروماً من لم يعترف بأن كلمة الله الآب صار واحداً مع الجسد كالأقنوم وأن المسيح واحد فقط مع جسده ، وهوإله وهوإنسان . وليكن محروماً من قال أن للمسيـح الواحد أقنومان منفصلان أو أقنومان لم تجمع بينهما إلا المصاحبة أوالقدرة أو السلطان ، ولم يوحد بينهما توحيداً طبيعياً تاماً » .

وطلب البابا كيرلس إلى الإمبراطور عقد مجمع عامللنظرفى أمر نسطور ، فأجابه الإمـبراطور إلى طلبه ، وأمر بعقد المجمـع بمدينة أفسس سنة ٤٣١ وحضره أساقفة من جميع الكنائس . وقدحكم المجمع بتحريم بدعة نسطور ، وتجريده من الأسقفية وفصله من كل شركة كهنونية ، ثم أرسل إليه الإعلان التالى : «من المجمع المقدس الملتئم فى أفسس برحمة الله تعالى وبموجب تعاليم مخلصنا الفـادى وباسم جلالة الإمبراطور الكلى الإيمان إلى نسطور يهوذا الثـانى ـ عقابا لكم عـلى تعاليمكم الأثيمة وعلى عصيانكم للقوانين الكنسـية القويمة ، قد حكمنا بعزلكم وقطعكم من الشركة تمشياً مـع شرائع الكنيسة ، كما حكمنا بحرمانكم من درجتكم وفصلكم من كل عمـل دينى وإبعادكم عن كل خدمة كنسية » .

وقـد أعلن المجمع أن فى المسيح أقنوماً واحداً وطبيعة واحدة بعد الاتحـاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ، ولذلك فأن العـذراء

تدعى بحق والدة الإله . كما وضع المجمع مقدمة قانون الإيمان التى تبدأ بعبارة نعظمك يا أم النور الحقيقى » وتنتهى بعبارة « يارب ارحم يارب بارك آمين »

وقد أمر الإمبراطور بنفى نسطور إلى صعيد مصر فأقام فى إخميم حتى مات منبوذاً من الجميع .

أما أتباع نسطور فاهتموا بنشر بدعته بعد موته وأسسوا لهم مدرسة بالرها ثم طردوا منها فلجأوا إلى نصيبين ، وهاجر فريق منهم إلى فارس وما يجاورها من البلاد ، حيث لا يزال يوجد بعضهم إلى اليوم فى جبل سنجار على حدود إيران وفى ملبار بالهند، ولهم كنائس فى تلك الجهات تؤمن بالعقيدة النسطورية حتى اليوم .

١٦ — أوطاخى :

كان أوطاخى رئيساً لدير بالقرب من القسطنطينية ، وكان من ألد أعداء نسطور ، ولكنه تطرف فى مجادلته فقال « إن طبيعة المسيح الناسوتية إندمجت فى اللاهوتية ، إذ أن جسد المسيح بما أنه جسد إله لا يعتبر مساوياً لجسدنا فى الجوهر ، لأن طبيعته البشرية قد تلاشت فى الطبيعة الإلهية »

وقد حرم هذا التعليم فى مجمع أفسس الثانى سنة ٤٩٤ الذى عقد برئاسة البابا ديسقورس بطريرك الإسكندرية ، كما حكم المجمع بحرم أوطاخى . إلا أن أوطاخي مالبث أن اعترف بأيمان مجمع نيقية فحل من حرمه :

١٧ — بدعة الطبيعتين والمشيئتين :

ظهر فى مجمع خلقيدونية اعتقاد الكاثوليك أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين . وهو اعتقاد قريب إلى مذهب نسطور القائل بشخصين فى السيد المسيح .

وهم يقولون أن السيد المسيح أقنوم إلهى بحت ، ولكنهم يعتقدون أن له ذاتان وكياتان هما الإله والإنسان .

بينما يعبر القديس ساويرس الأنطاكى عن العقيدة الأرثوذكسية بقوله : « إننا إذا قلنا بطبيعة واحدة للسيد المسيح من طبيعتى اللاهوت والناسوت ، نقول أيضاً أن ذلك يكون بغير امتزاج ولا اختلاط ولا فساد ، بل مع بقائهما على ما كانتا عليه ، فطبيعة الإنسان من طبيعتى النفس والبدن ، وطبيعة الجسم من طبيعة الهيولى والصورة من غير أن تنقلب النفس بدناً ولا الهيولى صورة وبالعكس » .

والغريب أن الكاثوليك بينما ينكرون وحدة المسيح الطبيعية يسلمون بها فى ذات الوقت باعتقادهم أن السيدة العذراء هى أم الله ، لأن اعتقادنا بأن العذراء هى أم الله هو عين الكفر إن لم نسلم بطبيعة واحدة فى المسيح . وفى ذلك يقول أحد الآباء الأرثوذكسيين سائلا الكاثوليك : « هل ولدت مريم إلهاً أم إنساناً ؟ فأن قلتم إلهاً ضللتم لأن الله لا يولد ، وإن قلتم إنساناً كانت أم إنسان لا أم إله ، وأنتم تنكرون ذلك . وإن قلتم ولدت إلهاً وإنساناً كانت أم إله وإنسان فلها ابنان أحدهما إله ، والآخر إنسان ، وهذا قول ينقضه العقل ولا يسيغه ، فلا يصح إذن إلا أن تقولوا أن الإله والإنسان صارا واحداً ، ولذلك فقد ولدت مريم واحداً ، وهذا الواحد ليس إلهاً بالإطلاق ، ولا إنساناً بالإطلاق ، ولا إلهاً وإنساناً ، بل إلهـــاً متأنساً وهذا هو الحق » .

وقال القديس أغناطيوس البطريرك الأنطاكى : « نحن نؤمن أن المسيح الإله تألم بالجسد كأنسان ، ولم يتألم كأله . فأذا سمعتم أن الله تألم عنا وأن الله الكلمة قد مات من أجلنا ، فأنما مرد ذلك إلى وحدانية اللاهوت والناسوت » .

وقال البابا كيرلس الإسكندرى فى رسالة بعث بها إلى الإمبراطور ثيوديسيوس : « إننا لا نعرى الناسوت من اللاهوت ، ولانعرى الكلمة من الناسوت بعد ذلك الإتحاد الغامض الذت لايمكن تفسيره ، بل نعترف بأن المسيح الواحد هو من شيئين اجتمعا فى واحد مؤلف من كليهما ، لا بهدم الطبيعتين ، ولا باختلاطهما ، بل باتحاد شريف فى الغاية بوجه عجيب » .

وقد اعتنقت كنيسة روما مذهب الطبيعتين والمشيئتين منذ انعقاد مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ميلادية ، بينما ظلت كنيسة الإسكندرية محافظة على الإيمان الأصيل وهو الاعتراف بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة للسيد المسيح ، وظلت محافظة على هذا الاعتقاد القويم حتى اليوم .

١٨ — الانحراف فى ماهية جسد السيد المسيح :

حدث فى القرن السادس اختلاف بسبب البحث فى ماهية جسد السيد المسيح ، فقد اعتقد يوليانوس الهيليكارنسوس سنة ٥١٩ ميلادية ، أن الطبيعة الإلهية ، إتحدت بجسد السيد المسيح منذ حبل به ، فتغير فى طبيعته وصار عديم الفساد . ثم اعتنق قيانوس هذا الرأى ، فسمى المعتقدون به قيانيين .

ومالبث أصحاب هذه العقيدة أن انقسموا إلى ثلاثة أحزاب : يقول أولها بأن جسد المسيح مخلوق ، وقد سمى أصحابه عبدة المخلوق . ويقول الحزب الثانى بأنه غير مخلوق ، وقد سمى أصحابه عبدة غير المخلوق . ويقول الحزب الثالث أن جسد المسيح قابل للفساد ولكنه بقوة اللاهوت قد صار غير فاسد .

وقد تمسك القيانيون بعقيدتهم هذه نحو مائة وسبعين عاماً ، ثم عادوا أخيراً إلى الإعتقاد القويم فى عهد البابا ألكسندروس الثانى .

وقد قامت فى القرن السادس طائفة أخرى تعارض رأى بوليانوس وتزعم أن جسد المسيح كان نظير جسدنا قابلا للفناء والفساد ، وقد استنتجت من ذلك طائفة تسمى بالكربتيكوليين يتزعمها شماس إسكندرى يدعى تيوميستيوس أن المسيح وإن كان باللاهوت يعلم كل شىء ، إلا أنه بالناسوت يجهل أموراً كثيرة ، ولذلك دعى أصحاب هذه الطائفة بالأغنيثيين لأنهم أشركوا الطبيعة الإلهية فى الجهل . وقد روى موسهيم المؤرخ البروتستانتى أن البابا تيودسيوس الإسكندرى قد انزلق إلى هذا الرأى فى معرض الجدال مع الهراطقة إذ قال « إن إنسانية المسيح كانت تجهل اليوم الأخير » . إلا أن أصحاب هذا الرأى مالبثوا أن عدلوا عنه بعد أن تبين لهم خطأهم .

١٩ — الانحراف فى ماهية الأقانيم :

روى مؤرخو اللاتين والأروام أن البابادميان البطريرك الخامس والثلاثين فى القرن السادس اعتقد أن لكل من الأقانيم الثلاثة وجوداً خاصاً وأن للثلاثة معاً وجوداً رابعاً عاماً ، وقد سمى من تبعوه بمربعى اللاهوت أو الأربعيين أو الدميانيين .

كما ظهرت بدعة أخرى لرجل إسكندرى يدعى إستفانوس النيوبى مؤداها أنه لا فرق بين اللاهوت والناسوت فى المسيح ، وقد سمى من تبعوه بالنيوبيين .

ثم قام أخيراً يعقوب البرادعى وأخذ يفحص آراء أولئك المبتدعين ويرد من ضل منهم إلى محجة الصواب ، فاختفت بفضله هذه الإختلافات حول ماهية الأقانيم ، وعاد الجميع إلى الإيمان القويم الذى أعلنه البابا ديسقورس البطريرك الإسكندرى .

٢٠ — بدعة انبثاق الروح القدس من الآب والابن :

كانت الكنيسة منذ البدء تؤمن بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط كما ورد بصريح النص فى الإنجيل المقدس . وقد قضى مجمع القسطنطينية الثانى بحرم من يقول أو يعلم بغير ذلك . وقد سارت الكنيسة على هذا المبدأ حتى نهاية القرن الثامن الميلادى .

إلا أنه ظهر فى مستهل القرن التاسع رجل اسمه لوكيوس ، وزعم أن الروح القدس منبثق من الآب والإبن ، وقد بدأ يعلم ذلك فى فلسطين فطرده أساقفتها من بلادهم ، فلجأ إلى روما فطرده أسقفها كذلك ، فاتجه إلى فرنسا ، وهناك تمكن من نفث سمومه بين رجال الإكليروس ، كما امتدت بدعته إلى أسبانيا ، ثم هددت روما والبلاد الشرقية ، ولكنها لقيت فيها مقاومة شديدة ، وحدث بسببها شقاق استمر زمناً . ولكن كنيسة الإسكندرية ظلت بعيدة عن هذا الشقاق ، ومتمسكة بإيمانها القويم الذى عبر عنه أثناسيوس الرسولى قائلا : « إن لنا إلهاً واحداً ، وهو الآب الذى لابداية له ، وهو بداية الأشيـــاء كلها لأن منه ولدت الكلمة وانبثق الروح القدس » .

* * * *

هذا بيان لبعض الأفكار الشاذة التى حاول أصحابها أن يجرحوا بها المبادىء التى تدين بها الكنيسة منذ عهد الرسل ، والتى سجلها المسيحيون فى قانون الإيمان ، ملتفين جميعاً حولها ، ومتخذينها دستوراً وشريعة لهم .

وقد رأينا أن هذه الأفكار ما ظهرت وانتشرت بعض الوقت إلا بتعضيد

الأباطرة ورجال السياسة الذين كانوا يجدون فى هذه الأفكار سبيلا إلى تنفيذ أغراضهم وتحقيق مطامعهم .

وقد نهض الآباء الأوائل فى عزيمة وصلابة وغيرة بلغت حد البطولة ، بل بلغت أحياناً حد الاستشهاد ، دفاعاً عن اعتقادهم القويم الذى تسلموه من السيد المسيح ، واستماتوا فى الذود عنه وماتوا فى سبيل المحافظة عليه . فكم من مرة وقف بطريرك الإسكندرية فى وجه الإمبراطور الرومانى فى فى جرأة عجيبة حين كان الإمبراطور يحاول فرض عقيدة تخالف الإيمان الصحيح . وكم من مرة عمد الإمبراطور إلى التنكيل بالبطريرك وإهانته وسجنه ونفيه بل وقتله أحياناً ، ومع ذلك ما ضعف البطريرك مرة ولا تنازل عن حرف واحد من قانون الإيمان الذى يتمثل فيه معتقد كنيسته وشعبه . ويكفينا مثالاً لذلك أن نستعرض حياة القديسين العظيمين أثناسيوس الرسولى وكيرلس الكبير ، وما لاقاه كلاهما من أهوال تتهاوى أمامها الجبال فى سبيل مقاومتهما لبدعتى آريوس ونسطور ، ومن وراء هاتين البدعتين سلطان الإمبراطور وجبروته العظيم ، ولكنهما صمدا لكل سلطان ، وتحديا كل جبروت ، وانتصرا فى النهاية على أعداء المسيح .

البحث الخامس

المجامع

رأينا كيف نشأ الدين المسيحى ، وكيف دخل فى مصر ، وكيف لاقى المؤمنون به فيها - كما لاقوا فى كل أنحاء العالم - أشد أنواع العسف والتنكيل والاضطهاد ، وكيف تأسست الكنيسة القبطية على الجثث والأشلاء ، ودشنت بدم الشهداء . وكيف دعمت معتقداتها بعد ذلك بأبحاث العلماء والفلاسفة من أساتذة المدرسة اللاهوتية وتلاميذها النابهين ، وكيف استقرت هذه المعتقدات بعد نضال طويل مع ما ظهر من بدع وهرطقات . والآن يقتضينا الأمر استكمالا للبحث أن نشير إلى المجامع التى كانت تقام من حين لآخر لوضع أسس التعاليم المسيحية أو مناقشة بعض المذاهب التى نادى بها أصحابها ، فأجازت بعضها وحرمت البعض الآخر ، ومن ثم تبلورت فى هذه المجامع عقيدة الأقباط .

والمجامع هيئات شورية فى الكنيسة المسيحية رسم الرسل نظامها فى حياتهم ، إذ عقدوا المجمع الأول فى أورشليم سنة ٥١ ميلادية برئاسة أسقفها يعقوب الرسول ، للنظر فى مسألة ختان الأمم . ومن ثم نسجت الكنيسة بعد ذلك على منوالهم .

والمجامع نوعان : مجامع مسكونية أو عالمية ، ومجامع مكانية أو إقليمية .

أما المجامع المسكونية فقد عقدت مرات معدودات فى القرون الأولى، وشهدها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار، وكان السبب الرئيسى لعقدها ظهور مذاهب دينية غريبة ينبغى فحصها وإصدار قرارات بشأنها وشأن مبتدعيها.

وأما المجامع المكانية فهى التى كانت الكنائس وما تزال تعقدها فى حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة أو رفضها أو للنظر فى بعض الشئون المحلية الخالصة.

وقد عقد من المجامع المسكونية ثمانية، تعترف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بالأربعة الأولى منها وهى : —

١ ـ مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية :

يسمى مجمع نيقية بالمجمع المسكونى الأول، وقد عقد فى نيقية عاصمة بثينية بآسيا الصغرى فى ٢٠ مايو سنة ٣٢٥ ميلادية بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير، وقد حضره بنفسه، وحضره ٣١٨ أسقفاً غير القسوس والشمامسة من كل أنحاء العالم المسيحى، ومثل الكنيسة القبطية فيه البابا ألكسندروس بطريرك الإسكندرية، وكان بصحبته رئيس شمامسته أثناسيوس والأنبا بوتامون أسقف هرقلية بأعالى النيل والقديس بفنوتيوس أسقف طيبة العليا، وكانا قد عذبا فى زمن الإضطهاد وقلعت عيونهما بالسيف وكوى جبينهما بالحديد المحمى بالنار. كما حضر المجمع أسطاسيوس أسقف أنطاكية ويوساب أسقف قيصرية ومكاريوس أسقف أورشليم وبولس أسقف قيصرية الجديدة، ويعقوب أسقف نصيبين ويوساب أسقف نيكوميديا وأسبيريون أسقف قبرص، كما حضر أساقفة يمثلون إيطاليا وأسبانيا

والغال ـ أى فرنسا ـ وبريطانيا والليريكوم ـ أى البوسنة والهرسك ـ ودولماطيا ـ أى االسرب والبلغار ـ وحضر ويثين وويكندس من روما وأوسيوس من قرطبة . وقد بلغ عـــدد الحاضرين ألفين . وعقد الاجتماع فى إحدى ساحات القصر الإمبراطورى .

وعند افتتاح جلسات المجمع دخل الإمبراطور قسطنطين وتصدر الإجتماع ، ثم ألقى خطاباً حض فيه على فض المشاكل بالحكمة . ثم بدأ المجمع أعماله ونظر فى المسائل المعروضه عليه وهى الآتية :-

١ ـ كان السبب الرئيسى لعقد المجمع النظر فى بدعة آريوس الذى نادى بأن « يسوع المسيح ليس أزلياً وإنما هو مخلوق من الآب ، وأن



« القديس أثناسيوس »

الإبن ليس مساوياً للآب فى الجوهر ، لأن ألوهيته مكتسبة من الآب » ، فى حين تؤمن الكنيسة بأن « يسوع المسيح قد ولد من الآب ، لا من العدم ، وأنه مساو له فى الأزليه والجوهر » . وقد طلب

المجمع إلى آريوس أن يوضح عقيدته فشرحها وناقشه الحاضرون فيها وكان أبرز الذين جادلوه القديس أثناسيوس الإسكندرى . وقد تبين للمجمع مخالفة هذه البدعة للإيمان الصحيح وقرر بأغلبية ٣٠٠ إلى ١٧ حرم آريوس وتحريم بدعته وحرق كتبه ونفيه إلى الأليريكيون بجوار بحر الأدرياتيك . كما وضع المجمع الجزء من قانون الإيمان الذى يبدأ بعبارة « بالحقيقة نؤمن بإله واحد » وينتهى بعبارة « ليس لملكه انقضاء » . وهذا هو القانون الذى يوضح الإيمان الصحيح ويلتزمه المسيحيون حتى اليوم بعد تكملته فى المجمعين التاليين بالقسطنطينية وأفسس .

٢ — وقد فصل المجمع كذلك فى مشكلة تحديد اليوم الذى يقع فيه عيد الفصح ، أى عيد القيامة . وقد كان ثمة خلاف بين المسيحيين بهذا الصدد : فذهب بوليكريتس أسقف أزمير فى القرن الثانى إلى ضرورة أن تكون ذكرى الصلب فى يوم ١٤ نيسان وذكرى القيامة فى يوم ١٦ نيسان ، وهما التاريخان اللذان حدث فيهما الصلب والقيامة فعلا ، وقد شايعه فى ذلك المسيحيون فيما بين النهرين وكيليكيا وسوريا . بينما جاهر فكتور أسقف روما بضرورة ملاحظة أن يكون الصلب يوم جمعة والقيامة يوم أحد على اعتبار أن الجمعة هو ذات اليوم الذى حدث فيه الصلب والأحد هو اليوم الذى حدثت فيه القيامة ، وقد شايعه فى ذلك المسيحيون فى مصر وفلسطين وبنطس واليونان . وقد تدخل ديمتريوس بابا الإسكندرية محاولا التوفيق بين الرأيين ، باقتراحه أن يكون يوم ذكرى الصلب فى يوم الجمعة ، والقيامة فى يوم الأحد ، على أن يرتبطا بيوم ١٤ نيسان وهو الفصح اليهودى . وقد جمع ديمتريوس لهذا الغرض علماء الإسكندرية الفلكيين ومنهم الفلكى الشهير بطليموس القرماوى ووضع بواسطتهم حساب الأبقطى المشهور بحساب

الكرمة ، والذى يمكن بواسطته معرفة يوم عيد فصح اليهود فى أى سنة من السنوات المصرية وتحديد يوم الأحد التالى له عيداً للقيامة . إلا أن الخلاف لم يمكن حسمه إلا حين عرض على مجمع نيقية ، حيث أقر المبدأ الذى وضعه البابا ديمتريوس ، وقرر أن يكون يوم عيد القيامة فى الأحد التالى للبدر الذى يكون فيه عيد الفصح عند اليهود ، كما قرر أن تقوم بابوية الإسكندرية بأعلان باقى الأسقفيات بميعاد العيد فى كل سنة ، لأن هذه المدينة كانت مركزاً للعلوم الفلكية .

٣ — وقد فصل المجمع بعد ذلك فى مشكلة معمودية الهراطقة ، وكان قد ثار خلاف فى القرن الثالث بين كبريانس أسقف قراطجنة ، واسطفانوس أسقف روما فيما إذا كانت معمودية الهراطقة العائدين إلى المسيحية تعتبر قائمة أم لابد من تعميدهم مرة أخرى . فقرر كبريانوس « أن المعمدين من يد الهراطقة يجب إعادة معموديتهم ، أما الذين قبلوا العماد من الكنيسة الأرثوذكسية فعمادهم صحيح لا يعاد » . وقد انضم إلى هذا الرأى كثيرون ومنهم بابا الإسكندرية ديوناسيوس . وأما اسطفانوس فقرر أنه « لا يجوز إعادة المعمودية مطلقاً حتى إذا كانت من يد الهراطقة » . وقد اشتد النزاع بين الفريقين ، وعقد كل منهما مجامع مكانية تؤيد رأيه . إلا أن الخلاف لم يحسم حتى عقد مجمع نيقية فأقر الرأى الأول ، وقرر بطلان معمودية من يعمدهم الهراطقة ووجوب إعادة تعميدهم . وأما من كانت قد عمدته الكنيسة المسيحية ثم هرطق فلا تعاد معموديته إذا عدل عن هرطقته .

٤ — وفصل المجمع فى مشكلة ملاتيوس ، وكان أسقفاً لأسيوط ، فلما اشتد الإضطهاد فى عهد دقلديانوس ضعف وسجد للأوثان ، فحرمه البابا بطرس ، ولكنه استمر يؤدى وظيفته ، بل وراح يقيم أساقفة بنفسه . فثار الخلاف بشأنه ، واستمر فى عهد البابا ألكسندروس ، حتى عرض على مجمع

نيقيه ، فأمر المجمع ملاتيوس بألا يمارس أى وظيفة كهنوتية ، وأما الذين عينهم برسامة قانونية فتبقى لهم وظائفهم على أن يكونوا أقل درجة ممن عينهم البابا ألكسندروس .

٥ ـ وقد اقترح البعض أن يكون جميع الإكليروس من البتوليين ، فعارض القديس بفنوتيوس أسقف طيبة هذا الإقتراح وكان بتولا . فاكتفى المجمع بعدم التصريح لمن يترمل من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى ، كى يكون كل منهم كما قال بولس الرسول « بعل امرأة واحدة »

وفضلا عن ذلك وضع مجمع نيقيه عشرين قانوناً تتضمن بعض النظم الكنسية والأحكام الخاصة برجال الإكليروس ، وبالمسيحيين الذين ضعفوا تحت وطأة الإضطهاد ثم عادوا بعد ذلك إلى إيمانهم نادمين .

٢ — مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية :

يسمى مجمع القسطنطينية بالمجمع المسكونى الثانى ، وقد عقد فى مدينة القسطنطينية بأمر الإمبراطور ثاؤديوس الكبير ، وحضره مائة وخمسون أسقفاً ، ومثل الكنيسة القبطية فيه البابا تيموثاوس الأول . وكان ممن حضروه نكتاريوس بطريرك القسطنطينية ، وملاتيوس أسقف أنطاكية ، وكيرلس أسقف أورشليم وغريغوريوس الثاولوغوس وغريغوريوس النيسى وأمفيلوشوس أسقف أيقونية وبيلاجيوس أسقف اللاذقية ، ولم يكن يمثل أسقفية روما أحد فى المجمع ومع ذلك فقد وافق أسقف روما على أعماله .

وكان الغرض من عقد المجمع محاكمة أصحاب البدع التى ظهرت فى ذلك الحين ، ومنهم مكدونيوس وأوسابيوس وأبوليناريوس :

١ ـ وكان مكدونيوس أسقفا أقامه الأريوسيون على القسطنطينية سنة

٣٤٣ ميلادية ، ثم عزل فى سنة ٣٦٠ ميلادية لمناداته ببدعة جديدة وهى إنكار لاهوت الروح القدس إذ قال إن الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات ، وقد ناقشه المجمع ثم حرمه وحرم بدعته ، وأسقطه من رتبة الأسقفية .

٢ ـ وكان أوسابيوس ينكر وجود الثلاثة الأقانيم ، ويقول إن للثالوث ذاتاً واحدة وأقنوماً واحداً ، فناقشه المجمع ثم قطعه وأسقطه من رتبته .

٣ ـ وكان أبوليناريوس أسقفاً على اللاذقية بالشام ، وقد أنكر وجود النفس البشرية فى المسيح واعتقد أن لاهوته قام مقام الروح الجسدية فى احتمال الآلام والموت أى أن الآلام والموت قد وقعا على جوهر اللاهوت ، كما اعتقد بوجود تفاوت فى العظمة بين الأقانيم الثلاثة ، فالروح القدس عظيم والإبن أعظم والآب هو الأعظم ، وقد حكم المجمع بحرم أبوليناريوس وتحريم بدعته وإسقاطه من رتبته .

ثم وضع المجمع تكملة لقانون الإيمان الذى وضعه مجمع نيقية ، وهى التى تبدأ بعبارة « نؤمن بالروح القدس » وتنتهى بعبارة « وحياة الدهر الآتى آمين » .

كما وضع المجمع سبعة قوانين أخرى ، تتعلق بنظام الكنيسة وسياستها .

٣ — مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ ميلادية :

يسمى مجمع أفسس الأول بالمجمع المسكونى الثالث ، وقد عقد فى مدينة أفسس بأمر الإمبراطور ثاؤدوسيوس ، وحضره مائتا أسقف برئاسة البابا الإسكندرى كيرلس الأول ، وقد صحبه خمسون أسقفاً مصرياً ، كما صحبه الأنبا شنوده رئيس المتوحدين . وكان الغرض من عقد هذا المجمع كذلك محاكمة أصحاب البدع التى ظهرت فى ذلك الحين ومنهم بيلاجيوس ونسطور :

١ — وقد ولد بيلاجيوس فى بريطانيا وتردد زماناً بين روما وفلسطين ، ثم اعتنق الرهبنة وحصل على درجة القسوسية ، وكان يعتقد أن خطيئة آدم قاصرة عليه ولم تتسرب منه إلى نسله ، ولذلك فأن الإنسان حين يولد يكون كآدم قبل الخطيئة ، ومن ثم يمكنه بمحض إرادته وملكاته أن يبلغ أسمى درجات الكمال ، وبذلك أنكر بيلاجيوس أن الإنسان لا يكون كاملا إلا بنعمة الخلاص ، بدم الفداء ، الذى ليسوع المسيح ، وقد ناقشه المجمع فى معتقده هذا فلما لم يرجع عنه قطعه وأسقطه من رتبته .

٢ — أما نسطور فقد كان راهباً فى دير بالقرب من أنطاكية ، ثم اختاره الملك ثاؤدسيوس أسقفاً على القسطنطينية ، وما لبث أن نادى بأن « طبيعة السيد المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسوتية » . ورتب على ذلك أن اللاهوت لم يولد ولم يصلب ولم يقم مع الناسوت . كما رتب على ذلك عدم جواز تسمية السيدة العذراء بوالدة الإله وتسميتها أم يسوع فقط . وقد جاء نسطور إلى المجمع ، ومعه أربعون أسقفاً من أشياعه وبذل كل جهده فى إثبات صحة معتقداته ، ولكن المجمع بعد أن استمع إلى ردود كيرلس بابا الإسكندرية وكليستينوس أسقف روما وغيرهما حكم بقطع نسطور وإسقاطه من رتبته وفرزه من كل خدمة كنسية . وحكم المجمع بتحريم بدعة نسطور وأثبت أن فى المسيح أقنوماً واحداً وطبيعة واحدة بعد الإتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة . ولذلك فأن العذراء تدعى بحق والدة الإله . وقد وضع المجمع مقدمة لقانون الإيمان تبدأ بعبارة « نعظمك يا أم النور الحقيقى » وتنتهى بعبارة « يارب ارحم . يارب بارك . آمين » .

٤ — مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ ميلادية :

وقد عقد مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ ميلادية بأمر الإمبراطور

تاؤدوسيوس ، وبناءاً على التماس أوطاخى المتهم بالإبتداع ، استئنافاً للحكم الصادر بقطعه من مجمع مكانى عقده فلابيوس أسقف القسطنطينية ، وقد حضر هذا المجمع مائة وخمسون أسقفاً برئاسة البابا الإسكندرى ديسقورس . وكان من الحاضرين الأسقف يوليوس عن أسقف روما ويوبيناليوس أسقف أورشليم ودمنوس أسقف أنطـــاكية وفلاثيانوس أسقف القسطنطينية واستفانوس أسقف أفسس .

وكان أوطاخى رئيساً لدير بالقرب من القسطنطينية ، وقد تطرف فى تعبيره فى مجال الجدال مع الأربوسيين ، فقال إن طبيعة المسيح الناسوتية إندمجت فى اللاهوتية . وقد ناقش المجمع أوطاخى فاعترف بتمسكه بقانون الإيمان النيقى ، فحكم المجمع ببراءته .

كما ناقش المجمع الأسقف فلابيوس الذى اتهم بأنه من أتباع نسطور ، ثم حكم بعزله من وظيفته ، كما حكم بتجريد ثاذوريتوس أسقف كورش وإيريناوس أسقف صور بتهمة النسطورية كذلك .

ولـكن قرارات هذا المجمع لم ترق فى عين أسقف روما فلم يعترف به ، حتى إذا مات الإمبراطور ثيوديسيوس طلب إلى خليفته مركيانوس — وكان على صلة طيبة به — عقد مجمع آخر فوافق على ذلك ، وأمر بعقد المجمع فى خلقيدونية.

٥ — مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ميلادية :

عقد مجمع خلقيدونية أولا فى القسطنطينية ، ثم انتقل إلى خلقيدونية بالقرب من البسفور ، وقد حضره أساقفة روما ، كما حضره البابا ديسقورس بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته . وقـد اشتد الخلاف بين الفريقين فى اليـوم الأول ، حتى إذا كان اليوم الثـانى للمجمع منع البـابا ديسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة ، واجتمع

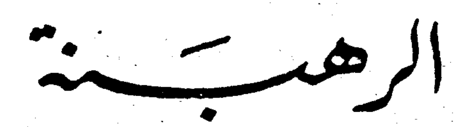
أساقفة روما مع بعض أساقفة الشرق وحكموا بعزل ديسقورس ونفيه، ونادوا بعقيدة الطبيعتين والمشيئتين ، مخالفين بذلك قانون الإيمان . وقد أراد الإمبراطور مركيان أن يلزم البابا ديسقورس بأن يعترف بهذه البدعة مهدداً إياه بالقتل ، فأجاب ديسقورس قائلا : « إن القيصر لايلزمه البحث فى هذه الأمور الدقيقة ، بل ينبغى له أن يشتغل بأمور مملكته وتدبيرها ويدع الكهنة يبحثون عن الأمانة المستقيمة فأنهم يعرفون الكتب ، وخير له ألا يميل مع الهوى ولايتبع غير الحق» . فأصدر القيصر أمره بنفيه إلى جزيرة فلاغونيا بآسيا الصغرى ، وقد مات فى منفاه بعد ذلك بست سنوات ، وظلت الكنيسة القبطية محافظة على الإيمان الذى استشهد فى سبيله .

ولاتعترف الكنيسة القبطية بمجمع خلقيدونية ، ولا بقرارته ، كما لاتعترف بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك فى سنة ٥٥٣ وسنة ٦١٠ وسنة ٧٨٦ ، لمخالفة الذين اشتركو فيها مع الكنيسة القبطية فى الإعتقاد بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة .

* * *

ونرى مما سلف أن هذه المجامع كانت فى بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الإيمان المسيحى ، ثم لم تلبث أن أصبحت بعد ذلك أداة فى يد الإمبراطور لتنفيذ أغراضه ، مستغلا فى ذلك مطامع بعض الأساقفة ، وطموحهم إلى الجاه والنفوذ والسلطان . وهكذا أصبحت المجامع أداة هدم بعد أن كانت أداة بناء ، وقد فتحت الباب على مصراعيه للخصومة والشقاق بين المسيحيين فى البلاذ المختلفة . إلا أن الكنيسة القبطية رغم كل هذه الأعاصير التى مرت بها ظلت مستمسكة بأيمانها ، مستبسلة فى الدفاع عن عقيدتها ، وقد حافظت عليها منذ عهد مرقس الرسول حتى اليوم . ولذلك سميت بالكنيسة الأرثوذكية ، أى مستقيمة الرأى.

البحث السادس



إستعرضنا حتى الآن أغلب العناصر التى يمكن أن تتكون منها فكرة جامعة عن عقيدة الأقباط ، إلا أن هذه الفكرة لن تكون كاملة إلا بالكلام عن موضوع كان له أعمق الأثر فى تاريخ الأقباط وفى تفكيرهم وسلوكهم على مر العصور حتى اليوم ، وذلك هو الرهبنة ، وسوف نبدأ بكلمة عامة عنها ، ثم نتناولها بشىء من التفصيل حتى نلم بكل جوانبها .

كلمة عامة

الرهبنة نظام بدأ يستهوى نفوس المسيحيين فى مصر منذ الجيل الثالث للمسيح ، وقد توطدت نظمه وتقاليده وطقوسه على أيدى الرهبان الأوائل أنطونيوس وباخوميوس ومكاريوس وغيرهم ممن آثروا حياة العزلة والتبتل ، مقتفين أثر السيد المسيح فى طهره وتقشفه وتضحيته من أجل البشر ، ومتشبهين بمن سبقوه من أنبياء : كأيليا فى اعتصامه بالجبال ، ويوحنا فى انطلاقه بين البرارى ، فضلا عما ورد بالكتاب المقدس فى عهديه القديم والجديد من آيات تحبب إلى النفوس التقرب إلى الله ، بالبعد عن متاع الدنيا وهجر الناس بما انطوت عليه نفوسهم من مطامع وشهوات وشرور ، والانقطاع فى الصحارى البعيدة إلى تجريد الروح ، والتأمل ببصيرة نقية فى بدائع الخليقة ، وقدرة الخالق العظيم .

فغاية الرهبنة منذ نشأتها الأولى هى التسامى بالروح إلى الحد الذى فيه تعاين الله ، ووسيلتها إذكاء مشاعر القلب وتأريث نار الفكر بأضناء قوى الجسد ، ومنعه عما يصبو إليه من لذات مادية ، وحرمانه مما يبغيه من إشباع ما يتنزى به جوهره الفانى من شهوات ونزوات .

وإذن فالرهبنة كما عرفها آباؤنا الاوائل ، طموح يستوجب التضحية ، إذ بها تتوثب الروح للانطلاق إلى قرب أنوار الله ، وبسببها يفنى الجسد لتستحيل قواه العضوية إلى فكرة مجردة متناهية الصفاء يرى العقل خلالها وجه الحقيقة الخالدة الممثلة فى رب الكون .

هكذا عرف أولئك الأبرار غايتهم ، وهى بلوغ القدرة على الإتصال المباشر بالله .

وهكذا عرفوا وسيلتهم وهى إنماء قوة الروح والعقل بالقبض على أزمة الجسد وكبح جماحه ، وكل هذا يقتضى اجتناب مغريات المجتمع بالبعد عنه ، واجتناب شهوات الجسد بتحريم اللذائذ عليه ، واجتناب الضعف والتراجع باستمداد المعونة الدائمة من عند الله ، وبالتفكير الدائم فيه ، وفى سمو صفاته ، وعجائب مخلوقاته .

وعلى ذلك فهذه هى الأسس الخمسة التى تقوم الرهبنة عليها وهى : الوحدة ، والتبتل ، والتقشف ، والصلاة ، والتأمل .

ومن تعاليم آبائنا اللذين أسسوا الرهبنة وسيرتهم ، نعلم أن كل واحد من هذه الأسس إنما هو وسيلة للغاية العظمى ، وليس غاية فى ذاته ، ولا فضيلة بمفرده :

فالوحدة فى ذاتها ولأجل ذاتها رذيلة من رذائل المجتمع المجبول بحكم طبيعته على التآلف والتعاون بين الناس : فالمتوحد لغير عبادة الله أو بدون عبادة الله رجل مكروه الطبع منبوذالصفات بين الناس . وكذلك الهارب من عواقب شروره ، والمتخلى عنمقتضيات واجبه ، واليائس من رحمة الله فى شئون معاشه ، والمرتجى من وحدته نفعاً دنيوياً يصبو إليه من فى قرارة نفسه . وكل أولئك ليسوا إذن من الرهبنة على شيء ، ماداموا يبتعدون عن الناس لغير التقرب لوجه الله .

والتبتل ، أى صم الآذان عن نداء الجنس الخارج من أعماق الجسد هو أمر يخالف مقتضيات الحياة البشرية ، بما تنزع إليه من تكاثر واستمرار ، ويخالف مطالب الجسد بما جبل عليه من رغبة ، وبما وجب لرغبته من استجابة فى غير انحراف أو شذوذ . إلا أن الرهبنة كما عرفها آباؤنا غاية تستوجب التضحية ، ومن صور التضحية هذا الكبح الإختيارى لغريزة من غرائز الأحياء الأرضية فى سبيل التسامى إلى ما هو غير أرضى ، وفى سبيل تفوق الإنسان على نفسه بالضغط على هذا المزيج من المادة والروح ، ليبلغ آخر الأمر مرتبة الروح النقية-الخالصة ، القادرة على استشعار مجد الله . وذلك أنه بغير العفة يستهلك الإنسان فى إرضاء شهوته كل ملكاته وقواه ، فتخبو فيه مشاعر القلب ، وتخفت أضواء العقل ، وينسدل ستار المادة السميك على صفاء الروح . أما العفة فتقسو حقاً على الجسد ، ولكنها تصهره ، فتحول كل مقدراته إلى أنوار باهرة تكسو شعوره وفكره ببهاء الجوهر الخالد المدرك لذاته ولأسرار الوجود . وفى سبيل هذا يحلو العذاب ، وتسهل المشقة ويهون التنازل عما هو طبيعى لبلوغ ما هو فوق الطبيعى . . وأما تعذيب الجسد مستقلا عن الرغبة فى بلوغ هذه الغاية ، أو باعتباره غاية فى

ذاته ، أو وسيلة بمفرده لإرضاء الله ، فسلك لا يتفق مع طبيعة الناس ولا ينال رضاء الله .

والتقشف هو أيضاً صورة من صور الجور على جانب المادة فى الإنسان لإذكاء جانب الروح ، وذلك بحرمان الجسد من أطايب المأكولات والمشروبات ومن فاخر الثياب لكى لا يغرق فى طوفان الشهوة ، أو يلهيه حسن المنظر عن الجهاد فى سبيل الهدف الذى وضعه نصب عينيه . إلا أن التقشف لغير بلوغ هذا الهدف كذلك مضيعة لما ينبغى للإنسان من قوة يواجه بها مطالب الحياة ، ويكافح بها فى سبيل العيش . فلا يكفى أن يصوم المرء عن الطعام ويبعد عن بهرج المظهر كى يكون راهباً أو ملتزماً طاعة الله : فلن يكون ذلك من طاعة الله، إلا فى حالة واحدة ومن أجل غاية واحدة هى تحرير الروح كى تنطلق لرؤية الله ، فذلك أمر تستوجبه التضحية وتحتمه الضرورة الماثلة ، كما يجبر المرء على الصوم إذا كان عليلا ويرجو الشفاء ، أو يلزم القصد فى الطعام إذا كان صحيح الجسم ولكنه يخشى ما تؤدى إليه التخمة من أدواء.

إلا أن هذه الأسلحة الجبارة التى يشهرها الإنسان المتشوق إلى أنوار الملكوت لا تكفى وحدها لقهر هذا الجسد القاسى العنيد بما ركب فيه من ملكات تنزع به على الدوام إلى تحقيق ما يضطرم به من رغبات ، فما تزال بالمتوحد تغريه بأن يعود إلى أحضان الإجتماع ، وما تزال بالمتقشف تدفع به إلى تذوق ما حرم نفسه منه من شهى الطعام وبهى الأردية وزاهى الحلى والزينات . فما أضعف الإنسان أمام هذه الهمسات التى لا تفتأ تلهيه عن غايته وتحرضه على التخاذل والاستسلام . لذلك يلزم للإنسان سلاح آخر يحارب به الضعف والتردد ، ويهزم به هواجس الفكر وآثام الخيال، وذلك السلاح هو الصلاة المستمرة لله فى تجرد وتفرغ وحرارة وابتهال ، حتى تكون الغاية من الرهبنة ماثلة أمام الراهب فى كل ساعة من ساعات الليل

أو النهار، وحتى يستمد من دعائه لربه قوة يواصل بها الطريق الشاق الذي اختار أن يسلكه فى الحياة . أما تلاوة الصلوات وحدها أو ترديدها فى الفم بغير انتباه فلا فائدة فيها ولا ثواب، طالما أن الغاية المرجوة منها بعيدة عن الذهن والقلب، وطالما أن الهدف الأسمى من الرهبنة ليس هو مجرد الصلاة، وإنما هو معاينة الله .

وأخيراً فأنه لايكفى للانسان أن يعيش وحيداً متبتلا متقشفاً مواصلا الصلاة لكى يجنى ثمرة جهاده، ولكى يكون راهباً بكل مافى هذه الكلمة من معنى، وإنما ينبغى أن يفعل كل ذلك بكل وعيه وبكامل إدراكه، أى يفعله على هدى بصيرته ونور فكره، ولايفعله كالآلة المسخرة التى لا عقل لها ولاتفكير ولا صواب .

فالتسامى إلى الله لايكون إلا بسمو الروح، وسمو الروح لا يأتى إلا عن سمو العقل، ومظهر سمو العقل هو حب المعرفة، ودوام التأمل فى الظواهر والمعقولات، والسعى إلى استكناه أسرار الوجود باستنباط الأسباب والمسببات، والعلل والمعلولات، والصعود فى مدارج الفكر إلى الأسس الأولى والمبادىء العليا التى يقوم عليها نظام الخليقة بحكمة خالقها .

وبالجملة فلكى يكون الإنسان راهباً ينبغى له أن يكون بذلك وقبل ذلك فيلسوفاً وحكيماً .

ومن ذلك نرى أن الرهبنة أسلوب جليل من أساليب الحياة، ومهمة شاقة لايصلح لها كل إنسان ولا يقدر عليها كل إنسان ولايصل إلى غايتها كل من سلك سبيلها ولايتصف بصفتها كل من لبس مسوحها، لأنها كما عرفها روادها الأوائل أسمى وظيفة من وظائف البشر، وأصحابها – على حقيقتها – هم أسمى مراتب الناس، وغايتهم فى الحياة هى أسمى غاية وسبيلهم أشرف سبيل .

وقد وقع الأقباط فى أيام ديسيوس ثم فى أيام دقلديانوس إبان القرن الثالث الميلادى تحت وطأة الإضطهاد الشديد ، وكان عهد هذين الطاغيتين من أسوأ العهود التى مرت بها المسيحية منذ نشأتها إلى اليوم ، حتى لقد كانت حياة المسيحيين تحت حكمها كابوساً مروعاً مملوءاً بالأهوال ، ومذبحة مستمرة تفيض من جنباتها دماء الشهداء من رجال ونساء وأطفال . إلا أنه لم يكن الإرهاب والعذاب ، ولم يكن الإضطهاد والاستشهاد إلا ليزيد ما بقلوب المسيحيين من إيمان ، وأن يضاعف من عزمهم الجبار على احتمال الآلام والأخطار. بل لقد دفعت بهم قوة إيمانهم وشدة عزمهم الى استعذاب العذاب والتلذذ بالألم ، والسعى مختارين مطمئنين إلى حومة الموت . ثم انتهى بهم الأمر إلى استشعار الفرح والفخار فى التقدم طواعية لنيل إكليل الشهادة ، وإلى الإحساس بالخيبة والعار لو أن مسيحياً نجا من حد السيف أو من لهيب النار ، فلم يسعد بنعمة الاستشهاد .

حتى إذا انقضى ذلك العهد الدامى وانتهت تلك التجربة العظمى ، كان ما لاقاه المسيحيون من أهوال قد صهر نفوسهم ، وطهر من أدران الدنيا سرائرهم وخواطرهم وخلجات قلوبهم ، وأرشدهم إلى سبيل الروح وعودهم على التضحية بالذات واحتمال الشدائد لغاية مجردة هى محبة الله .

فما بدأ عهد الحرية على أيام قسطنطين ، حتى بدأت تلك الفضائل المسيحية فى الظهور والاستقرار ، وحتى بدأ كل مسيحى بقى على قيد الحياة يتوجه بالتقدير والتقديس لتلك الدماء الذكية التى سفكت ، ثم يحس بالحسرة والألم لأنه لم تدركه تلك الفرصة المباركة لأن ينال فخر الشهادة مع الشهداء . ومن ثم راح يسعى لأن يعوض ما فاته من مجد عن طريق الفداء ، بسلوك طريق أخرى يلتمس بها التفانى فى تمجيد ذلك الذى بذل نفسه عن البشر ، وفى نشر

دعوته والتماس المشقة فى تنفيذ تعاليمه ووصاياه . . حتى أدى ذلك ببعض المسيحيين إلى التنازل عن كل ما فى الحيـاة من لذات ومتعات ، وتكريس الحياة كلها ـ بعيداً عن دنيا الناس ـ للتسبيح والعبادة .

وهكذا اقترنت فـكرة التوحد للعبادة منـذ نشأتها بفكرة التضحية والفداء : فإذ رأى المسيحيون خلال تجاربهم المريرة بطلان هذا العالم وخداع مظهره الخلاب ، وإذ عرفوا بأحساسهم الذى أرهفه العذاب أن هنالك ماهو أسمى وأمجد من هذا السراب ، وألهمتهم أرواح شهدائهم أن هنالك ماهو أحق بالجهاد والاستشهاد من مطالب هذا العالم الكذاب ، راحوا يبذلون أنفسهم ـ بمحض رغبة نفوسهم ومشاعرهم ، وعلى هدى ضمائرهم وبصائرهم ـ هاربين من الناس ، متوارين عن مدائنهم وقراهم الزاخرة بالأدناس ، منطلقين فى الصحراء والبرارى ، أو منزوين تحت سقوف الأطلال أو كهوف الجبال ، يحاربون الجسد فيقتربون بالصلاة والصوم والتأمل وتسامى الروح ، من ملـكوت السموات .

وعلى هذه الصورة بدأت الرهبنة فى مصر : فخرج أفراد من المسيحيين عن ديار أهلهم ، ويمموا شطر الأكمات والتلال البعيدة عن معـالم العمران وانفرد كل منهم وحيداً متعبداً لله فى كهف من الكهوف أو تحت سقف من السقوف ، لايؤنس وحدته أنيس ، ولايجلس إليه فى خلوته جليس ، ولا يعاونه على تدبير أمره رفيق ولا صديق .

وكان من أوائل أولئك الناسكـين المتوحدين فى أواخر القرن الثالث القديس الأنبا بولا ، ثم الأنبا أنطونيوس ، والأنبا باخوميوس ، ثم ظهر فى أوائل القرن الرابع الأنبا مكاريوس ، وهؤلاء . هم الذين وضعوا أسس الرهبنة ، وسنوا شرائعها وصاغـوا مبادئها وآدابها ،

حتى جعلوا منها أسلوباً سامياً من أساليب الحياة ، إجتذب إليه آلاف النفوس البارة فى مصر وفى العالم أجمع ، حتى لقد أقبل كثير من الأمراء والحكماء والفلاسفة إلى وادى النيل كى يتتلمذوا على هؤلاء الرهبان الأوائل ، ويسلكوا سبيلهم فى الحياة : ومن أولئك القديس أرسانيوس ، وقد كان معلم أبناء الملك فى روما ، وأعظم فيلسوف فيها ، وكان أبوه من كبار رجال البلاط الملكى . ومنهم كذلك القديسان مكسيموس ودوماديوس اللذان تركا قصر أبيهما الملك ، وأقبلا من القسطنطينية ، وهما فى زهرة شبابهما كى ينخرطا فى سلك الرهبنة . وقد أفنيا حياتهما فى الزهد والتقشف والتعبد والصلاة . وغير أولئك كثيرون من سائر أمم الأرض .

* * * *

وظلت الرهبنة هكذا تقوم على التوحد ، وهو أسمي مراتبها ، إذ به يكتمل ما للرهبنة من معنى التصوف ، وما لها من صورة التقوى والتقشف ، وما ينبغى لها من التجرد والانقطاع إلى التأمل فى حقائق الكون والاتصال بالله .

وكان النساك إبان ذلك يعيشون فى الكهوف أو المغارات أو القلالى يبنونها لأنفسهم ويغلقونها على أنفسهم ، فلا يرون الناس ولا يراهم الناس . حتى أقبل القرن الرابع الميلادى ، وكثر طلاب الترهب وانطلاق الناس إلى البرارى والقفار . إلا أن النفوس ليست بقادرة كلها على التزام الصبر الشديد على الوحدة المطلقة بما تنطوى عليه من قسوة وإقفار وحرمان ، وقد نشأ الناس بغريزتهم ميالين الى الإجتماع والتعاون على مطالب العيش ، ومن ثم فقد بدأت تظهر الحاجة الى جمع شمل الرهبان ممن عجزوا عن حياة الوحدة ،

كى يعيشوا فى جماعات تتوافر لهـا أسباب الائتناس بالزمالة والجـوار ، والأمن والسلامة من عادية الوحوش الضارية أو المغيرين من قطـاع الطرق ولصوص القفار ، فراح الرهبان يبنون قلاليهم فى سفوح الجبال متجاورة من بعضها حتى يخففوا عن أنفسهم حدة ما يستشعرون من وحدة وانفراد ، ومع الزمن ابتدأ هؤلاء النساك المتجاورون يتعاونون فى إقامة الصلاة وتدبير ما يلزم لهم من شئون حيـاتهم ، وحماية أنفسهم من ضـوارى الصحراء ، وغارات البربر ، فقاموا يبنون أسواراً عاليـة تضم قلاليهم وتعزز مانشأ بينهم من تعاون ومودة . وهكذا نشأت فكرة الأديرة .

وكان أول من نظم جماعات الرهبان هو الأنبا باخوميوس : فكان يقيم لهم الأديرة عند أطراف المدن فى نواحى الوجه القبلى . وهكذا فعل الأنبا أنطونيوس فى الجبل الشرقى ، والأنبا مكاريوس فى الجبل الغربى ، وتوالت من بعدهم ديار الرهبان،إلا أنها ظلت خلال السنين المتوالية فى تطورمستمر من حيث بنائها ومن حيث النظام السائد بين ساكنيها : فبعد أن كانت قاصرة على القـلالى تضمها الأســوار ، أصبحت تقام لها أبنية كاملة ذات حجرات متباعدات أو متجاورات . وبعد أن كانت الصــــلاة فيها انفرادية دائماً أصبحت جماعية فى بعض الأوقات ، يشترك فيها رهبـان الدير جميعاً ، وقد أصبحت تضمهم لهذا الغرض كنيسة تبنى داخل الدير ، وبعد أن كان كل راهب مسئولا عن نفسه وغير مسئول أمام غيره ، أصبح يسود الدير نوع من النظام الإجتماعى قوامه التعاون والتواضع والطاعة من سائر الرهبان لمن أقاموه رئيساً لهم يسهر على شئون مجتمعهم الصغير .

حتى إذا أقبل القرن الخامس ، كانت الأديرة تملأ كل برارى مصر وقفارها ، حتى بلغت الآلاف ، وأصبحت تضم عشرات الآلاف من الرهبان المقبلين من كل نواحى الأرض .

وقد كانت حياة الرهبان في الأديرة حياة كفاح وحرمان، بيد أنها كانت في ذات الوقت حياة إنتاج وحصوبة، فلم يكونوا يفهمون الرهبنة على أنها انقطاع للعبادة والمناجاة فحسب، ولا تطلع إلى الخير الذاتي وحده، وإن كان هذا الخير متصلا بالروح، وإنما كانوا يفهمونها على أنها رسالة سامية ذات غاية متسعة الآفاق يمتد ظلها فيشمل المجتمع كله ويشمل الزمن كله، لأنهم كانوا يدركون أنها باطلة فضيلة الإنسان إن كان ضياؤها لا يتعدى جدران النفس البشرية ولا ينعكس على الإنسانية كلها فيغمرها بنور الحقيقة، ويهديها إلى سر الوجود

فلم يكن الراهب إذ يغلق باب الدير على نفسه قد آلى على نفسه أن يقطع صلته بالكون والكائنات، وإنما أن يتخلص من الجانب المظلم في الحياة كي ينكشف أمامه الجانب المضيء، فيرى الكون ويرى الكائنات على هداه، فيتأثر بما حواه من أضواء، ثم يجتهد أن يؤثر بدوره في الحياة البشرية، وأن يكسوها مما اكتست به نفسه من بهاء .

ومن ثم فقد كان إيمان الراهب غير قاصر على سويداء قلبه، وإنما يجتهد أن يشيع بين الناس ما اقتنع به : فكان للراهب إلى جانب تعبده لله واجبان مقدسان هما تبشير أهل الدنيا بأسرار الدين، وتلقين الجاهلين بما وصلت إليه القرائح من علم : ومن ثم فقد كانت حياة الراهب موزعة بين الصلاة والصوم والتعبد من ناحية، وبين القراءة والبحث والكتابة والتبشير من ناحية أخرى

وبذلك وصلت إلينا أخبار نسكهم وقداستهم وشدة احتمالهم وطهارة قلوبهم ونقاييهم في إيمانهم واجتهادهم في مرضاة ربهم وإجهاد أبدانهم في عبادته وتأديبه الطقوس المرسومة لتسبيحه وتقديم آيات الولاء والإجلال له .

ووصلت إلينا كذلك أخبار انقطاعهم للقراءة والتأمل والدرس ، وقد عثرنا على بعض ما ألفوه من أبحاث ، وما صنفوه من كتب،وما خلفوه من آيات تدل على ما بلغوه من سعة الفكر وسمو الحكمة وعمق النظر فى حقائق الكون وطول الباع فى البحث والاطلاع .

فأحاطوا – فضلا عن تعمقهم فى اللاهوت – بكل مباحث الفلسفة وعلوم ما بعد الطبيعة ، وعرفـــوا أسرار الفلك وتسيار الكواكب ، ومواضع الشموس ، ومواقع الأقمار ، وتتابع الليل والنهار ، وأتقنوا حساب السنين وترتيب الفصـــول وأحاطوا بطرف من الكيمياء والطب والجبر والهندسة وتاريخ الشعوب وأنباء الحروب ، وكل ما يرد على قلب الإنسان من معارف وعواطف وخلجات وأشجان .

ومن الجهة الأخرى ، كانت المسيحية فى مبـدأ عهدها عقيـدة مضطهدة يؤمن بها البعض فيلاقى فى سبيلها كل صنوف التعذيب والهوان ، ويكفر بها البعض الآخر فيناصب أنصارها العداء ويلاحقهم بالعدوان ، ويحتار أمامها فريق ثالث فيظلون هكذا فى تردد بين الكفر والإيمان . . فكان إذن لا بد من رجل يأخـذ على عانقه أن يواسى المؤمنين فيما يلاقون من عذاب ، ويدعو الكافرين إلا دين رب الأرباب ، ويمحو من قـلوب المرتابين المضطربين ما يداخلها من ارتياب واضطراب . فكان هذا هو بعض واجب الراهب يؤديه ولو أدى به إلى هجر ديره وترك ما توجبه عليه رهبانيته من وحدة وانقطاع ، وفى سبيله كان يروح بين الناس معزياً ومعلمـاً ومبشراً بيسوع ، ومن ثم كان الرهبان هم الشعلات التى أضاءت طريق المسيحية منذ أقدم العصور .

فالتفكير والتبشير إذن كانا من واجبـات الرهبنة ، إلا أنهما كانا فى الحقيقة قاصرين على النابغين والموهوبين من الرهبان الذين بلغـوا مصاف كبار المفكرين والفلاسفة والخطباء فى أيامهم .

أما الذين لم يبلغوا هذه المرتبة من الرهبان، فقد كانوا ينصرفون إلى نسخ الكتب أو يعكفون على أنواع مختلفة من الصناعات اليدوية يستعينون بها على مواصلة كفاحهم المرير، أو يلجأون إليها لمناضلة ما قد يراودهم من تضعضع الإرادة أو تزعزع التفكير، واضعين نصب أعينهم على الدوام الغاية التي كرسوا أنفسهم لها، متطلعين – من وراء التعفف والتقشف – إلى ملكوت يسوع الذى أعده للبررة الأطهار المتواضعين، طامعين – بعد الزهد والتقتير – فى معاينة وجه الخالق القدير.

* * *

وبعد هذه الكلمة العامة التى أسلفناها عن الرهبنة، وعرفنا منها حقيقتها وحكمتها، ووسيلتها وغايتها، تقتضينا الإحاطة بالبحث أن نتناول الكلام عن الرهبنة بعد ذلك بشيء من الإسهاب، لما كان لها فى حياة الأقباط من أثر بارز، وما كان لها عليهم من سلطان عميق، حتى لقد اختاروا كل رؤسائهم الدينيين من بين الرهبان، بل لقد جعلوا الرهبنة شرطاً لتولى أولئك الرؤساء مناصبهم السامية الجليلة التى يكن الأقباط لمن يتولونها كل تقديس وتوقير واحترام.

فمتى نشأت الرهبنة، وما الأساس الذى قامت عليه، ومن هم روادها الأوائل الذين وضعوا أساسها ؟

نشأة الرهبنة

يقول كيرزون فى كتابه « أديرة الشرق » أن فكرة الرهبنة، كانت موجودة فى القرن الثانى للميلاد، وأن القديس فرونتون اعتزل الحياة بوادى النطرون فى نحو عام ١٥٠ ميلادية. كما يذهب الأب شينو فى كتابه « قديسو مصر » إلى أن هذا القديس هو أول من

فكر فى حياة العزلة ، بعيداً عن العمران ، وأنه قد تبعه فى ذلك مئات النساك ، الذين انطلقوا يتعبدون فى البرارى والقفار . إلا أن الرهبنة لم تكن فى تلك الأيام قد اتخذت بعد شكلها الذى عرفت به فى الأجيال التالية ، وإنما كان معتنقها يسمى ناسكاً ، وكان ينفرد بعيداً فى الصحراء ويبنى له كوخاً يسمى بالقلاية ، أو يبحث عن فجوة فى الجبل تسمى بالمغارة ، وينتهج فى معيشته هناك النظام الذى يختاره لنفسه دون منهج معين يلتزمه غير ما يمثل فى ذهنه من آيات الكتاب المقدس وما ورد فيه من أسلوب حياة السيد المسيح والأنبياء والقديسين .

أساس الرهبنة

١ ـ نشأت فكرة هجر العالم والزهد فى متاعه وأطماعه لدى أولئك النساك الأوائل عن قول السيد المسيح للشاب الغني : « إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء، وتعال اتبعنى » ، وقوله لتلاميذه : « إن أراد أحد أن يأتى ورائى، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى ، فأن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها، لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» وقوله فى موضع آخر : «من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى ومن أحب ابناً أو إبنة أكثر منى فلا يستحقنى ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى. من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلى يجدها» وقال كذلك : « من ترك بيوتاً .. أو حقولا من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية » . ثم أن يسوع ضرب مثلا بنفسه إذ قال : « للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار ، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه »

٢ ـ ونشأت فكرة اللجوء إلى الجبال والبرارى عن أن السيد المسيح كان يصعد إلى الجبل حين يريد أن يصلى أو يعلم الجموع . كما أن إيليا النبى كان يقيم فى جبل الكرمل ، حتى إذا هرب من هناك لجأ إلى جبل حوريب ، واتخذ له فيه مغارة نام فيها . وكان أليشع كذلك يقيم فى الجبل . وكان يوحنا المعمدان يعيش فى البرية منذ صباه ، ثم أصبح بعد ذلك يكرز فى البرية كذلك .

٣ ـ أما البتولية فقد استمد أولئك النساك مبدأها من تعاليم السيد المسيح إذ قال : « إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى ، والذى يتزوج بمطلقة يزنى » فقال له تلاميذه إنه مادام هذا أمر الرجل مع المرأة ، فالأوفق له ألا يتزوج » فأجابهم قائلا : « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام ، بل الذين أعطى لهم ، لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات .. من استطاع أن يقبل فليقبل » . وكذلك قال بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس : « حسن للرجل أن لا يمس امرأة » . وقال كذلك : « أريد ألا تكونوا بلاهم . غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب . وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى امرأته . إذن من زوج فحسناً يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن » . وقد عاش بولس نفسه بتولا ، كما يتضح من قوله : « أقول لغير المتزوجين أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا »

٤ ـ وأما الفقر الإختيارى والتقشف الذى أخذ به النساك أنفسهم ، إذ قسوا على ذواتهم ونسوا مطالب حياتهم وتعمدوا تعذيب أبدانهم بالجوع والعطش وخشن اللباس وضنك التفرد بعيداً عن الناس ، فقد تمثلوا فيه

كذلك بالسيد المسيح فى زهده واحتماله الآلام ، وبالأنبياء فى قناعتهم بالحقير من اللباس وبالنزر اليسير من الطعام .. كما بنى النساك ذلك على ما ورد فى الكتاب المقدس من آيات تدعو له وتحض عليه ، إذ جاء فى التثنية : « إحترز من أن تنسى الرب إلهك ولا تحفظ وصاياه وأحكامه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم ، لئلا إذا أكلت وشبعت وبنيت بيوتاً جيدة وسكنت وكثرت بقرك وغنمك وكثرت لك الفضة والذهب ، وكثر كل مالك يرتفع قلبك وتنسى الرب إلهك » . وجاء فى الأمثال : « أطعمنى خبز فريضتى لئلا أشبع وأكفر وأقول من هو الرب » . وجاء فى أعمال الرسل : « إنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله » . وقال بولس فى رسالته إلى أهل تسالونيكى : « كى لا يتزعزع أحد فى هذه الضيقات ، فأنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا .. وأننا عتيدون أن نتضايق » . وقال فى رسالته إلى أهل كورنثوس : « كفقراء ونحن نغنى كثيرين ، ولا شىء لنا ونحن نملك كل شىء »

٥ ـ وأما الطاعة التى هى فرض واجب على الرهبان نحو رؤسائهم ، فقد احتذوا فيها بالسيد المسيح إذ جاء فى الآية : « مع كونه ابناً تعلم الطاعة » و « وضع نفسه وأطاع حتى الموت » . وقد حض بولس الرسول على الطاعة فى قوله : « مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح » . وقال لتلميذه تيطس : « ذكرهم أن يخضعوا للرئاسات والسلاطين ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح » . وقال أيضاً . « أطيعوا مرشديكم » .

مؤسسو الرهبنة

١ — الأنبا بولا :

من أشهر النساك الذين عاصروا العهد الأول ، الذى بدأت تأخذ الرهبنة

فيه شكلها المنظم القديس الأنبا بولا . وقد ولد فى أوائل القرن الثالث . وكان أبوه رجلا غنياً ، ولم يكن له سوى أخ واحد أكبر منه يسمى بطرس. فلما مات أبوه وانقضت أيام الحزن عليه ، جلس الأخوان يقتسمان الميراث . وعندئذ رأى بولا أن أخاه الأكبر يجور عليه فى القسمة ، فتألم لذلك ، وصمم على أن يمضيا إلى الحاكم ليفصل بينهما . وفيما هما ذاهبان مرت بهما جنازة ، فسأل بولا أحد المشيعين عن الميت فقال أنه عظيم من عظماء المدينة وقد خلف مالا وفيراً تركه وخرج من هذه الدنيا بغير شىء حتى الرداء الذى كان عليه .. فتنهد بولا وقال فى نفسه : « مالى أنا وهذا العالم الفانى أتكالب عليه ثم أتركه وأنا عريان » ثم التفت إلى أخيه قائلا « عد بنا يا أخى فما عدت أطلب منك شيئاً » ، ثم انحرف عنه وانطلق إلى البرارى الواقعة خارج المدينة ، وهناك وجد مغارة بالقرب منها نخلة وعين ماء ، فأقام فيها وبقى بها يعبد الله سبعين عاماً وقد ارتدى ثوباً مجدولا من ليف النخلة ، وقنع ببضع بلحات يسد بها رمقه وقطرات ماء يبلل بها شفتيه كل يوم . حتى إذا قاربته المنية وقد جاوز المائة من عمره ، سعى إليه ناسك آخر كان يعيش فى البرية فى ذلك الحين وهو القديس أنطونيوس ، وكان قد سمع به فانطلق يبحث عنه حتى وجده . وكان هذا يعلم أن ساعته قد جاءت فقال لأنطونيوس أن ينطلق ليأتيه بثوب يكفنه به . ولكن أنطونيوس حين عاد وجده قد فارق الحياة وهو ساجد على ركبتيه ووجهه إلى الأرض ويداه مبسوطتان كالصليب فبكى عليه وكفنه بحلة كان قد أعطاها له البطريرك الأنبا أثناسيوس ، ثم دفنه وذهب بعد ذلك إلى الأنبا أثناسيوس وأنبأه بوفاته فأرسل وأخذ جسده واحتفظ به فى الكنيسة ، وقام هذا البطريرك بتدوين سيرته . وقد كانت وفاة هذا القديس فى سنة ٣٤٣ ميلادية . وهناك دير باسمه فى ذات الموقع الذى عاش فيه يجبل القلزم ، ومازال عامراً بالرهبان حتى اليوم .

٢ — الأنبا آمونيوس :

ومن أشهر النساك الذين عاصروا الأنبا بولا فى أواخر القرن الثالث الأنبا آمونيوس . وقد ولد فى بلدة قريبة من الإسكندرية من أبوين ثريين توفيا أثناء طفولته ، حتى إذا بلغ مرحلة الشباب تاقت نفسه إلى حياة الزهد، وتمنى أن يكون ناسكاً ، إلا أن عمه الذى كان قد كفله حثه على الزواج من إحدى الفتيات الثريات،فلم يملك إلا طاعة أمره . بيد أنه مازال بزوجته الشابة حتى أقنعها بأفضلية حياة التبتل ، واتفقا على أن يعيشا كأخوين تحت سقف واحد ، وبقيا على هذه الحال مصممين على تنفيذ خطتهما تلك فى عزيمة وأمانة ، مايقرب من العشرين عاماً . ثم بعد ذلك عقد آمونيوس العزم على التفرغ للنسك والعبادة وحيداً فى البرية ، فوافقته زوجته على ذلك ، فانصرف إلى وادى النطرون ، ولم يكن به فى ذلك الحين دير من الأديرة . وهنالك ذاع صيت القديس آمونيوس فاقتفى أثره جمع غفير من الذين اختاروا لأنفسهم سبيل التنسك ، قيل أنهم بلغوا خمسة آلاف . وكان منهم القديس الشهير الأنبا مكاريوس . كما ذكر القديس أثناسيوس أن الأنبا أنطونيوس كان يحترم القديس آمونيوس احتراماً عظيماً . وكانت صومعته على مسيرة ثلاثة عشر يوماً من صومعة القديس آمونيوس . وقد ورد فى كتاب « سير آباء الكنيسة » وصف لزيارة القديس أنطونيوس للقديس آمونيوس. وقد كانت وفاة هذا القديس فى عام ٣٤٥ ميلادية تقريباً .

٣ — الأنبا أنطونيوس :

أما القديس الأنبا أنطونيوس فقد ولد فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى فى بلدة « قمن العروس » بمركز الواسطى من أبوين موسرين

وقد كان فى نحو العشرين من عمره حين مات أبوه ، فأثر فيه موته تأثيراً عميقاً وأرهف إحساسه بتفاهة هذه الحياة وبطلان هذا العالم ، حتى حدث أن سمع فى الكنيسة قول السيد المسيح للشاب الغنى : « إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز فى



« الأنبا أنطونيوس »

السماء ، وتعال اتبعنى » فخرج من فوره وباع أملاكه ووزع ثمنها على الفقراء ، غير مستبق سوى جزء منها لشقيقته ، وقد عهد بها إلى بعض من يثق فيهن من العذارى ، ثم انطلق إلى خارج البلد حيث أقام فى قبر قديم هنالك بالقرب من جبال أفرديتيوبوليس وهى إطفيح الحالية ، وراح يصل الليل بالنهار فى الصلاة والصوم ، وقد أغلق باب المكان عليه ، فلم يكن يراه أحد سوى أصدقاء له يأتونه بكسرات من الخبز ، مقتدياً فى ذلك بمن سبقوه من النساك . وظل

هنالك مدة من الزمن في خلالها أشد صنوف العذاب ، وكابد أقسى ألوان الألم الناجم عن هواجس النفس وهمس الشيطان . وكثيراً ما وجده أصدقاؤه منطرحاً فى مخبئه وقد أغمى عليه من فرط مايعانى فيحملونه إلى البلد، ولكنه ما أن يفيق من غيبوبته حتى يسارع مرة أخرى إلى القبر الذى اختاره سكناً له . وكثيراً ما كانت الذئاب والضباع والثعابين والعقارب تهاجمه ، ولكنه تحمل كل ذلك بصبر جميل ، وبينذاك سمع الناس به وكثر عدد الذين كانوا يأتون ليفوزوا ببركته أو لينالوا الشفاء من أمراضهم على يديه ، ولكنه لم يكن ليسمح لهم برؤيته ، وإنما كان يعظهم ويعزى قلوبهم من وراء بابه المغلق ، إلا أنه مع ذلك خاف أن تصاب نفسه بداء الغرور والكبرياء ، وقد انهال عليه المريدون من كل الأنحاء ، فرحل عن ذلك المكان ، وتوغل فى البرية شرقاً حتى وجد مغارة فى قمة جبل من الجبال الواقعة بالقرب من البحر الأحمر ، فاستقر بها وظل يتعبد فيها عشرين عاماً. وقد سمع الناس هناك بأمره كذلك فقصدوه أفواجاً ملتمسين بركته، راجين حدوث المعجزات على يديه.

حتى إذا وقع الإضطهاد فى عهد مكسيميانوس سنة ٣١١ ميلادية، رحل مع بعض رهبانه إلى الإسكندرية لتشجيع المسيحيين ومواساتهم ، وما فتىء يزور المسجونين ويعظهم ويعزى نفوسهم غير مبال بما يتعرض له فى سبيل ذلك من تنكيل وإيذاء ، إذ كان يتمنى أن ينال إكليل الشهدة ويدرج مع الشهداء . ثم لما خفت وطأة الإضطهاد ، عاد إلى بريته حزين النفس إذ فاته هذا الشرف ، وقد جعل من تقشفه وقسوته على نفسه عوضاً عن إكليل الشهادة الذى فاته ، وقد عرف ذلك عنه حتى بلغ خبره المقريزى ، فقال إنه « لما فاتته الشهادة أحب أن يتعوض عنها بعبادة توصل ثوابها أو قريباً من ذلك فترهب وكان أول من أحدث الرهبانية للنصارى عوضاً عن الشهادة » .

وقد كثر عدد النساك المحيطين بأنطونيوس ، وقد اتخذوه أباً لهم ، فبنى

لهم الاديرة ، وسن لهم القوانين التى يسيرون على هـداها فى حياتهم ، فكان أنطونيوس بذلك أول مؤسس للرهبنة فى صورتها التى عرفت بعد ذلك بها . وقد ألبس الرهبان رداءهم الذى يرتدونه حتى اليـــوم . ولذلك يسمونه كوكب البرية ، ويصفونه بأنه أبو جميع الرهبان .

وقد بلغت شهرته الإمبراطور قسطنطين ، فبعث إلـيه بكتاب يشيد فيه بذكره ، ويدعوه لزيارة القسطنطينية ، ففرح الرهبـان الذين كانوا معه بهذا الكتاب فرحاً عظيماً وألحوا على أبيهم أنطونيوس أن يقبل الدعوة فانبهم قائلا : « إن لدينا كتب ملك الملوك توصينا كل يوم ونحن نهملهـا ولا نلتفت إليها ». إلا أنه بعد الإلحاح الشديد كتب الى الإمبراطور يشكره ويباركه. وكان ممن أقبلوا عليه من الرهبان القديس الأنبا مكاريوس، وقد أرشده الى ما ينبغى عليه وألبسه رداء الرهبنة . وكان من تلاميذه كذلك القديس هيلاريون الفلسطينى الذى عـاد الى بلاده بعد ذلك ومعه عـدد من رهبان الأقباط وأنشأوا الأديرة فى فلسطين .

كما أن الأنبا أنطونيوس قام بزيارة القديس الأنبا بولا واهتم بجسده حين حضرته الوفاة وكفنه ودفنه .

وفى سنة ٣٥٥ ميـلادية نزح الأنبـــا أنطونيوس مرة أخرى إلى الإسكندرية لمحاربة بدعة آريوس ، وكان عمره وقتئذ قـد ناهز السنة الرابعة بعد المائة . وبعد عودته توفى سنة ٣٥٦ ودفن فى كنيسة الدير الذى أسسه بجبل القلزم بالقرب من دير الأنبا بولا .

٤ — الأنبا باخوميوس :

ولد الأنبا باخوميوس بالصعيد الأعلى فى أواخر القرن الثالث من أبوين وثنيين ، ولما ناهز العشرين من عمره انخرط فى سلك الجندية ،

وحارب فى بلاد الحبشة ضمن جيش قسطنطين الكبير الذى كان وقتئذ قائد جيوش دقلديانوس . وقد حدث أنه دخل مع رفاقه من الجنود إحدى المدن المسيحية ، وكانت تسمى « ديوسبولى » فأكرمهم أهلها رغم أنهم غرباء عنهم ومن غير دينهم ، فمس هذا الإكرام قلب باخوميوس ، ومال إلى اولئك القوم االذين آنس منهم الطيبة والوداعة والتواضع وصفاء القلب ، فما لبث أن اعتنق ديانتهم المسيحية حوالى سنة ٣١٤ ميلادية ، ثم بعد تسريحه من الجيش ، مال إلى الوحدة بعيداً عن بلدته بالقرب من أسوان ، وهنالك سمع بناسك شيخ يتعبد وحيداً فى البرية ، وكان ذلك هو القديس الأنبا بلامون ، فمضى إليه وطرق باب قلايته ، فتطلع إليه الشيخ من كوة فى الباب قائلا له : « من أنت أيها الأخ وماذا تريد ؟ » فأجابه قائلا : « أنا أيها الأب المبارك أطلب المسيح الإله الذى أنت تعبده ، وأتوسل إليك أن تقبلنى عندك وتجعلنى راهباً معك » . . فقال الشيخ : « إن الرهبنة ياولدى ليست من الأعمال التى يزاولها كل واحد أو يقصد اليها كل إنسان ، لأن كثيرين قد طلبوها وسعوا إليها وهم جاهلون ما فيها من عناء ومشقة ، حتى إذا

زاولوها عجزوا عن الصبر عليها ، وأنت قد سمعت بها سماعاً ساذجاً وما عرفت جهادها ولا ما فيها من نضال وأهوال » فأجابه باخوميوس قائلا : « أتضرع إليك أيها الأب ألا ترد طلبتى أو تخمد رغبتى ، وإنما اقبلنى عندك وجربنى » فقال له الشيخ : « امض ياولدى وجرب نفسك وحدك ، واختبر جلدك على معاناة النسك وما فيه من مضض وخشونة وتقشف . . فأننا أيها الولد الحبيب حين عرفنا من الدنيا كثرة غرورها وضلالها ، وقرب انتقالها وسرعة زوالها ، رأينا أن الثقة بها عجز وزلل ، والميل إليها والتمسك بها نقص وخلل ، فتركناها إيثاراً وابتعدنا عنها اختياراً ، وجئنا إلى هذه البرارى البعيدة ، والصحارى الفريدة ، وحملنا على عاتقنا صليب مسيحنا

وتبعناه مثقلين لا بعود الخشب ، وإنما بشقاء العيش وإضناء الجسد ، وقمع هواه ، وقتل قواه . نقيم الليل ساهرين فى تلاوة الصلوات ، وتمجيد الله ، ونصوم اليوم بطوله فى الصيف ، ويومين يومين فى الشتاء ، ونفطر على خبز وملح وماء ، ونبعد الملل بذكر الموت وقرب الأجل ، وندحض بالخمول والاتضاع كل تعاظم وارتفاع، مقدمين أرواحنا لله ضحية ، وذبيحة نقية ، ذاكرين قول الإله أن الذين يغصبون ذواتهم يختطفون ملكوت السموات . . فأن كنت ياولدى مصمماً على عزمك ، فاختر لك مكاناً انفرد فيه ، واذا قدرت وصبرت على احتمال الأتعاب ومكابدة الأوصاب ، تعال عندى أفرح بك وأرشدك لكل ماتحتاج إليه فى حياة الرهبان» . فلما سمع باخوميوس هذا الكلام الذى لم يسمع مثيلا له من قبل ازداد تشبثه واشتد عزمه قائلا للشيخ : « إننى على استعداد لما تصف من آلام وضيقات، وسأظل معك حتى الممات » . وعندئذ فتح له الشيخ بابه وأدخله . . وقد ظل باخوميوس فى طاعته أعواماً كثيرة ، حتى أتقن أصول الرهبنة ،والتف حوله بدوره كثير من الرهبان فبنى لهم ديراً فى طبانسين بمديرية قنا . وكان ذلك هو أول دير يبنى للرهبان فى مصر كلها . وقد أقامه بالاشتراك مع الأنبا بلامون . وكان ذلك فى حوالى عام ٣٢٠ ميلادية . وقد كان له الفضل فى تيسير سبل العبادة للراغبين فيها . بأنشائه حياة الشركة فى الدير . فبعد أن كان كل راهب يتكفل بنفسه ، جعل الرهبان جميعاً يشتغلون كل حسب قوته ونشاطه . ويقسم المحصول على الجميع كل حسب حاجته . وما فتىء عدد الرهبان يتزايد فى دير طبانسين ، حتى بلغوا بعد بضع سنوات ألفين وخمسمائة راهب . ثم بنى بعد ذلك دير يافو ويسمى أيضاً الدير الكبير ، وانتقل إليه وجعله مقره بعد أن أقام الأب تادرس رئيساً لدير طبانسين. ثم بنى بعد ذلك دير شينوفسكيون بعد أن وضع أساسه ناسك يدعى

أبو نوخوس . حتى إذا ضاق هذا الدير الأخير برهبانه أنشأ ديراً رابعاً فى أرض تسمى منخوسين . وظل عدد الأديرة التى أقامها باخوميوس يتزايد بعد ذلك فى كل انحاء مصر العليا من إخميم شمالا الى إسنا جنوباً حتى بلغ عدد المقيمين بها سبعة آلاف راهب . ومنها دير إدفو بأسوان ودير فى إسنا ودير فاو بالقرب من دشنا ودير بانوس بالقرب من إخميم ودير بخنون بالقرب من إسنا ودير كانور ودير أرمونيم . وكان الأنبا باخوميوس يخرج من الدير الذى جعله مقراً له وهو دير بافو ويطوف بالأديرة الكثيرة التى أنشأها متفقداً أبناءه فيها ، راعياً شئونهم ، مهتماً بكل ما يتعلق بهم شأن الأب الحنون .

وقد بنى ديراً للراهبات فى طبانسين بقنا ، وكانت أول راهبة حلت به هى أخته مريم ، وقد بلغ عدد من إنضممن إليها من العذارى فى ذلك الحين أربعمائة راهبـــة . ثم بنى ديراً آخر للراهبات بقرية نخنة ، ويبعد عن دير إدفو ميلا واحداً .

وبذلك يكون الأنبا باخوميوس هو مؤسس الحيـاة الديرية وواضع نظم الحياة المشتركة للرهبان ، ولذلك يسمونه « أب الشركة » ، وقد ورد فى حديث للأنبا أنطونيوس مع راهب يدعى زكاوس قوله : « إننى حين ابتداء رهبنتى أيها الأخ زكاوس لم يكن هنالك دير ولا نظـام يجمع شمل الأخوة فى مكان واحد ، فكان من يؤثر الزهد فى العالم ممن قد عرف غروره ، وخداعه وعبوره ، ينفرد بمعزل وحده ، حتى ظهر الآب باخوميوس ، وألهمه الله بهذا الصنيع المبارك ، فنهض به فى همة وأناة لاتتوافر لغيره من الناس ، وقد كان يتصل بى مايتصف به من كرم الأخلاق وأصالة الأعراق وعمق الإيمان وصدق العبادة ، فكانت نفسى تفرح لذلك وتمتلىء سروراً » .

وكان الأنبا باخوميوس هو أول من جمع الرهبان داخل سور ، وجعل لهم رئيساً يطيعونه ، وكانت قوانينه الخـــاصة بقبول الراهب فى الدير

وملابسه التي يرتديها والطريقة التي يعيش بها ، والعمل الذي يتولاه ، ونظام صومه وصلاته ، هي الأصل الذي أخذت عنه جميع النظم الرهبانية في العالم إلى اليوم . وما زالت قوانين باخوميوس باقية حتى الآن بالإغريقية واللاتينية .

وقد بلغ عدد الرهبان في أديرة الأنبا باخوميوس أكثر من سبعة آلاف راهب كما سبق أن قلنا ، وكان في دير طبانسين وحده ألف وأربعمائة راهب .

وقد كان الأنبا باخوميوس معاصراً للامبراطور قسطنطين الكبير ، والبطريرك الأنبا أثناسيوس الرسولي اللذين كانا في أوائل الجيل الرابع للمسيح .

ولا يوجد أي دير من أديرة الأنبا باخوميوس اليوم عامراً بالرهبان ، إلا أنه قيل أن دير المحرق العامر الآن هو أحد الأديرة التي أنشأها هذا القديس .

ولم يكن الأنبا باخوميوس يسمح لأحد من أبنائه الرهبان بقبول رتبة الكهنوت ، ابتعاداً بهم عن التطلع إلى المناصب العالمية ، فكان يحضر كاهناً من الكنائس القريبة لإتمام خدمة القداس في الدير . وقد حدث أن سافر البطريرك الأنبا أثناسيوس إلى الصعيد ليرسم الأنبا باخوميوس كاهناً فهرب هذا واختفى كي لا يتمكن البطريرك من تنفيذ عزمه ، فأعفاه الأنبا أثناسيوس قائلا لأبنائه الرهبان « قولوا لأبيكم يامن بنى بيته على الصخرة التي لاتتزعزع وهرب من المجد الباطل طوباك وطوبى لأبنائك » .

وقد أقام الأنبا باخوميوس رئيساً للرهبان ، أو كما يسمونه رئيساً للشركة أربعين سنة ، ثم مات في أواسط القرن الرابع الميلادي وله من العمر أربع وسبعون سنة ، وكانت وفاته قبل وفاة الأنبا أنطونيوس .

وقد ظلت رهبنة هذا القديس قائمة فى الشرق حتى القرن الحادى عشر. وقد روى أنسلم أسقف هافلبرج بألمانيا من رجال ذلك القرن أنه شاهد بالقسطنطينية ديراً باسم القديس باخوميوس وبه خمسمائة راهب، عاملين بقوانين ذلك القديس العظيم.

أما سيرة هذا القديس فقد دونها أحد رهبانه بالقبطية ونقلها عنه إيرونيموس، ثم ديونيسيوس الصغير، وقد عربها بعض القبط، ثم ترجمها إميلينو إلى الفرنسية وطبعها فى باريس سنة ١٨٨٩ ميلادية.

٥ — الأنبا مكاريوس:

ولد الأنبا مكاريوس – ويدعى أبو مقار الكبير – فى أوائل القرن الرابع ببلدة ججوير من أعمال منوف بالوجه البحرى. وحين بلغ مبلغ الشباب زوجه أبوه، إلا أن عروسه ما لبثت أن ماتت، ثم بعد قليل مات أبوه، فوزع ما تركاه له على الفقراء، وانفرد فى كوخ وحده فى أطراف بلدته يقضى أيامه متعبداً، ثم لم يلبث أن توغل فى البرية حتى وصل إلى مكان القديس أنطونيوس، وكان عندئذ فى نحو الثلاثين من عمره، فألبسه القديس إسكيم الرهبانية وزوده بنصائحه، وغادره الأنبا مكاريوس بعد أن مكث معه مدة إلى وادى النطرون حيث أقام هناك، وقد ذاعت بعد ذلك شهرته وملأت البلاد أخبار تقشفه وتقواه، فالتف حوله كثير من الرهبان، حتى إذا اجتمع لديه عدد وفير منهم، بنى لهم الدير الذى كان معروفاً بدير مكسيموس ودوماديوس، ثم عرف بعد ذلك بدير البراموس. ثم بنى بعد ذلك الدير المعروف الآن بدير أبى مقار، ثم دير الأنبا يحنس القصير ودير الأنبا بيشوى. وقد كان للأنبا مكاريوس مكانة جليلة حتى لقد لقبوه بأب الرهبان. وقد بلغ عدد رهبانه ٢٤٠٠ راهب.

ولما وقع اضطهاد الإمبراطور فالنس الأريوسى للأرثوذكسيين سنة ٣٧٥ ميلادية ، لقى هذا القديس الشدائد فى سبيل دفاعه عن الإيمان القويم ونفى إلى جزيرة فيلو المعروفة بجزيرة أنس الوجود بالصعيد الأعلى ، ويقال أنه شفى بصلاته إبنة كاهن الأوثان فى هذه الجزيرة من روح نجس كان بها فآمن الكاهن وسكان الجزيرة كلها بالمسيح ، وتنصروا على يديه . وقد ورد فى كتاب تاريخ الرهبان أن الأنبا مكاريوس حين عاد من منفاه استقبله فى البرية خمسون ألف راهب . ثم قضى بقية أيامه بعد ذلك معلماً ومرشداً للرهبان ، وقد ترك خمسين رسالة وعظة .

وقد توفى الأنبا مكاريوس فى أواخر القرن الرابع وكان قد جاوز التسعين من عمره ، فأتى قوم من أهل بلدة جحوير وأخذوا جسده ودفنوه فى بلدهم وبنوا عليه كنيسة ، وقد ظل جسده هناك مائة وستين سنة ثم نقل إلى ديره المعروف بدير أبى مقار .

ولهذا القديس مؤلفات جليلة رد بها على مؤلفات الوثنيين ضد المسيحية ، ولم يبق منها إلا كتاب عظاته المحتوى على خمسين عظة . وقد طبعها الإنجليز بلغتهم ثم ترجمت إلى العربية . كما أن للقديس أقوالا روحية أخرى منثورة فى كتاب بستان الرهبان ، وله سبع رسائل لاهوتية طبعت بالفرنسية فى مدينة تولوز بفرنسا سنة ١٦٨٤ ميلادية .

٦ ـ القديسان مكسيموس ودوماديوس :

كان هذان القديسان ولدى الإمبراطور فالنتيان الأرثوذكسى ، الذى حكم بين سنتى ٣٦٤ و ٣٧٥ ميلادية ، وقد قضيا أيام طفولتهما بقصر أبيهما بالقسطنطينية وكانا منذ صغرهما وديعين محبين للصلاة والقراءة والتأمل ، ثم تملكهما فى مطلع شبابهما حب العبادة والتنسك ، فاستأذنا أباهما فى رحلة

قصيرة ومضيا إلى الشام ، حيث كان هناك القديس أغابيوس فضمهما إليه وألبسهما إسكيم الرهبنة ، ولكنه مالبث أن حضرته الوفاة فأوصاهما أن يذهبا بعد موته إلى القديس الأنبا مكاريوس . وكانا يصنعان قلاع المراكب ويقتاتان من ثمنها ، وقد علم أبوهما بمكانهما فأرسل إليهما والدتهما وأختاً لهما ولكنهما رفضا أن يعودا وتمسكا بحياة الرهبنة . وقد حدث بعد ذلك أن توفى بطريرك روما فوقع الاختيار على مكسيموس ليجلس على كرسى البطريركية ، فما اتصل خبر ذلك بالأخوين حتى غادرا مكانهما ومضيا الى وادى النطرون ليقيما مع الأنبا مكاريوس كوصية معلمهما أغابيوس . فلما رآهما الأنبا مكاريوس أشفق على شبابهما وكان أكبرهما لايتجاوز التاسعة عشرة ، وظن مما يبدو عليهما من النعمة أنهما لن يستطيعا الإقامة فى البرية فراح يصف لهما مشقة الحياة فى هذه القفار وما يعانيه الرهبان فيها من المتاعب والضيقات ، ولكنهما صمما على البقاء فاختار لهما قلاية بالقرب منه وألبسهما الإسكيم المقدس ، وزودهما بنصائحه وانصرف عنهما فأقاما هنالك ثلاث سنوات يتعبدان فى قداسة وصمت ، ولا يغادران صومعتهما أبداً . وبعد ذلك أصيب مكسيموس بمرض مفاجىء ومالبث أن مات فبكى عليه الأنبا مكاريوس ودفنه بالقرب من صومعته ، وبعد أن واراه التراب بثلاثة أيام مرض أخوه دوماديوس وفاضت روحه فدفنه الأنبا مكاريوس بجانب أخيه ، وبنى كنيسة فوق قبرهما وسمى باسمهما دير برموس أى الآباء الرومانيين . وكان هذان القديسان أول من مات من القديسين فى وادى النطرون .

٧ ـ القديس أرسانيوس :

كان أرسانيوس رومانياً يشغل أبوه منصباً كبيراً فى القصر

الإمبراطورى بروما ، وقد طلب الإمبراطور ثاؤوديسيوس معلماً لابنه أركاديوس ، فاختير أرسانيوس لهذه المهمة ، وذهب لأدائها بالقسطنطينية وقد أصبح مقرباً من الإمبراطور وذا نفوذ عظيم فى البلاط ، إلا أن نفسه ملت هذا العالم وتاقت إلى حياة التنسك والزهد ، فسافر إلى مصر وهو فى نحو الأربعين من عمره . وكانت الرهبنة قد بدأت تزدهر فيها ، وذهب الى القديس مكاريوس فى وادى النطرون ، فأسكنه إحدى القلالى الخارجة عن الدير لأنه آنس منه الميل إلى الوحدة والهدوء . وقد اشتهر أمر نسكه وتعبده حتى بلغ القسطنطينية ، فدفع كثيرين من نبلائها إلى المجىء إلى مصر والانخراط فى سلك الرهبنة .

وكان القديس أرسانيوس وقوراً مهيب الطلعة طويل القامة مسترسل اللحية ، كثير الصمت ، شديد الإخلاص فى نسكه . وقد ورد فى سيرته أن أركاديوس إمبراطور القسطنطينية أرسل كتاباً إلى واليه فى الإسكندرية يأمره فيه بأن يدفع للقديس أرسانيوس خراج مصر مدة سنة ليصرفه كيف يشاء . فلما جاء الوالى إلى أرسانيوس بالمال قال له « فليأمر الملك بتوزيع هذا المال على ذوى الحاجة ، وبناء الأديرة ، وأرجو من الرب أن يجازيكم على صنيعكم » .

وقد أقام القديس أرسانيوس بوادى النطرون أربعين سنة حدث فى أثنائها أن أغار البربر على الأديرة سنة ٤١٠ ميلادية فغادرها الرهبان جميعاً ما عدا هو فقد ظل هناك وحده قائلا : « إن عناية الرب تشمل الجميع وما من أمر يحدث إلا بمشيئته ، فلو كان الله قد أراد التخلى عنى فلماذا أتمسك بالحياة » . ثم بعد عشرين عاماً من هذا التاريخ ، أغار البربر مرة أخرى سنة ٤٣٠ ميلادية ، فغادر أرسانيوس وادى النطرون فى هذه المرة وهو يبكى قائلا : « لقد فقد العالم المتمدين روما ، وفقد الرهبان برية شيهات » . وذهب

إلى كانوب بالقرب من الإسكندرية ومكث هناك وقتاً حيث زاره البطريرك الأنبا ثاؤفيلس عدة مرات . ويقال أن سيدة رومانية أخت فى مقابلته وهو فى كانوب وكانت قد عبرت البحر لتظفر بكلمة منه ، ولكنه رفض مقابلتها استمساكاً بمبادىء الرهبنة وآدابها . ثم رحل بعد ذلك إلى تروجا – وهى طرا الحالية – وأقام هناك فى دير كان قد بناه الآب أركاديوس ، وكان يعرف بدير القصير ، وقد ظل أرسانيوس فى هذا الدير عشر سنوات وتوفى فى عام ٤٤٥ ميلادية وكان يبلغ من العمر حوالى ٩٥ عاماً . وقد دفن فى هذا الدير .

٨ — الأنبا موسى :

كان هذا القديس المعروف بموسى الأسود عبداً وثنياً ، وكان سالكاً فى مطالع شبابه مسلك الأشرار ، يقتل وينهب ولا يتورع عن ارتكاب أى جريمة ، ولكنه ما لبث أن شعر بالندم وبالرغبة فى التكفير عن ذنوبه . وقد تصادف أن قابل الأنبا أيسيذورس فى البرية وكشف له عن رغبته فى التوبة فأتى به إلى القديس مكاريوس فوعظه ولقنه الإيمان وعمده ثم ألبسه رداء الرهبنة ، فما لبث أن أظهر من التنسك والتفانى فى العبادة ما جعله فى مصاف القديسين ، وقد التف حوله خمسمائة من الرهبان فى دير برموس فأصبح رئيساً عليهم . حتى إذا أغار البربر قال للأخوة الذين معه « قد أتى البربر فمن يشاء منكم أن يهرب فليهرب . أما أنا فلى سنوات أنتظر هذا اليوم لقول الرب من قتل بالسيف فبالسيف يقتل » وفعلا دخل البربر وقتلوه مع سبعة أخوة معه ، فنالوا بذلك إكليل الشهادة .

٩ – الأنبا يوحنا القصير:

كان القديس الأنبا يوحنا ويلقب بيحنس القصير من بلدة تسمى بتسا

بالصعيد ، وقد تاق الى الرهبنة منذ أن بلغ الثامنة عشرة من عمره ، فقصد الى الأنبا بموى وطلب إليه أن يقيم عنده ، فألبسه ثياب الرهبنة ، ويقال أن الأنبا بموى أراد أن يجربه فأعطاه ذات يوم عوداً يابساً وطلب إليه أن يزرعه ويسقيه ، فأطاعه وراح يسقي هذا العود كل يوم مع أن الماء كان بعيداً جـداً . حتى إذا مضت ثلاث سنوات دبت الحياة فى العود ونبتت فيه الفروع الخضراء وصار شجرة مثمرة ، فأخذ الأنبا بموى الثمار ودار بها على شيوخ البرية قائلا : « خذوا كلوا من ثمرة الطاعة » .

ومرض الأنبا بموى فأقام يوحنا إثنى عشرة سنة يخدمه ويعتنى به ، حتى إذا حضرته الوفاة جمع حوله الشيوخ وأمسك أمامهم بيد يوحنا قائلا : « احتفظوا بهذا فهو ملاك وليس بأنسان »

ثم مضى يوحنا وأقام فى المكان الذى غرس فيه الشجرة ، حتى أغار البربر على وادى النطرون فمضى يوحنا وأقام فى جبل أنطونيوس عند القلزم ، ومات ودفن هناك ، ثم نقلت جثته بعد ذلك الى ديره بوادى النطرون

١٠ ـ الانبا بيشوى :

ترهب الأنبا بيشوى على يد الأنبا بموى بوادى النطرون ، حتى أغار البربر على أديرة هذا الوادى فرحل الى جبـل أنتينو بالصعيد وتوفى هناك . فلما هدأت الأحوال فى وادى النطرون نقلت جثته مع جثة الأنبـا بولا الى دير الأنبا بيشوى .

١١ ـ الانبا شنوده :

ولد الأنبـا شنوده فى أواسط القرن الرابع فى قرية شندويل بمديرية جرجا وكان خاله الأنبا بجول قد أسس الدير الأبيض فى الصحراء الغربية

المقابلة لإخميم ، مهتدياً فى ذلك بقوانين الأنبا باخوميوس ، فلما توفى الأنبا بحول سنة ٣٨٣ ميلادية ، خلفه فى الرئاسة إبن أخته الأنبا شنوده ، ويلقبونه برئيس المتوحدين ، ويذهب البعض إلى أنه المؤسس الحقيقى للكنيسة القبطية ، لأنه بذل مجهوداً عظيماً فى محاربة الوثنية واقتلاع جذور خرافاتها من الكنيسة . وكان واعظاً بليغاً وكاتباً مقتدراً ، وقد ترك من الرسائل باللغة القبطية ما يعتبر تراثاً أدبياً ثميناً .



« الأنبا شنوده »

وكانت قوانين دير الأنبا شنوده تدل على صرامة المحافظة على النظام المتبع فى الدير ، طبقاً للقانون الذى وضعه الأنبا شنوده ومؤداه أن « كل من جاء الى هذا المكان لايجب أن يعمل بحسب إرادته ، ولكن بحسب إرادة الرب » .

وقد شهد الأنبا شنوده مجمع أفسس الأول مع البطريرك الأنبا كيرلس

الأول سنة ٤٣١ ميلادية .

وقد استمرت رئاسة الدير الأبيض للأنبا شنوده ٦٦ سنة ، وبلغ عدد رهبانه نحو ألفى راهب وألفى راهبة . وتوفى سنة ٤٥١ ميلادية وقد بلغ الثامنة عشرة بعد المائة من عمره . ودفن بديره الذى مازال باقياً حتى اليوم .

آداب الرهبنة

حين تكامل شكل الرهبنة فى الأديرة ووضعت أسسها وتقاليدها خلال القرن الرابع الميلادى . أصبح للرهبنة آداب معروفة يلتزمها الرهبان ولا يحيدون عنها ، ويقاس مدى تنسكهم وتقواهم بقدر ما يحافظون عليها ويرعونها ويتبعونها . وقد توارثت الأجيال المتعاقبة من الرهبان هذه الآداب حتى يومنا هذا ، وهى مدونة فى كل الكتب الخاصة بهم ومنها « بستان الرهبان » و « تعاليم القديس أنطونيوس » و « سيرة الأنبا باخوميوس » و « عظات الأنبا مكاريوس » و « كتاب مار افرام » و « كتاب مار اسحق » و « كتاب الشيخ الروحانى » .

وقد بنيت كل هذه الآداب التى وضعها مؤسسو الرهبنة على آيات الكتاب المقدس ، وعلى شواهد من حياة السيد المسيح والأنبياء والقديسين ، وأهم هذه الآداب هى : —

١ — البتولية والعفة وطهارة الجسم والفكر والابتعاد عن مشاهدة النساء ، وإغضاء النظر عنهن عند الضرورة .

٢ — الزهد والفقر الاختيارى والتواضع وتحقير الذات وعدم الافتخار أو الأنانية ، والزهد فى المديح أو المجد الباطل أو حب الرئاسة أو حب الظهور ، وارتداء الملابس الحقيرة .

٣ — الانفراد والعزلة والسكون والصمت وسكنى الأديرة أو الجبال

وملازمة الدير أو القلاية وعدم مغادرتها إلا للصلاة أو للضرورة القصوى .

٤ — الصلاة المستمرة ليلا ونهاراً ودوام ذكر الله وذكر الدينونة واليوم الأخير والتضرع الدائم الى الله لقبول التوبة بحرقة وحرارة ودموع .

٥ — الصوم الدائم من المساء الى المساء والاكتفاء بالخبز والماء ، وعدم الشبع فى الأكل والامتناع عن الدسم والمسكر .

٦ — العمل لتحصيل القوت الضرورى وعدم البطالة وإعطاء الصدقة للمحتاجين .

٧ — الصبر واحتمال المشقات والضيقات بلا تذمر أو تخاذل أو ضعف .

٨ — طاعة الرؤساء فى كل ما يأمرون به وفقاً للكتب المقدسه .

٩ — الوقار وعفة اللسان وعدم المزاح أو الضحك أو الهزل واجتناب مجالس الماجنين .

١٠ — التسامح ومسالمة الجميع ومحبة الغرباء وخدمة المرضى والضعفاء واجتناب النميمة أو الكذب أو المكر وكظم الغضب .

مراسم الرهبنة

أما الإجراءات التى وضعها مؤسسو الرهبنة لقبول الراهب فى الدير فتتم هكذا :

يتقدم طالب الرهبنة الى أمين الدير فيسلمه لأحد شيوخ الرهبان ليظل مدة تحت ملاحظته وإرشاده . حتى اذا انقضت هذه المدة واتضح أن طالب الرهبنة لائق لها ومستحق أن يلبس لباسها ، يأمر أمين الدير بدق الناقوس عند المساء ، فيجتمع الرهبان ، ويستشيرهم فى أمر قبول هذا الطالب ، فأذا

قضوا بلياقته يأخذ الأمين لباس الرهبنة المكون من منطقة وقلنسوة ، ويقرأ عليه بعض الصلوات ويقول الرهبان بينذاك بصوت واحد « آكسيوس » أى « مستحق » ، ثم يضعون اللباس على أجساد القديسين المحفوظه لديهم ، ثم فى الصباح تقام الصلاة ويجىء الطالب فيرقد على ظهره امام باب الهيكل ويصلى الرهبان عليه صلاة خاصة ، مضمونها أن هذا الرجل قد ترك العالم كأنه مات ولم يعد يحسب ضمن أبناء هذا العالم ، أى العلمانيين . ثم بعد الصلاة تدق النواقيس ، ويطوفون بالراهب الجديد فى الكنيسه والهيكل منشدين مرتلين ، ثم يتوجهون الى حجرة الأمين حيث يتبادلون التهانى ، وبذلك تكون قد تمت إجراءات إسباغ صفة الرهبنه على الراغب فيها .

مراتب الرهبان

تواضع الرهبان فيما درجوا عليه من تقاليد ، على أن للرهبان مراتب تختلف باختلاف درجة نسكهم وتقشفهم ، وقد ذكر القديس ماراسحق هذه المراتب ، فقال أن المرتبة الأولى منها تشمل العلمانيين الأنقياء الأنقياء . والمرتبة الثانية تشمل الرهبان الذين يعيشون داخل الدير عيشة مشتركة . والمرتبة الثالثة تشمل المتوحدين داخل الدير الذين يلازمون قلاليهم ملازمة تامة ، فلا يخرجون منها إلا للصلاة الجماعية يوم الأحد . والمرتبة الرابعة تشمل المتوحدين المتفردين فى الصحارى والجبال . والمرتبة الخامسة تشمل السواح الذين بلغوا درجة الكمال فى التعبد ، ووصلوا الى منتهى الآمال التى يطمح إليها الأبرار الأطهار من سكان البرارى والقفار . وما يفتأ الراهب كلما بلغ مرتبة من هذه المراتب يتطلع الى المرتبة التى تليها ، مشتاقاً لأن يكون أشد قرباً الى الله وأقوى أملا فى خلاص نفسه وبلوغ ملكوت السموات .

أثر الرهبنة القبطية فى العالم المسيحى

لقد كانت الحركة الروحية العظيمة التى انبعثت من الأديرة القبطية منذ إنشائها مناراً وصلت أنواره إلى العالم المسيحى كله .

فقد وصلت أنباء النساك الأقباط إلى المسيحيين فى كل الأرض ، فتقاطر طلاب التعبد إلى برارى مصر من كل صوب ، ينهلون من ذلك المنهل العذب ، ويتذوقون عذوبة الانقطاع لعبادة الله بأرشاد الآباء القديسين ، وقد وصلت إلينا أنباء بعض أولئك المغتربين الذين جاءوا ودفنوا فى أرض مصر ، ومن أشهرهم القديسين مكسيموس ودوماديوس ولدى الإمبراطور فالنتيان ، والقديس أرسانيوس معلم الإمبراطور أركاديوس .

كما حج كثيرون إلى مصر ليروا أولئك الآباء الذين جعلوا منها أرضاً مقدسة ثانية ، وليأخذوا عنهم ويتتلمذوا عليهم ، ثم ينشروا تعاليمهم فى البلاد التى أتوا منها ، ومن هؤلاء القديس هيلاريون ، وقد جاء من فلسطين وتتلمذ على يدى القديس أنطونيوس ثم عاد إلى بلاده سنة ٣١٠ ميلادية وأنشأ ديراً بالقرب من غزة وقد بلغ عدد رهبانه نحو ثلاثة آلاف راهب . والقديس أوجين الذى كان تلميذاً للقديس باخوميوس وقد نقل الرهبنة إلى العراق . والقديسان باسيليوس الكبادوكى وغريغوريوس الثيؤلوغوس اللذان تركا وطنهما فى آسيا الصغرى ومارس أولهما الرهبنة فى وادى النطرون وتعلم ثانيهما فى مدرسة الأسكندرية ثم أقيم الأول أسقفاً على كبادوكية ، والثانى أسقفاً على القسطنطينية وبواسطتهما انتشرت الرهبنة فى تلك البلاد . والقديس باسيليوس الكبير مؤسس الرهبنة اليونانية ، والقديس روفينوس الرومانى ، وقد قضى فى الأديرة المصرية ستة أشهر من عام ٣٧٣ ميلادية ، وقد روى أخباراً كثيرة عن الرهبان فى القرن الرابع ، ومنها أن أسقف

مدينة أوكيرسيخوس أخبره أن في تلك المدينة عشرة آلاف راهب ، وأن معظم الهياكل الوثنية تحولت إلى أديرة . وقد شاهد فى الفيوم وسوهاج أديرة كثيرة بها آلاف الرهبان ، ورأى فى هرموبوليس – وهى الأشمونين – ديراً به خمسمائة راهب، وعثر على خلوة خلف دير أنطونيوس بها راهب يدعى إلياس ظل وحيداً هناك سبعاً وسبعين سنة . وكذلك القديس إرونيموس، وقد جاء لرؤية رهبان مصر فى عام ٣٨٦ ميلادية ، والقديس أوسيبوس دى فرسيل وكان أول أسقف لكرسى فرسيل بإيطاليا فى أواسط القرن الرابع ، وكان من أعداء بدعة آريوس ، وقد نفى الى فلسطين ثم الى كبادوكيا ثم سافر الى مصر ودرس نظام الرهبنة بها حتى إذا عاد الى بلاده أنشأ بها الأديرة على نمط الأديرة القبطية. والقديس لوسيفير دى كاليارى من جزيرة سردينيا ، وكان معاصراً لأوسيبوس، وكان كذلك من أعداء بدعة آريوس، وقد نفى الى فلسطين ثم الى صعيد مصر فدرس هنالك نظام الرهبة وأدخله حين عاد الى بلاده . والقديس بلاديوس أسقف هيليوبوليس وقد جاء الى مصر فى سنة ٣٨٨ ميلادية ومكث عشر سنوات بين رهبان الصعيد ، ثم فى سنة ٤٠٨ عاد مرة أخرى ومكث سنتين بين رهبان وادى النطرون ، وقد ترك لنا كتاباً جمع فيه ما وعاه من أقوالهم وتعاليمهم ، وهو الذى اصطلح على تسميته بالعربية « بستان الرهبان » . كما جاء القديس يوحنا كاسيان بين عامى ٣٩٠ و ٤٠٠ ميلادية وزار وادى النطرون ثم سجل زيارته هذه فى كتابيه « المعاهد » و « المواعظ » . وقد احتوت هذه المؤلفات على الكثير من أقوال آباء البرية وأعمالهم ، ويعتبرها المسيحيون تراثاً أدبياً خالداً للرهبنة ، ويعتبرون ما فيها شريعة دائمة للرهبان فى العالم أجمع . وقد كانت هذه المؤلفات تقرأ بصوت مرتفع فى أديرة البندكتين فى القرون الوسطى ، وما تزال تقرأ بها حتى اليوم ، وقد أنشأ القديس كاسيان بعد

عودته من مصر ديراً باسم القديس بطرس الشهيد فى مدينة مرسيليا بفرنسا على نظام الأديرة المصرية . وقضى فيه العشرين سنة الأخيرة من حياته . وقد وضع القديس أوغسطينوس نظام الرهبنة الغربية مسترشداً بقوانين باخوميوس التى نقلها الغربيون إلى اليونانية واللاتينية .

وقد سافر كثير من الرهبان الأقباط إلى البلاد الأخرى وكان لهم الفضل فى نقل نظام الرهبنة إليها ، ومن أولئك فريق سافر إلى روما ، وكانوا نواة الأديرة التى قامت فى إيطاليا على نظام الأديرة المصرية . ومنهم فريق آخر رحلوا إلى جزر البحر الأبيض المتوسط وأنشأوا بها عدة أديرة . كما وصل بعض الرهبان الأقباط إلى جنوب فرنسا وأسسوا بها فى أواخر القرن الرابع ديراً فى لوران على نظام أديرة القديس باخوميوس ، وفى هذا الدير تتلمذ القديس باتريك حامى أيرلندا ومؤسس كنيستها ، وقد استعان بعد ذلك ببعض الرهبان الأقباط فى إنشاء الأديرة فى إيرلندا ، كما استعان بالطقوس القبطية فى أداء شعائر الصلاة فى الكنائس التى بناها كذلك على النمط القبطى وجعل أوانيها مشابهة لأوانى الكنائس القبطية . وبالرغم من عدم وجود الصحارى فى أيرلندا سميت الأديرة هناك بالصحارى ، وهى بالإنجليزية «ديزرت» وقد اشتهر منها « ديزرت مارتن» و «ديزرت أوليد» بأقليم دونيجال ، حيث دفن سبعة من الرهبان الأقباط ، ولذلك يعتقد ستانلى لينبول أن هناك صلة مباشرة بين الكنيستين القبطية والأيرلندية . ويوجد بالمكتبة الوطنية فى باريس دليل للرهبان الإيرلنديين الذين قصدوا مصر لزيارة « آباء البرية » . وقد كانت أفواج منهم تحج إلى مصر حتى عام ١٣٢٠ ، ميلادية وقد تركوا وصفاً مفصلا لزيارتهم .

وقد قام البطريرك القبطى أثناسيوس برسامة القديس فرومنتيوس أول أسقف على الحبشة ، ثم ذهب إلى هنالك فى أواخر القرن الخامس بعض

الرهبان الأقباط اشتهر منهم تسعة ، وقد عرفوا بالقديسين التسعة ، وقد تلقت الكنيسة الآثيوبية تعاليمها وطقوسها عن الكنيسة القبطية وما زالت محافظة عليها حتى اليوم .

كما ذهب بعض الرهبان الأقباط الى بلاد العرب وبشروا فيها .

وقد أخذ العالم عن الأقباط ضمن ما أخذ أقوال الآباء القديسين من الرهبان الأوائل ، وهى والأقوال النسكية التى دعمت الرهبنة وبينت ناحيتيها الروحية والعلمية . وقد وفد الى مصر رجال من الشرق والغرب دونوا هذه الأقوال وأثبتوها بلغاتهم من يونانية ولاتينية وسريانية . وقد فتحت لهم هذه التعاليم القبطية المحضة الطريق الى الرهبنة فساروا على هديها أو نسجوا على منوالها .

ولم يصل الينا باللغة القبطية من هذه التعاليم الا القليل ، فقد عرف الرهبان الأقباط فى عصورهم الأولى بالتقوى والتواضع والعمل الصالح ، وكانوا يتعلمون من غيرهم ويعلمون غيرهم ، ولكنهم قلما كانوا يدونون تعاليمهم أو عظاتهم أو سيرة حياتهم ، وإنما اهتم الأجانب الوافدون بذلك فكتبوه بلغاتهم المختلفة ، كما فى « بستان الرهبان » و « الاباء الحاذقون فى العبادة » .

وقد كان القديس توما الأكوينى ، وهو من أشهر اللاهوتيين بالغرب يقرأ يومياً بضع صفحات من كتاب « المواعظ » التى جمعها من الرهبان الأقباط القديس كاسيان ، قائلا « إنى أستمد من هذه القراءة قوة روحية ترفعنى سريعاً فى تأملاتى إلى السمائيات » . كما ظلت هذه المواعظ تقرأ فى أديرة البندكتين منذ القرون الوسطى حتى اليوم .

ويقول الآب روسولو « إن الذين يلمون بتعاليم الكنيسة الكاثوليكية

فى النسك، ويقارنونها بتعاليم الصحراء ، يعجبون أشد العجب لذلك التطابق التام الذى يكاد أن يكون حرفياً فى معظم الأحيان بين هذه وتلك . وما من شك فى أن ذلك ليس ناشئاً عن الصدفة المحضة ، وإنما عن التأثير المباشر. فقد تكون المعلمون الروحيون الحديثون فى مدرسة الرهبان الأولين » .

ويقول أولاثورن أسقف رهبان البندكتين : « إن الأقوال المنطوية على الحكمة السامية والتجربة العميقة التى فاه بها الرهبان المصريون وسجلتها أقلام جديرة بالاحترام قد أضاءت الطريق للمسيحيين منذ البداية حتى اليوم ، وقد أدى أولئك الآباء فى وحدتهم رسالة عظمى ، لا بصلاتهم وتعبدهم فحسب ، وإنما كذلك بقيامهم بمهمة تعليمية وتهذيبية جليلة لكل الأجيال المتلاحقة . فأن المؤلفات الروحية التى ينهل منها جميع الرهبان ، إنما تتوهج بضياء حكمتهم ، كما أن دساتير العبادة التى توجه النفوس التقية فى العالم إلى يومنا هذا إنما تزدان صفحاتها بجواهر حكمتهم . وما من شك فى أن الآلاف المؤلفة من السيدات التقيات اللاتى يعملن اليوم بهمة ونشاط فى الجمعيات والهيئات ويتحملن الكثير من المشاق فى سبيل الله والفقراء ، إنما أتاهن الإلهام والتوجيه من أولئك الآباء الذين كانوا يتأملون ويتعبدون فى الصحارى » .

ويقول روم بتلر — ناشر كتاب بلاديوس ـ عن العظتين المذكورتين فى كتاب كاسيان واللتين تعتبران المصدر الرئيسى لكل ما يتعلق بالروحيات فى قوانين القديس بندكت : « فى هاتين العظتين العجيبتين ، نرى نظرية الصلاة وممارستها وقد بلغت الذروة العليا ، فى صورة عملية لا مثيل لها »

وهكذا كانت الرهبنة القبطية باعتراف الجميع هى أساس الرهبنة فى العالم المسيحى كله ، ونظمها وتعاليمها التى وضعها باخوميوس وأنطونيوس

ومكاريوس فى الجيل الرابع هى السائدة فى كل أديرة المسيحيين حتى اليوم فى كل مكان .

الاديرة

نشأة الاديرة وازدهارها :

كان الناسك فى مبدأ الأمر يختار لسكناه بناية خربة أو قبراً مهجوراً خارج المدن أو كهفاً منحوتاً فى القفر أو الجبل ، ويظل هكذا متوحدا لا يرى أحداً ولايراه أحد .

ولكن هذا النمط من الحياة كان شاقاً على كثيرين ممن اختاروا حياة التعبد فبدأ المنقطعون للعبادة يختارون كهوفاً متجاورة ، يخفف عنهم تجاورها قسوة التفرد والانقطاع ، وقد ورد فى سيرة القديس الأنبا مكاريوس فى أواسط الجيل الرابع للمسيح أنه كان يأمر الرهبان أن ينحتوا لأنفسهم مغارات متفرقة فى الجبل ، لأنهم لم يكن من المتيسر لهم بناء القلالى بالحجارة لبعدهم عن العمران .

حتى إذا ازدهرت الرهبنة وأقبل مريدوها من كل صوب ، وعبر أولاد الملوك البحر كى ينخرطوا فى سلكها ، توافرت الإمكانيات لبناء القلالى من الحجارة ، وقد ساهم فى تحقيق ذلك الملوك والبطاركة . فقد جاء فى سيرة القديس أرسانيوس فى أوائل الجيل الخامس للمسيح أن أركاديوس ملك القسطنطينية - وكان أرسانيوس أستاذا له - أرسل إلى تابعه والى الإسكندرية يأمره بأن يدفع لهذا القديس خراج مصر فى عام كامل كى يصرفه كيف شاء ، فرفض أرسانيوس العطية وطلب أن تنفق فى مساعدة ذوى الحاجة وبناء الديارات ، أى مساكن الرهبان . كما ورد فى سيرة

القديسة هيلاريا أنها كانت ابنة زينون ملك القسطنطينية ، وقد تاقت الى حياة الرهبنة فتزيت بزى الرجال وانضمت الى الرهبان فى برية شيهات، فلما عرف أبوها بمكانها كتب الى تابعه فى الإسكندرية أن ينفق على ديارات الرهبان فى تلك البرية ، ومن ذلك اليوم بدأت عمارة القلالى والكنائس للرهبان .

ثم فى الجيل الخامس الميلادى بدأ البربر يغيرون على البرارى التى يقطنها الرهبان وينهبونهم ثم يقتلونهم ، وقد استشهد على يدهم كثيرون ، ومنهم الأنبا موسى الأسود ، وسبعة أخوة معه ، والتسعة وأربعون شهيداً فى شيهات وغيرهم ، ومن ثم أصبح من المحتم بناء أسوار حول مساكن الرهبان ، ومن ذلك الوقت بدأ بناء الأديرة ذات الأسوار فى برية شيهات . أما فى مصر العليا فقد بدأ الأنبا باخوميوس يبنى الأديرة لرهبانه منذ الجليل الرابع حيث كانت أماكنها قريبة من العمران ومواد البناء متيسرة ، مما مكنه من إقامة نظام الشركة فى الرهبنة ، ولذلك كانوا يسمون الأديرة « كنوبيون » أى بالقبطية المعيشة المشتركة .

ولما كانت الأديرة التى فى البرارى النائية أكثر تعرضاً لسطو الناهبين واللصوص ، فقد كانوا يبنون حولها الأسوار العالية ويجعلون أبوابها صغيرة واطئة يحنى الداخل منها رأسه ، حتى إذا وقع خوف من غارة البربر كانوا يضعون أمام الباب حجرين عظيمين معدين على الدوام لهذا الغرض . بل كانوا أحياناً يسدون باب الدير بالبناء ويرفعون الأشخاص والأشياء بأسطوانة تشبه الساقية ، حتى إذا قصد الدير شخص ، كان يجذب حبلا متصلا بناقوس ، فينثنيه الرهبان له ويمدون حبلا يجذب الزائر إلى أعلا بواسطة الأسطوانة .

وقد انتشرت الأديرة فى كل أنحاء مصر بعد ذلك : فكانت أديرة الأنبا

مكاريوس فى برية شيهات بالوجه البحرى ، وأديرة الأنبا أنطونيوس فى مصر الوسطى ، وأديرة الأنبا باخوميوس فى الصعيد الأعلى .

وقد كثر عدد الأديرة خلال القرنين الرابع والخامس كثرة عظيمة ، وبالتالى كثر من بها من الرهبان : فقد ورد فى سيرة الأنبا بطرس البطريرك الرابع والثلاثين أنه كان فى غربى الإسكندرية ستمائة دير عامرة بالرهبان . وقد ورد ما يؤيد ذلك فى تاريخ غزو الفرس لمصر ، إذ قيل أن كسرى حين فتح الإسكندرية كان بالقرب منها ستمائة دير عامرة مثل أبراج الحمام فخربها كلها . وقد جاء فى كتاب « بستان الرهبان » أن أحد عظماء القسطنطينية حضر إلى مصر فى أيام القديس مكاريوس ومعه أموال طائلة يريد أن يهبها للأديرة ، وحين دق الناقوس لجمع الرهبان حضر منهم الفان واربعمائة ، ولكنهم رفضوا جميعاً أن يأخذوا شيئا من المال. وقد قال الأنبا أنانيا فى كتاب البستان كذلك أن عدد الرهبان فى برية شيهات على أيامه كان يبلغ الثلاثة آلاف . وذكر المقريزى أن عمرو بن العاص حين دخل مصر قابله سبعون ألف راهب . وكتب الأنبا بنيامين بطريرك الإسكندرية فى عهد عمرو بن العاص يقول أنه كان ذاهباً إلى دير الأنبا مكاريوس ليكرس كنيسة هناك ، وعلى بعد ميلين من الدير خرج للقائه الرهبان يتقدمهم الشبان أولا بأيديهم سعف النخل ثم الشيوخ حاملين الصلبان والمجامر وهم يسبحون بألحان ويرتلون بتهليل « فاهتز الجبل جميعه من كثرتهم ، وقد بدت صفوفهم كجند السماء طغمات طغمات » . وجاء فى تاريخ الأنبا بطرس البطريرك الرابع والثلاثين أنه : « كان خارج مدينة الإسكندرية ستمائة دير للرهبان والراهبات عامرة كخلايا النحل » .

وقد ظلت الأديرة عامرة بعد ذلك أجيالا طويلة ، وقد ذكر أبو المكارم المؤرخ القبطى أنه فى سنة ١٢٠٩م كان بدير الأنبا مكاريوس وحده ألف راهب .

خراب الأديرة :

وقـــد ظلت الأديرة عامرة ، حتى تضافرت عوامل كثيرة على خرابها وإقفارها ، وأهم هذه العوامل غارات البربر وهجمات الغزاة :

١ — فحين عمرت الأديرة بالرهبان طمع فيها البربر ، وهم شراذم من القبائل الرحل ، فنظموا على الأديرة غارات كانوا يقتلون أثناءها الرهبان وينهبون ما يجدونه لديهم ، وقد كانت أكثر المناطق تعرضاً لهذه الغارات برية شهيات التى كانت عامرة بالأديرة . وتقع هذه البرية فى صحراء ليبية ، وهى واد مستطيل منخفض يمتد غربى مديرية البحيرة بالوجه البحرى ، وقد كان قدماء المصريين يسمونه « سخت هيمام » أى حقل الملح ، وذلك لأن به منابع يستخرج منها النطرون وهو ملح البارود ، ولذلك يسمى حتى اليوم بوادى النطرون ، ويسمى كـــذلك برية شهيات — أى بالقبطية محـل العبادة — وبرية الأسقيط — أى محل النســاك — كما يسمى وادى هبيب وجبل نتريا . وقد أقام الأنبا مكاريوس فى هذه البرية أديرته ، ثم ازداد عدد الأديرة بها زيادة كبيرة . وقد حدثت أول غارة للبربر على برية شهيات حوالى سنة ٤١١ ميلادية ، ثم حدثت غارة أخرى بعد بضع سنوات قتل فيها كثيرون من الرهبان . وقد ورد فى السنكسار القبطى عن هذه الغارة « إن الإمبرطور ثيودوز الثانى أرســل رسولا إلى رهبان شيهات ليستشيرهم فى أمر زواجه من أخـرى تنجب له ولداً يخلفه على العرش ، وقد أخذ الرسول معه ابنه الصغير ، وفيما كانا هناك هجـم البربر فوقف شيخ كبير يقال له الأنبا يؤنس وقال للأخوة هوذا قد

أتوا وهم مايطلبون إلا قتلنا ، فمن أراد الشهادة يقف معى ومن خاف يطلع الجوسق ، فهرب بعضهم وبقى مع الشيخ ثمانية وأربعون ، فأتى البربر وذبحوا الشيوخ ، كما قتلوا رسول الإمبرطور وإبنه ». ثم وقعت غزوة أخرى للبربر فى أواسط القرن الخامس الميلادى ، وقد ورد فى كتاب « قديسو مصر » أن القديس موسى وستة من الرهبان استشهدوا فى صحراء شيهات ، وهرب الأنبا يحنس القصير إلى جبل أنطونيوس والأنبا بيشوى إلى أنصنا بالصعيد ، وسبى البربر الأنبا صموئيل والأنبا يؤنس قمص شيهات . وفى سنة ٥٧٠ ميلادية أغار البربر على برية شيهات ، وقد جاء فى كتاب تاريخ البطاركة الذى وضعه « أفيتس » أن البربر انقضوا على المناطق كلها وخربوا الأديرة . كما جاء فى هذا الكتاب أن البربر أغاروا على البرية بعد ذلك سنة ٨١٠ ميلادية ، وكانت كفردوس النعيم فتركوها خراباً وهدموا الكنائس والقلالى وأسروا كثيراً من الرهبان ، وكان ذلك فى عهد البابا مرقس الثانى ، وقد قيل أنه ظل يبكى حزناً على ما حل بالأديرة حتى مات من تأثره . وذكر كاترمير فى رسالته عن مصر أنه فى عهد سانوتوس البطريرك الخامس والخمسين الذى جلس على كرسى الأسكندرية من سنة ٨٥٩ إلى سنة ٨٨١ ميلادية علم البربر أن هذا البطريرك اعتزم أن يزور برية شيهات هو وحاشيته فى عيد الفصح ، فقدموا سراً من الوجه القبلى واستولوا على كنيسة القديس مقار وتوابعها ونهبوا كل ما فيها ، ثم طافوا على الأديرة الأخرى وطردوا من فيها بالقوة بعد أن جردوهم مما عليهم . كما ذكر كاترمير أن هذه الأديرة عانت كثيراً من المصائب بعد ذلك بزمن يسير ، فقد ألقى البربر رحالهم فى الصحراء وراحوا يترقبون خروج الرهبان من الأديرة لجلب الماء ، فينقضون عليهم وينهبون ملابسهم وأوانيهم .

٢ — وقد لقيت الأديرة الخراب على أيدى الغزاة الذين كانوا يغيرون على مصر ، وقد جاء فى تاريخ الأنبا بطرس البطريرك الرابع والثلاثين فى أوائل الجيل السابع أن كسرى ملك الفرس حين هجم على الإسكندرية فى عهد البطريرك أندونيقوس ، مر فى طريقه ببرية شيهات وكان بها ستمائة دير عامر بالرهبان فخربها . وقد ذكر المقريزى المتوفى سنة ١٤٤١ ميلادية أنه لم يبق من هذه الأديرة فى زمنه غير سبعة .

الأديرة التى وصلتنا أخبارها :

لم تصل إلينا إلا أخبار قليل من الأديرة التى أنشئت منذ القرن الرابع الميلادى . واندثر أغلبها أو لم يبق منه إلا أطلال ، وقد وجدنا بيانات عن بعض هذه الأديرة ، منثورة فيما بقى لنا من كتب التاريخ أو كتب الكنيسة، ومن هذه الأديرة :

ا ـ تسعة عشرة ديراً ببرية شيهات ، لم يبق عامراً منها إلى اليوم سوى أربعة ، وهى دير برموس ودير السريان ودير الأنبا بيشوى ودير أبو مقار .

ب ـ ثمانية أديرة بالوجه البحرى ، وهى خالية جميعاً اليوم من الرهبان .

جـ ـ سبعة أديرة بالقاهرة وضواحيها ، وهي خالية جميعاً اليوم من الرهبان .

د ـ ثلاثة وثمانون ديراً بالوجه القبلى ، ولم يبق عامراً منها سوى أربعة ، هى دير الأنبا أنطونيوس ودير الأنبا بولا ودير الأنبا صموئيل ودير المحرق.

أما أديرة الراهبات العامرة حتى اليوم فهى خمسة ، وهى دير مارى جرجس ودير العذراء بحارة زويلة ودير الأمير تادرس بحارة الروم ودير أبى سيفين ودير مارى جرجس بمصر القديمة .

وقد وردت فى تاريخ المقريزى أسماء اثنين وثلاثين من الأديرة التى كانت معروفة فى عصره، أى فى القرن الخامس عشر .

وقد تناوبت على الأديرة أزمنة عمار وخراب، فلم يستمر منها عامراً بالرهبان منذ إنشائه حتى اليوم إلا ديرالسريان الذى أنشىء فى القرن الرابع الميلادى ولم يخل من رهبانه إلا فترة وجيزة أثناء غارة البربر فى سنة ٨١٧ ميلادية، ثم عاد رهبانه إليه ولم يغادروه بعد ذلك .

ويمكننا أن نكون فكرة عن الأديرة القبطية ومحتوياتها وطريقة بنيانها من تقرير كتبه الجنرال أندريوس أحد قواد الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٩، ويصف فيه أديرة وادى النطرون، وقد جاء به : « أنشئت أديرة الأقباط بوادى النطرون فى القرن الربع الميلادى، إلا أن الصوامع المعدة لإقامة الرهبان لا بد أن يكون قد تجدد بناؤها مرات كثيرة منذ ذلك العهد، ويوجد من هذه الأديرة ثلاثة مربعة الشكل يتراوح أكبر أضلاعها بين ٩٨ و ١٤٢ متراً ويتراوح أصغر أضلاعها بين ٥٨ و ٦٨ متراً، ويبلغ متوسط مساحتها ٧٥٦٠ متراً مربعاً، ولا يقل ارتفاع جدران الأسوار عن ثلاثة عشر متراً، ويتراوح سمكها بين مترين ونصف وثلاثة أمتار، وهى متينة البناء، وفى أعلاها فتحات صغيرة تستخدم فى الدفاع عن الدير من غارات المغيرين . وليس للدير سوى مدخل واحد ضيق لا يزيد عرضه عن الثلثى متر ولا يزيد ارتفاعه عن متر واحد، وبابه سميك جداً، ويقفل من الداخل ويحكم رتاجه بمزلاج فى أعلى وبمفتاح من الخشب فى الوسط، وبعارضة تدخل فى البناء يميناً ويساراً فى أسفل، وهو مكسو جميعه بمحازم عريضة من الحديد، ويوضع خارجه حجران ضخمان . ويوجد بداخل كل دير برج مربع الشكل لا يمكن الوصول إليه إلا بمعبر متحرك طوله خمسة أمتار وارتفاعه ستة أمتار ونصف، فإذا رفع المعبراستحال الوصول إلى

البرج . وبكل دير بئر يبلغ عمقها ثلاثة عشر متراً ، وبستان صغير يزرع فيه قليل من الخضر وبعض الأشجار كالنخل والزيتون . وصوامع الرهبان عبارة عن مخادع لا يدخلها النور إلا من أبوابها ، وبها أثاث بسيط لا يزيد على حصير وطبق للأكل وجرة للماء ... ويقتات الرهبان بالفول والعدس المطبوخ بالزيت ويقضون أوقاتهم فى الصلاة وحرق البخور .. فى تلك الخلوات المحاطة بالأسوار فى قلب الصحراء ، والصليب يعلو قبابها »

وقد حدث أن مر السلطان الناصر ببعض أديرة برية شيهات فى أوائل القرن الحادى عشر ، وكان فى صحبته ابن فضل الله العمرى صاحب كتاب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » ، فقال فى وصفها : « إننا مررنا على بعضها فى الصحبة الشريفة الناصرية ، وهى فى رمال منقطعة وسباخ مالحة وبرار معطشة وقفار مهلكة ويشرب سكانها من حفارات لهم وهم فى غاية من قشف العيش وشظف القوت » .

الأديرة العامرة حتى اليوم :

لم يبق من الأديرة السالفة الذكر إلا ثمانية عامرة بالرهبان وخمسة عامرة بالراهبات ، وهذا بيان موجز عن كل من هذه الأديرة :

١ — دير برموس :

هذا الدير يسمى دير السيدة العذراء برموس ، أو دير سيدة برموس ، أو دير برموس ، وهو أبعد أديرة برية شيهات الأربعة إلى الشمال الغربى ، ويقع غربى الملاحات التى فى وادى النطرون ، ويقع إلى الشمال الشرقى منه دير أنبا موسى الأسود ، وهو دير برموس الأصلى ، وقد أصبح اليوم خراباً .

ويظهر أن كلمة برموس مأخوذة عن الكلمة القبطية « بى روماووس »

ومعناها « الرومى » ، لأن دير برموس قد سمى باسم القديسين الروميين مكسيموس ودوماديوس اللذين عاشا هناك فى أواسط الجيل الرابع على عهد القديس مكاريوس ، وبنى دير برموس فى الموضع الذى دفنا فيه ، وقد أطلق عليه الأنبا مكاريوس إسمهما .

وتبلغ مساحة هذا الدير أربعة أفدنة وأربعة قراريط ، وبه قلالى كثيرة للرهبان وقصر كبير قديم ذو ثلاثة أدوار ، وقصر جديد للضيوف بنى فى سنة ١٩٢٧ ، وبه خمس كنائس وبضعة حدائق صغيرة أقدمها الحديقة البحرية والحديقة القبلية ، وبه ساقية قديمة عميقة يستقى الرهبان منها . وقد ذكر المقريزى هذا الدير سنة ١٨٥٤ ، ويقال أن أنبا موسى كان يسكنه ودفن فيه ، حتى إذا تخرب نقلوا جسده إلى دير السيدة العامر الآن .

وفى أواخر القرن الثامن عشر أجرى المعلم إبراهيم الجوهرى عمارة على نفقته فى دير السيدة برموس سنة ١٨٧٣ ، فبنى به قصراً وبنى كنيسة صغيرة ، كما أنه أضاف إليه مساحة كبيرة بنى حولها سوراً جديداً .

٢ — دير السريان :

هذا الدير على اسم العذراء . وقد دعى دير السريان لأنه كان من قبل يحتوى على جملة من الرهبان السريان والرهبان الأقباط معاً ، ولكن ليس به الآن إلا أقباط ، وهو واقع إلى الجنوب الشرقى من دير السيدة برموس بمسافة ساعتين . وقد ذكره المقريزى .

ومساحة الدير فدان وثلاثة عشر قيراطاً ، وبه قلالى كثيرة للرهبان وقصر كبير قديم وقصر حديث للضيوف ، وبه أربع كنائس وحديقتان صغيرتان .

٣ ـ دير الأنبابيشوى :

يقع هذا الدير بالقرب من دير العذراء بالسريان ، وقد ذكره المقريزى . ومساحة هذا الدير الآن فدانان وستة عشر قيراطاً ، وفيه قلالى للرهبان ، وقصر كبير قديم وقصر حديث للضيوف وأربع كنائس وحديقة واسعة ، وبه ساقية مياهها عذبة .

والقديس الأنبا بيشوى كان من بلدة تسمى شنشا من أعمال مصر ، وقد جاء إلى جبل شيهات وترهب عند القديس الأنبا بموى تلميذ الأنبا مكاريوس ، ولما أتى البربر إلى برية شيهات مضى وسكن فى جبل أنصنا ومات هناك . ولما انقضى زمن الإضطهاد أحضروا جسده مع جسد الأنبا بولا إلى دير القديس الأنبا بيشوى .

٤ ـ دير أبو مقار :

يقع دير أبو مقار ، أو الأنبا مكاريوس ، إلى الجنوب الشرقى من ديرى السريان وأنبا بيشوى ، بالقرب من دير برموس .

ومساحة الدير اليوم فدان وإثنان وعشرون قيراطاً ، وكان فيما مضى أربعة أفدنة وثلاثة قراريط ، وبه قلالى كثيرة للرهبان وقصر كبير قديم أثرى هو أوسع وأجمل قصور الأديرة الغربية ، وقصر حديث للضيوف ، وبه سبع كنائس ، وبه أجساد ستة عشر من الآباء البطاركة محنطة ومحفوظة فى تابوت .

وفى الدير حديقة وجرس عظيم . وقد ذكر المقريزى هذا الدير . وتوجد الآن بقايا عدة أديرة خربة حول دير أبى مقار .

٥ - دير الأنبا صموئيل :

يقع هذا الدير فى الجبل الغربى بالقرب من مغاغة بمديرية المنيا . ويبعد عن البحر اليوسفى نحو سبع ساعات . ويسمونه أحياناً دير القلمون ، لأنه يقع فى جبل القلمون . وقد كان خراباً متروكاً حتى سنة ١٨٩٨ ، حين ذهب إليه بعض رهبان من دير سيدة برموس وشرعوا فى تعميره وبناء خرائبه وسكنوا فيه ، وانضم إليهم غيرهم ، وظل عامراً حتى اليوم . وقد ذكر المقريزى هذا الدير .

٦ - دير الأنبا أنطونيوس :

يقع هذا الدير فى الجبل الشرقى مقابل مديرية بنى سويف . وقد شيد فى الجيل الرابع فى أسفل جبل عال يطل على البحر الأحمر ، وعلى جبال سينا ، بالقرب من العين التى كان يستقى منها القديس أنطونيوس ، وعلى مقربة من المغارة التى كان يعيش فيها .

وللدير باب من الخشب المصفح بالحديد . وارتفاع سوره عشرة أمتار وسمكه نحو مترين . ومساحته الآن ثمانية عشر فداناً ، وبه ساقية يستعملها الرهبان لرفع الأشخاص والأشياء بدل فتح باب الدير ، تتركب من أسطوانة خشبية تدور حول محور لها ، وقد ثبتت فيها أربعة أذرع أفقية وربط فيها حبل ضخم من أحد طرفيه ويمر طرفه الآخر على بكرة حديدية معلقة فى السقف من خارج السور قبالة الأسطوانة ، ثم يتدلى بعد ذلك على الأرض وقد تفرع فى نهايته إلى فرعين ، فى نهاية كل فرع منهما خطاف حديدى . حتى إذا أراد الرهبان رفع شخص دلوا الحبل حتى يصل إلى أسفل السور

ثم يقف الشخص ويعقد الحبل حوله ثم يمسكه بيديه ، ثم تدار الأسطوانة فيرتفع الشخص إلى أعلى البناء . وعند حضور حطب الوقود كان الرهبان يهدمون سد الباب ويدخلونه ثم يبنون السد ثانياً . إلا أن الرهبان اليوم وقد استتب الأمن يدخلون من باب غير مسدود ولا يستعملون الساقية إلا فى رفع الغلال .

وفى هذا الدير قصر كبير قديم وقلايات للرهبان بعضها قديم وبعضها حديث . وبه ست كنائس وحديقة متسعة مساحتها أحد عشر فداناً بها فواكه متنوعة . وإلى الجنوب من الدير توجد عين ماء تنبع من قلب الصخر ، ولها حوض عظيم الإتساع يملأونه منها ويروون به الحديقة . وقد ذكر المقريزى هذا الدير باسم دير العزبة .

وتوجد بالقرب من الدير المغارة التى كان يسكنها القديس أنطونيوس، وهى عبارة عن تجويف فى قلب الجبل كونته الطبيعة ويبلغ ارتفاعه نحو متر ونصف وعرضه لايزيد عن ثلاثة أرباع المتر ويبلغ طوله نحو عشرة أمتار ، وينتهى بحفرة كروية الشكل تقريباً تبلغ عشرين متراً مكعباً وهى التى كانت مأوى ذلك القديس العظيم ، وبها الآن مذبح خشبى لإقامة الشعائر الدينية فى اليوم الثانى والعشرين من شهر طوبة من كل عام ، حيث يحضر الرهبان لإحياء ذكرى القديس العظيم .

٧ ـ دير الأنبا بولا :

يقع هذا الدير فى الجبل الشرقى بالقرب من دير الأنبا أنطونيوس بمديرية بنى سويف ، وبينه وبين البحر الأحمر ثلاث ساعات . وتحيط به الجبال والهضاب المرتفعة .

ومساحة هذا الدير الآن نحو خمسة أفدنة ، ولبابه ساقية يدخلون ويخرجون بواسطتها كما فى دير أنطونيوس ، وبه قلايات كثيرة للرهبان ، وقصر كبير قديم وأربع كنائس ، وحديقة مساحتها نحو فدان ، وعينان للماء داخل السور الجديد .

٨ — دير المحرق :

يقع هذا الدير — وهو على اسم السيدة العذراء — بجبل قسقام فى مديرية أسيوط ، وقيل أنه من أديرة أنبا باخوميوس ، كما قيل أن السيدة العذراء حين هربت بابنها إلى مصر هى ويوسف النجار أقاموا فى مكان هذا الدير . وقد ذكره المقريزى . وبه الآن مايقرب من مائة راهب .

ومساحة هذا الدير نحو تسعة أفدنة ، وبه قلالى كثيرة للرهبان ، وقصر كبير قديم وأربع كنائس ، وقصر جديد فخم ، وبه ماكينة للماء والكهرباء . وقد وقفت عليه أملاك كثير .

أديرة الراهبات :

ليس ثمة من أديرة الراهبات العامرة اليوم سوى خمسة أديرة ، وكلها بالقاهرة وهى :

١ — دير مارى جرجس بحارة زويلة .

٢ — دير السيدة العذراء بحارة زويلة .

٣ — دير الأمير تادرس بحارة الروم .

٤ — دير الشهيد مرقوريوس أبى سيفين بمصر القديمة .

٥ — دير الشهيد مارى جرجس بمصر القديمة .

ونظراً لضعف النساء لم يرتب الأنبا أنطونيوس أو الأنبا مكاريوس سكنى الراهبات فى البرية ، بل جعلت لهن أديرة خاصة بهن فى داخل المدن أو قريباً منها .

البحث السابع

خلاصة العقيدة القبطية

رأينا مما سلف كيف دخلت المسيحية فى مصر وكيف تقبلها المصريون وأقبلوا على اعتناقها، وكيف تلقوا مبادئها وفهموا تعاليمها، ثم كيف تصدوا بعد ذلك للصراع الذى نجم عما ظهر من بدع وهرطقات تخالف جوهر هذه المبادىء والتعاليم، فلم يهدأ لهم بال حتى اطمأنوا إلى أن إيمانهم القويم قد أصبح فى مأمن من الضلالات والأباطيل، ومن ثم حافظوا عليه وراحوا يتوارثونه جيلا بعد جيل.

ويجدر بنا أن نختم هذا البحث بنبذة تتضمن خلاصة العقيدة القبطية، كما تلقاها الأقباط عن آبائهم الأوائل، حتى نستكمل بذلك معالم التعريف بالأقباط.

ونتناول فى هذا الفصل الكلام عن عقيدة الأقباط فى الله، وفى الإنسان، وفى العلاقة بين الله والإنسان.

«أ» الله

١ — وجود الله :

يؤمن الأقباط بوجود الله الأوحد الذى لا شريك له، والذى خلق العالم بقدرته، ويدبره حسب مشيئته.

٢ — صفات الله :

ويؤمن الأقباط بأن الله روح بسيط ، أزلى ، أبدى ، قادر على كل شىء ، عديم التغير والتحول ، غير محصور فى مكان ، مدبر كل شىء ، عليم حكيم ، قدوس ، كامل جواد ، غير مستند إلى أحد أو متعلق بأحد ، وكل المبروءات متعلقة به .

١ — فالله روح بسيط ، أى أنه غير قابل للتقسيم والتجزئة ، منزه عن كل اختلاط وتركيب ، خال من كل جسم وصورة ، غير منظور بالأعين أو محسوس بأى حاسة جسدية ، وهو يعلم ذاته وصفاته .

٢ — والله أزلى أبدى ، أى أنه عديم الابتداء والانتهاء فى وجوده الذى لا يقترن بزمن ، بل يحيط بسرمديته الأزلية والأبدية ويعلو عليها ، فهو الواجب الوجود لذاته ، المستقل بصفاته ، الذى لا زوال ولا فناء له .

٣ — والله قادر على كل شىء ، أى أن كل شىء ممكن لقدرته ، ولا يوجد شىء غير مستطاع عنده إلا الذى لا يريده ، فقوته لا تقاوم ، وسلطته لا تخضع ، بل يعمل حسب مشيئته ، ومقتضى قصده ، دون احتياج إلى وسائط يستعين بها ، لأن عظمته فائقة ، وقوته غير محدودة .

٤ — والله عديم التغير والتحول ، أى أنه تعالى منزه عن الأغراض ، وذو كمال غير متناه ، لا يمكن أن يتغير ليكون أكمل مما هو ، حيث أنه كامل فى جوهره وصفاته ، فلا يزيد ولا ينقص فى جودته ورحمته وعدله وقداسته ومعرفته وحكمته وقوته ، ولا يمكن أن يخطىء فى أحكامه وتصرفاته ليعود فيصلحها ، لأن حكمته غير محدودة ، وتحيط بسائر الأزمنة والظروف والأحوال ، وبما أنه يعلم منذ الأزل كل ما يحدث فى الكون ، فلا حاجة لتغيير رأيه أو تعديل رسومه وأحكامه الإلهية .

٥ — والله غير محصور فى مكان ، بل موجود فى كل مكان ، أى أنه تعالى حاضر فى كل زمان ومكان ، ومالىء السموات والأرض منذ الأزل وإلى الأبد ، إلا أنه غير محدود أو محصور فى مكان ما ، وهو موجود فى كل مكان بقدرته وعنايته وبذاته وجوهره ، فى وقت واحد وزمن واحد .

٦ — والله مدبر كل شيء ، فلا يمكن أن يحدث أمر فى الكون إلا بأمره وإذنه وعنايتـه ، لأنه هو الذى يرتب كل الحوادث العالميـة بحكمته السامية وقدرته الفائقة . فليس هناك صدفة أو اتفاق أو قدر محتوم أو حظ ، لأن كل ما يجرى تحت الشمس غير خارج عن دائرة الترتيب والقصـد الإلهى . وهو بحكمته يتسلط على كل أفعال الخليقة وحركات الأحياء والجمـادات ويدبرها بكمال تدبيره ، كبيرها وصغيرها على السواء .

٧ — والله عليم حكيم ، لأنه لمـا كان الله سبحانه وتعالى موجود فى كل مكان ، ويملأ الأرض والسموات ، وهو كامل وغير متغير ولا محدود فى جوهره ، فيستلزم ذلك أنه ذو علم غير محدود ولا متغير أيضاً . وعلم الله غير مكتسب ، وإنمـا هو ذاتى طبيعى ، فلا يحصل عليه بالبحث والاستقصاء ولا يحصل عليه بالتتابع ، وليس هو معرضاً للزيادة أو النقصان ، لأن كل الأشياء التى حدثت وسوف تحدث موضوعة أمام عينيه منذ الأزل ، كبيرها وصغيرها ، جليلها وحقيرها ، كلياتها وجزئياتها .

٨ — والله قدوس كامل . والقداسة هى استقامة الضمير وكماله ، وهى النقاوة الداخلية البريئة من كل دنس ، والفضيلة التى أخصها المحبـة ذات النعمة وذات المجد ، وهى مطابقة الإرادة والعقل مع الشريعة الأزلية الكائنة فى ضمير الله . ولمـا كانت الإرادة الإلهية هى نفس الضمير الإلهى ، ونفس الشريعة الأزلية أيضاً ، كانت الإرادة الإلهية هى نفس القداسة الكاملة ، غير المخلوقة ، وغير المتناهية . ويراد بقداسة الله طهارة سيرته الأدبية والروحية ،

وخلوه التام من النجاسة والإثم ، وانفراده بالصلاح والكمال ، وتنزهه عن الظلم والجور ، فى وصاياه وفرائضه وأحكامه .

٩ — والله جواد . وجودة الله تشمل قداسته ومحبته ورحمته وعدله ونعمته وعنايته بسائر مخلوقاته . وقد ظهرت هذه الصفات السامية الكريمة ظهوراً جلياً فى خلقته لهذا الكون ومنحه إياه طبيعة قابلة للسعادة والسرور ، وفى عنايته الشاملة بسائر مخلوقاته .

١٠ — والله غير مستند إلى أحد أو متعلق بأحد ؛ وكل المبروءات متعلقة به . أى أن الله سبحانه وتعالى موجود بذاته ، وكل الخليقة أخذت وجودها عنه . فليس الله والطبيعة شيئاً واحداً ، بل أنه جل شأنه مستقل عن العالم استقلالا تاماً ، وهو الذى أخرجه من العدم إلى الوجود ، لأن المادة ليست أزلية ، بل أبدعت فى بداية الزمن . وإذن فكل الكائنات على اختلاف أنواعها متعلقة بالله وحده ، ومعلولة له دون غيره ، وهو الذى يصونها ويدبرها بكمال قدرته وحكمته .

٣ — أقانيم الله :

ولما كان لا يمكن لأحد أن يعرف ما هو الله إلا الله وحده ، فلا يمكن للعقل البشرى أن يصل إلى معرفة كنه الله ، إلا إذا تلقى بذلك إعلاناً من الله ذاته . وقد عرف المسيحيون من تعاليم السيد المسيح أن الله واحد فى ثلاثة أقانيم ، هم الآب والإبن والروح القدس . وأن هؤلاء الأقانيم الإلهية هم طبيعة واحدة وذات واحدة وجوهر واحد بسيط منزه عن التأليف والتركيب .

وهذه حقيقة تفوق الإدراك البشرى ، الذى لا يفهم إلا أن الطبيعة

الواحدة إنما تتضمن أقنوماً واحداً ، أى ذاتاً واحدة ، وأن تعدد الأقانيم أو الذوات ، إنما يستوجب تعدد الطبائع ، بيد أن هذا هو الحال بالنسبة للطبيعة المخلوقة ، فى حين أن الأمر هنا متعلق بالطبيعة الخالقة ، التى لا يسوغ أن نتخذ من الطبيعة المخلوقة مقياساً لها . وقد فهمنا من كلام السيد المسيح — الذى دفعنا بمعجزاته إلى الإيمان بألوهيته — أن الأقانيم الثلاثة الذين فى الله ، وإن اتحدوا جوهراً وطبعاً وذاتاً وصاروا واحداً ، إلا أنهم ثلاثة لا واحد من حيث الأقنومية : فالآب ليس هو الإبن . والروح القدس ليس هو الآب ولا الإبن . غير أن لكل من الآب والإبن والروح القدس ما للآخر من الألقاب والصفات الإلهية ، وكل ماينسب إلى أحدهم من صفات اللاهوت الكاملة ينسب إلى الآخر بمعنى واحد وعظمة واحدة ، وذلك لأن الطبيعة واحدة ، ولأن الأقانيم الثلاثة هم واحد ، دون تعدد أو تركيب أو تأليف ، وإلا كان فى الذات العلية ثلاثة آلهة ، وذلك ماتنكره المسيحية وترفضه وتتبرأ منه لأنها تؤمن بالإله الواحد الوحيد ، الفرد السرمدى ، الذى تنطق كل النصوص الإلهية بوحدانيته . غير أن هذه الوحدة ليست نظير الوحدة المادية التى لا يمكن القول عن الواحد منها أنه ثلاثة أو أنه كائن فى ثلاثة ، وإنما هى وحدة إلهية تفوق إدراكنا ولا ينافيها وجود ثلاثة أقانيم فيها ، لان الثلاثة أقانيم ليسوا ثلاثة آلهة . ولكنهم إله واحد .

وقد دعى الأقنوم الأول أباً أو والداً . ودعى الأقنوم الثانى إبناً أو مولوداً ، وليس المقصود بالولادة هنا خروج كائن من كائن ، أو الانتقال من اللاوجود إلى الوجود ، وإنما المقصود بها أن الأقنوم الأول هو بمثابة ينبوع أعطى الأقنوم الصادر عنه طبيعته وجوهره كله . فكان الأقنوم الثانى صورة كاملة للأقنوم الأول ومساوياً فى الطبيعة والجوهر ، ويمثله لا تمثيلا عرضياً خيالياً ، وإنما تمثيلا ذاتياً ، حقيقياً ، وتاماً ، إذ

قال يسوع عن نفسه : « من رآنى فقد رأى الآب » .

وقد دعى الأقنوم الثالث الروح القدس ، ليس لأن بينه وبين الأقنومين الآخرين تميزاً فى روحانية الجوهر ، لأنهم متساوون فى ذلك ، ولأن كلا من الأقنومين الآخرين يسمى روحاً كذلك ، وإنما لأعماله الخاصة به . والروح القدس وإن كانت له طبيعة الآب وجوهره كالإبن ، إلا أنه لم يدع إبناً أو مولوداً ، بل يقال له « روح منبثق » أى صادر عن الآب . وهذا سر من أسرار اللاهوت الغامضة التى لا يمكن إدراك كنهها بالعقل البشرى ، وإنما ينبغى أن نؤمن بها كما وردت على لسان السيد المسيح إذ قال « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق » .

وبما أن للأقانيم الإلهية طبيعة واحدة وجوهراً واحداً بدرجة متساوية ، فلا امتياز لأحدهم على الآخر ، كمالا أو نقصاً .

ألوهية السيد المسيح :

والسيد المسيح هو الأقنوم الثانى من الثالوث الأقدس ، وهو مساو للآب والروح القدس فى كل الصفات الإلهية . ومن أدلة ذلك :

١ — قول السيد المسيح : « لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الإبن أيضاً يحيي من يشاء » (يو ٥ : ٢٠) .

٢ — وقوله : « أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بى ومات فسيحيا » (يو ١١ : ٢٥) .

٣ — وقوله : « الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن » (يو ٨ : ٥٦) .

٤ — وقوله : « والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم » (يو ١٧ : ٥) .

٥ — وقوله : « وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) .

٦ — وقوله : « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » .

٧ — وقوله للميت : « أيها الشاب لك أقول قم » ، فجلس الميت وابتدأ يتكلم (لو ٧ : ١٤) .

٨ — وقوله للعازر الذى كان قد مات ودفن منذ أربعة أيام « لعازر هلم خارجاً » فعاد إلى الحياة وخرج من القبر (يو ١١ : ٤٣) .

٩ — وقول بطرس ليسوع : « أنت هو المسيح ابن الله الحى » (مت ١٦ : ١٦) .

١٠ — وقول الروح النجس الذى كان فى أحـــد اليهود حين رأى يسوع : « آه مالنـــا ولك يا يسوع الناصرى أتيت لتهلكنا ، أنا أعرفك من أنت قدوس الله » فانتهره يسوع قائلا : « إخرس واخرج منه » فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه (مر ١ : ٢٤) .

١١ — وقول اللص على الصـليب : « أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك » (لو ٢٣ : ٤٢) .

١٢ — وقول بولس فى رسالته إلى تيموثاوس : «الله ظهر فى الجسد» (١ تى ٣ : ١٦) .

١٣ — وقوله فى رسالته إلى أهل كورنثوس : « ورب واحد يسوع

المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به » . (١ كو ٨ : ٦) .

تجسد السيد المسيح :

حين خالف آدم وصية الله جلب الموت على نفسه وعلى سائر ذريته ، وطرد هو وذريته من الفردوس ، ولم يبق لهم حق الدخول فيه والتمتع بمجد الله كما كانوا أولا إلا بعد الحصول على مغفرة خطاياهم . ولم يكن ممكناً للإنسان أن يقدم كفارة عن خطاياه لعجزه وتسلط هذه الخطايا على طبعه . وقد كان الله قادراً على أن يجرى على آدم أحد أمرين : فأما أن يهلكه عقاباً له على جريمته ، أو يسامحه تعطفاً على ضعف طبيعته . إلا أن عقابه يتضمن العدل ولكنه يهدر الرحمة . كما أن تبريره بلا كفارة يتضمن الرحمة ولكنه يهدر العدل . فى حين أنه لا يمكن إهدار إحدى هاتين الصفتين ، لأن فى ذلك نقصاً والخالق منزه عن النقص . لذلك دبرت الحكمة الإلهية واسطة عجيبة بها يخلص الإنسان ، ويستوفى العدل الإلهي حقه فى ذات الوقت : وتلك هى ترقية طبيعة الإنسان إلى رتبة إلهية ، باشتراكها مع طبيعة الله نفسه ، حتى يتسنى لها أن تكفر عن معاصيها وتفى ما عليها تجاه العدل الإلهى . ولم يكن ذلك ممكناً إلا بتجسد ابن الله وتأله طبيعته البشرية ، حتى يمكن أن تتم المصالحة بين الله والناس ، لأن العدل الإلهى يقضى بأن الطبيعة التى أخطأت هى التى تموت ، ومن ثم فقد أخذ الله طبيعة الإنسان لكى يتحمل فيها القصاص الواجب ، واتحد بالجسد اتحاداً جوهرياً ، حصل به الجسد على كمال غير متناه ، يتيسر له بواسطته أن يقدم الكفارة عن خطيئته غير المتناهية . وبذلك فقد كانت هذه الوسيلة هى أسمى الوسائل وأحكمها ، لأنها استوفت العدل والرحمة معاً ، ووفقت بينهما ، إذ أعطت كلا منهما حقه : فالعدل لم يزل عدلا عندما ظهرت الرحمة . والرحمة لم تزل رحمة عندما تم العدل .

طبيعة السيد المسيح :

ونرى مما سلف أن للسيد المسيح طبيعتان إلهية وإنسانية ، بيد أنهما بالاتحاد الذاتى الطبيعى صارتا طبيعة واحدة بلا اختلاط ولا امتزاج ، لأن اللاهوت غير الناسوت ، والكائن بذاته غير الكائن بغيره ، وصورة الله غير صورة الإنسان ، وقد اتحد الأقنومان فصارا أقنوماً واحداً متحداً هو أقنوم الإله المتأنس بالكمال . وباتحاد الأقنوم الإلهى بالأقنوم البشرى إتحاداً جوهرياً حصلت الطبيعة الناسوتية على ما لم تكن حاصلة عليه من قبل ، وأصبحت أفعالها أفعالا إلهية غير متناهية ودعيت بحصر اللفظ أفعال ابن الله نفسه .

وقد اقتبل السيد المسيح الآلام بناسوته وليس بلاهوته . ولكننا لا نقول أن الناسوت هو الذى تألم ومات ، وإنما نقول إن ابن الله الأزلى نفسه هو الذى تألم ومات ، لأنه اتحد بالجسد ذى النفس الناطقة ، التى يجوز عليها الألم والموت . وليس معنى هذا أننا نقول أن الله تألم ومات لأنه لا يجوز عليه الألم والموت ، وإنما نقول إنه كان عالماً بما يحدث للجسد ، وكان يعتبر آلام الجسد آلامه ، ويعتبر موته موتاً له .

ولئن كان اتحاد كلمة الله بطبيعة الإنسان يفوق كل ما يتصوره الفكر البشرى من ضروب الاتحاد المعلومة ، ولا يمكن أن يحيط بكنهه إلا الله وحده ، إلا أننا لتقريب ذلك إلى الفهم يمكننا أن نمثله باتحاد النفس العاقلة مع الجسد فى الشخص الإنسانى : فكما أن الإنسان مركب من طبيعتين مختلفتين ، هما طبيعة النفس البسيطة الروحانية ، وطبيعة الجسد الكثيف المحسوس ، اللذين باتحادهما معاً بغير اختلاط ولا امتزاج صارا ذاتاً واحدة وطبيعة واحدة وشخصاً واحداً وإنساناً واحداً . هكذا السيد المسيح له المجد وإن يكن مركباً من طبيعتين مختلفتين وهما الطبيعة الإلهية الكاملة ،

والطبيعة الإنسانية الكاملة ، إلا أنه بهذا الاتحاد الإلهى الحقيقى الذاتى الطبيعى صار واحداً وحدة حقيقية بغير اختلاط ولا امتزاج . وكما أن عدم اختلاط وامتزاج طبيعتى النفس اللطيفة والجسد الكثيف لا يوجب اعتبار الشخص الإنسانى جوهرين وطبيعتين . . هكذا اختلاف الجوهر الإلهى وطبيعته عن الجوهر الناسوتى وطبيعته لا يوجب اعتبار المسيح له المجد جوهرين وطبيعتين منقسمتين بأى وجه من الوجوه ، بل أن الذى ولد من الله أزلياً ومن الإنسان زمنياً هو نفسه ابن الله وابن الإنسان .

ألوهية الروح القدس :

الروح القدس هو الأقنوم الثالث من اللاهوت الأقدس ، وهو مساو للآب والإبن فى الذات والجوهر والطبع وكل فضل اللاهوت ، وهو روح الله وحياة الكون ومصدر الحكمة والبركة ومنبع النظام والقوة ، ولذلك فهو يستحق العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة مع الآب والإبن .

ومن الأدلة على ألوهية الروح القدس :

١ — جاء فى سفر الأعمال أن بطرس الرسول قال لحنانيا : « يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس . أنت لم تكذب على الناس بل على الله » (أع ٥ : ٣) .

٢ — وقال السيد المسيح : « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق القدس الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه مكث معكم ويكون فيكم » . (يو ١٤ : ١٦) .

٣ — وقال كذلك : « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم

الآب والإبن والروح القدس » . (مت ٢٨ : ١٩) .

٤ ـ وقال كذلك : « الحق أقول لكم إن جميع الخطايا تغفر لبني البشر ، والتجاديف التي يجدفونها ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد ، بل هو مستوجب دينونة أبدية » .

٥ ـ وقال بولس الرسول : « فأعلنه الله لنا بروحه ، لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعمال الله » (١ كو ٢ : ١٠) .

٦ ـ وقال يوحنا الرسول : « فأن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : الاب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد » (١ يو ٥ : ٧) .

إنبثاق الروح القدس من الآب :

تؤمن الكنيسة القبطية بأن الروح القدس منبثق من الآب وحده .

وقد ورد في قانون الإيمان : « نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والإبن مسجود له » .

وقال القديس باسيليوس الكبير : « كما أن الروح القدس ليس له الولادة بحالة ما ، هكذا الإبن ليس له الإنبثاق . وكما أن الإبن ليس هو من الروح القدس ، هكذا الروح القدس ليس من الإبن . وكما أن الإبن مولود من الآب وحده ، هكذا الروح القدس ينبثق من الآب وحده » .

٤ — قضاء الله وعنايته :

« أ » ـ قضاء الله :

كل الحوادث الكونية ناشئة عن قضاء الله الواحد ، الأزلي الأبدي ، غير المحدود ، القادر الحكيم ، القدوس العادل ، الرحيم ، الذي يختار لإتمام مقاصده أفضل الوسائط وأقدسها :

١ ـ فهو واحد لأنه لا يحدث فى ملكه ما لا يشاء ، وفى مشيئته ما لا يكون ، ولأنه ليس له شريك أو مشير .

٢ ـ وهو أزلى أبدى غير محدود ، لأنه عديم التغير فى مقاصده ، ثابت فى أحكامه لإحاطته بسائر الظروف والأحوال الزمانية والمكانية فى وقت واحد ، منذ بداية الزمن حتى نهايته .

٣ ـ وهو قادر وحكيم ، لأنه يسوس مخلوقاته بقوة ثابتة مطلقة لاتصدم بناموس ولا يحول دون تنفيذها قانون ، وهو ليس مقيداً بشىء فى سائر تصرفاته وأعماله وأحكامه .

٤ ـ وهو قدوس وعادل ، لأنه صالح يكره الشر ولا يقضى به جبراً على أحد ثم يعاقبه عليه .

٥ ـ وهو رحيم ، لأنه مع انعكاف عبده على الخطأ ، لا ينفك عن البذل والعطاء والصفح والغفران .

وقضاء الله نافذ لا محالة ، إلا أن الكائنات غير العاقلة تخضع له خضوعاً إضطرارياً وفق نواميس ثابتة قررها لها منذ تكوينها . أما الكائنات العاقلة فتخضع له بمقتضى العقل ووفق الإرادة الذاتية .

وقضاء الله يشمل سائر أعماله ، ويشمل سائر مخلوقاته ، وقضاؤه يجرى لغاية نهائية هدفها المجد لذاته والخير لمخلوقاته . وهو بحكمته تعالى متسلط على كل أفعال الخليقة ، كبيرها وصغيرها ، ولكل شىء عنده سبب صحيح ، فلا شىء مطلقاً يقع صدفة أو اتفاقاً دون مشيئة منه فى وقوعه ، وغاية حكيمة يقصد إليها من ورائه . وبأذنه تجرى أحوال الدول والأفراد ، ويصدر من الناس الخير والشر : فالخير يقع بقضاء منه ، والشر كذلك يقع بقضاء منه . وهو حين يسمح بوقوع الشر إنما يقصد من ورائه خيراً فى النهاية ، وإن

خفيت علينا فى أول الأمر حكمته . وليس الله بذلك قاضياً بالخير عن جبر مطلق ، ولا خالقاً للشر الذى هو ضده ، وإنما ترك للنفس العاقلة حرية الاختيار بين الخير الذى يحبه ، وبين الشر الذى يتميز الخير به ، والذى لا نعلم لماذا يسمح بوقوعه ، ولكننا نؤمن بأن من وراء ذلك حكمة له وخير يهدف أخيرا إليه .

وقضاء الله ثابت لا يتغير ، لأن كمال حكمته وعلمه وقدرته ينفى حاجته إلى تغيير قضائه ، لأنه حكيم لا يخطىء فيضطر إلى تصحيح خطئه ، عالم بالنهاية منذ البداية ، فلا يستجد عليه ما يدفعه إلى تغيير حكمه ، قادر على كل شىء ، فلا يعسر عليه أن يستمر فى إتمام مقاصده .

والقضاء السابق لا يمنع الإنسان من العمل ، لأنه ليس إلا بالعمل ينال الإنسان ما قضى له به . فالقضاء هنا غاية، والعمل هو الوسيلة إلى هذه الغاية. فأذا فرضنا ترك الوسيلة وجب أيضاً أن نفرض بطلان الغاية لارتباط كل منهما بالآخر .

أما سبق علم الله ، فليس سبباً سابقاً لكون شىء مما هو كائن ، لأن العلم شىء والإرادة شىء آخر : فالإرادة تقضى بالحوادث ، وأما العلم فيرى هذه الحوادث محققة الوقوع . والله قد يريد فى وقت ثم لا يريد فى وقت آخر ، ولكنه عالم دائماً وفى كل وقت .

ولا يمكن أن ننسب إلى الله المسئولية عن وقوع الشر ، لأن الشر موجود لحكمة لا نعلمها . ولكن الله ترك الخيار للانسان فى أن يفعل الخير أو الشر . فالإنسان هو المسئول عن أفعاله التى أتاها بكامل حريته وإرادته . وقضاء الله السابق ، ومسئولية الإنسان عن أفعاله ، لا يتعارضان ، لأنه وإن كان الله قد قضى منذ الأزل بأن إنساناً ما سيرتكب شراً ، إلا أن

هـذا الإنسان كان فى إمكانه ألا يرتكب الشر ومع ذلك ارتكبه ، لأن قضاء الله لم يسلب إرادته ، ولم يجبره على إتيان أمر لا يريده . ولو رفع قضاء الله وعلمه السابق المسئولية عن فاعل الشر وامتنع عن عقابه ، لوجب أن يمتنع كذلك عن إثابة فاعل الخير ، وهذا مناف لكمال عدله ، الذى يستوجب عقاب المسىء وإثابة المحسن .

أما الجبر المطلق الذى لا اختيار فيه للإنسان فليس من شأن الخالق جل شأنه وإنما من شأن المخلوق الذى يجبر غيره إجباراً يكون به ظالماً له متعدياً عليه ، والله تعالى عادل لا يظلم أحداً ، ولا يتعدى على أحد .

وحرية الاختيار التى يتمتع بها الإنسان أمر ثابت تجمع عليه كل الشرائع والقوانين السماوية والأرضية ، بل تدل عليه الطبائع والنوازع النفسية فى الإنسان ذاته . ولما كان الشر لا يفرض نفسه على الإنسان فرضاً ، لأنه قادر على أن يقاومه ويقهره ، فهو إذن كامل فى اختياره أو رفضه ، وهو من ثم مسئول عن أفعاله ، ومستحق لما يناله عنها من عقاب أو ثواب .

ومجمل القول أن قضاء الله حق . وهو يشمل كل الكائنات . ولكنه بالنسبة للإنسان لا ينافى حريته واختياره لأفعاله ، سواء كانت خيراً أو شراً . وإنما يتصرف الله مع الإنسان بكيفية يحول بها كل أعماله إلى وسائط لإتمام مقاصده الإلهية ، على مقتضى حكمته السامية التى يقصر العقل البشرى عن إدراكها .

ب — عناية الله :

وعناية الله تشمل الكليات والجزئيات معاً . وسياسته فى تدبير الكون عامة حكيمة مقدسة فعالة : عامة لأنها تشمل كل المخلوقات وأعمالهم . وحكيمة لأنها تناسب كل الطبائع الحية وغير الحية . ومقدسة لأنها ذات مقاصد صالحة

مفيدة . وفعالة لأنه لا يمكن مقاومتها حيث تجرى على كيفية يحول بها كل أعمال مخلوقاته إلى إتمام مقاصده فى الوقت المعين دون معارضة لحريتهم وخواص طبيعتهم .

إلا أن الله لا يعتنى دائماً بجميع الأشياء مباشرة ، بل فى كثير منها عن طريق واسطة من العلل الثانوية ، لا لنقص فى قوته السامية ، بل لفيض صلاحه ومحبته للبشر .

أما وجود الشر والضرر ، فلا ينفى وجود العناية الإلهية ، لأنه وإن كان يضر من ناحية ، فأنه ينفع من ناحية أخرى .

كما أن البلايا والتجارب لا تتعارض مع العناية الإلهية ، لأن الغرض منها تهذيب الصالح وعقاب الشرير ، وذلك من مستلزمات الحياة ، ومن موجبات العناية الإلهية .

كما أن عدم المساواة ضرورى لقيام نظام الكون فقد وضع الله كل شىء فى منزلة خاصة لأداء وظيفة خاصة ، ولا يستقيم نظام الكون إلا بذلك ، فهو الدليل على عناية الله .

كما أن وجود الخطيئة ليس دليلا على انتفاء العناية الإلهية ، لأن الله لم يكن العلة المباشرة للخطيئة ، ولأن الخطيئة ليست سوى النتيجة الطبيعية للحرية التى منحها الله للكائنات العاقلة . وقد سمح الله بوجود الخطيئة فى العالم لغاية تتضمنها حكمته ، وليس فى مقدور العقل البشرى إدراكها . إلا أن العناية الإلهية لا تسوق الإنسان إلى الخطيئة ولا تحرضه على ارتكابها ، بل هو يرتكبها بمحض إرادته وكامل حريته . والله لا يشاء أن يهلك أحد البتة ، ولا يمنع نعمته عمن يطلبها ، ولا يسوق أحداً إلى الخطيئة قسراً ، بل يعد الوسائط اللازمة لخلاص الجميع .

وأخيراً فأن موت الإنسان فى سن مبكرة لا يعتبر دليلا على انتفاء عناية الله لأن الله حدد عمراً متساوياً لجميع الناس : فمن سلم من الأحداث عاش حتى نهاية العمر المحدد له، ومن تعرض للأحداث مات قبل ذلك . والله يتولى الإنسان بعنايته ، ولكن هذا لا يحمل الإنسان على الإهمال فى حفظ حياته، فاذا فعل كان مقصراً ومسئولا .

ولعل أعظم برهان على عناية الله ورحمته ، هو الكفارة التى قدمها إبنه الوحيد للعدل والشريعة ، باحتماله عن البشرية جمعاء ، القصاص الذى استحقته عن خطاياها ، فكان ذلك أكبر دليل على محبة الله ونعمته ورحمته ببني البشر .

« ب » الملائكة

١ — وجود الملائكة :

الملائكة هم مخلوقات روحية عاقلة متوسطة بين الله والإنسان . وهم مخلوقون منه تعالى منذ ابتداء العالم ، متصفون بالنعمة والفضل والإرادة والعواطف وسائر المواهب اللازمة لهم ليثبتوا فى محبة خالقهم ويصلوا إلى السعادة الأبدية القائمة بالنظر إلى وجهه تعالى .

والملائكة أرواح ، أى جواهر روحية غير هيولية . وهم ليسوا معرضين للزيادة أو النقصان كالبشر ، لأنهم لا ينسلون ولا يموتون ، فهم خالدون .

٢ — وظائف الملائكة :

ووظائف الملائكة هى السجود لله والعبادة لجلاله الأقدس، وحراسة المؤمنين ، وخدمة القديسين، والصلاة على المتضايقين ، وحمل أرواح المتوفين، ومحاربة الشياطين ، وغير ذلك من الواجبات التى وضعها الله على عاتقهم .

٣ — الملائكة الأبرار ، والملائكة الأشرار :

والملائكة نوعان : ملائكة أبرار ، أو مختارون أو مقدسون ، وهم الذين



« الملاك ميخائيل »

ثبتوا فى النعمة . وملائكة أشرار ، وهم الشياطين أو الأبالسة ، وهم طغمة من

الملائكة فعلوا ما استوجب غضب الله عليهم فسقطوا ، وقد طرحهم الله فى جهنم ، وسوف يكون عذابهم فى يوم الدينونة أشد ، حيث يكون للبشر غير التائبين والملائكة الساقطين قصاص متشابه ومكان مشترك .

قال بولس الرسول : « إلبسوا سلاح الله الكامل ، لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس ، فأن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السموات » .

« ج » الانسان

١ — الروح والجسد :

يتكون الإنسان من روح وجسد . قال السيد المسيح: لاتخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها » (مت ١٠ : ٢٨) وقال أيضاً : « أما الروح فنشيط ، وأما الجسد فضعيف » (مت٢٦ : ٤١) وقال وهو على الصليب : « ياأبتاه بين يديك أستودع روحى» (لو ٢٣: ٤٦) .

وقال بولس الرسول : « وإنما اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد » (غل ٥ : ١٦) .

وقال صاحب سفر الجامعة : « فيرجع التراب إلى الأرض كما كان ، وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها » (جا ١٢ : ٧) .

٢ — خلود الروح :

وروح الإنسان خالدة ، إذ لا سبيل إلى فنائها من جهة طبيعتها ولا من جهة خالقها ، لأنها خلقت غير قابلة للفساد من جهة ، ولأن فناءها تخالف لحكمة الله

وعدالته من جهة أخرى ـ وقد قال السيد المسيح : « وأما من جهة قيامة الأموات أما قرأتم ماقيل لكم من قبل الله القائل أنا إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب . ليس الله إله أموات بل إله أحياء » ـ وقال صاحب سفر الجامعة : « فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها » (جا ١٢ : ٧) .

٣ — قيامة الأجساد :

تقوم الأجساد فى يوم القيامة ليحاسب الإنسان على أعماله أثناء حياته فى الدنيا . وعقيدة قيامة الأجساد من أخص العقائد المسيحية لأنها إذا انتفت ينتفى معها الخلاص بالمسيح أيضاً :

١ ـ فقد قال السيد المسيح : « لا تتعجبوا من هذا فأنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة ». (يو ٥ : ٢٨) .

٢ ـ وقال أيضاً : متى جاء ابن الإنسان فى مجده فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء » (مت ٢٥ : ٢٤) .

٣ ـ وقال بولس الرسول : « فأن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام ، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم . . وإن كان لنا فى هذه الحياة فقط رجاء فى المسيح فأننا أشقى جميع الناس » (١ كو ١٥ : ١٣ — ١٥) .

٤ ـ وقال بولس كذلك : « هوذا سر أقوله لكم . لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير فأنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير » .

٦ ـ وجاء فى قانون الإيمان : « ننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى ».

وتكون القيامة بقيام ذلك الجسد الذى سقط بالموت نفسه ، ويكون الرجوع إلى الحياة برجوع ذلك المائت عينه . ولكن الأجساد تموت وتدفن فى الأرض وهى فاسدة ثم تقوم بغير فساد ولا فناء ، وقد سلمت من كل ما أصابها أثناء الحياة ، لأن الله يتمم فى القيامة نقص طبيعتنا وفسادها . وقد قال بولس الرسول : « هكذا قيامة الأموات يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد ، يزرع فى هوان ويقام فى مجد ، يزرع فى ضعف ويقام فى قوة ، يزرع جسماً حيوانيا ويقام جسداً روحياً » (١ كو ١٥ : ٤٢) .

٤ — الدينونة :

إن الدينونة حادثة حقيقية معينة تحدث فى يوم مجهول لدى الجميع قد رسمه الله منذ الأزل وحدده ليقضى فيه منتقماً من الأشرار الظالمين ومنتصراً للأبرار المظلومين .

أما الديان فهو يسوع المسيح الذى قال : « لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الإبن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان » (يو ٥ : ٢٧) ـ وقال أيضاً : « كما أسمع أدين ودينونتى عادلة » (يو ٥ : ٣٠) ـ وقال أيضاً : « إن الآب لا يدين أحداً وإن سلطان الحكم ينسب للابن فقط » .

والذين يقومون فى يوم الدينونة هم كل أفراد الجنس البشرى بلا استثناء . وقد قال السيد المسيح : « فأنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨) وقال أيضاً :

« ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يعمل إرادة أبى الذى فى السموات . . كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ، فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط إذهبوا عنى يافاعلى الإثم » . (مت ٧ : ٢١ ولو ١٣ : ٢٥) .

٥ — الحياة الأبدية والعذاب الأبدى :

يكون جزاء الأبرار فى يوم الدينونة هو الحياة الأبدية وجزاء الأشرار هو العذاب الأبدى ، إذ قال السيد المسيح : « فيمضى هؤلاء — أى الأشرار — إلى عذاب أبدى ، والأبرار الى حياة أبدية » . (مت ٢٥ : ١٦) .

والحياة الأبدية والعذاب الأبدى حالتان أولاهما فى أقرب القرب إلى الله ، والثانية فى أبعد البعـــد عنه . والأولى ثواب البر والثانية عقاب الخطيئة .

ونعيم الأبرار هو اتصالهم بالله ورؤيتهم جلاله ، وتلك هى سعادة الإنسان النهائية التى إليها تتجه كل أشواق قلبه . ومن هذه المشاهدة الإلهيه والمحبة المتسببة عنها يتولد فى قلبه سلام وسكون وسرور وتهلل لا يدركه أو يفهمه إلا أولئك الذين عرفوه بالتجربة . ومن خصائص نعيم الأبرار الذى يحظون به فى الحياة الأبدية أنه ثابت غير متناه ، فهو لايفنى ولايزول ، وهو يفوق كل إدراك البشر فى سعادته وتبرؤه من كل ما ينغص الحياة . إلا أن الجميع لا يكونون فى درجة واحدة من السعادة بل فى درجات متفاوتة حسب الفضل والاستحقاق . وقد قال السيد المسيح : « إن المنازل فى بيت أبى كثيرة » . (يو ١٤ : ٢) .

وأما جحيم الأشرار فهو نار جهنم الحقيقية المستعرة على الدوام ، إذ قال السيد المسيح : « إذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية » (مت ٢٥ : ٤١) . ولكن طبيعة نار جهنم تختلف عن طبيعة نارنا العنصرية فى كونها ليست مفتقرة إلى مادة تغذيها ، ولذلك قيل عنها أنها نار روحية لأنها لا تفتقر لقيامها إلى مادة ، بل أنها تحرق الأنفس والأجسام المعذبة بها دون أن تبيدها أو تفنيها ، كما أنها تشتعل ولا تنطفىء ، وهى تعذب كل واحد من الخطاة حسب خطيئته وبمقدارها .

٦ – الأرواح قبل القيامة :

إن الأرواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها من أجسادها ، بل تأخذ عربوناً فقط من السعادة إذا كانت صالحة ، أو من التعاسة إذا كانت طالحة ، حتى يجىء يوم القيامة فتلبس الأرواح أجسادها التى تنال معها ما تستحقه من ثواب كامل أو عقاب كامل ، لأن عدالة الله لا ترضى أن تسعد النفس أو تشقى قبل أن تتحد بجسدها الذى كان شريكاً لها فى الطيب والخبيث من أعمالها .

فالأرواح الصالحة التى انفصلت بالموت لا تتمتع مباشرة بملكوت السموات ، بل تنعم فى مكان خاص عينه الله للمتوفين من الأتقياء قبل قيامة الأجساد للدينونة . وكذلك الأرواح الشريرة لا تطرح مباشرة فى الجحيم الأبدى ، وإنما تعتقل فى مكان للعذاب حتى يوم الحساب .

وقد أعلن السيد المسيح أن ثواب الأبرار وعقاب الأشرار لا يكون إلا بعد نهاية العالم ، بقوله : « ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف

عن يمينه ، والجداء عن اليسار ، ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يامباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم . . ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته . . فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدى ، والأبرار إلى حياة أبدية » .

« د » الشريعة

١ — الشريعة الطبيعية والشريعة المكتوبة :

كانت الشريعة التي تحكم الإنسان هي الشريعة الطبيعية ، حتى أنزل الله له الشريعة المكتوبة .

والشريعة الطبيعية هي المتعلقة بالواجبات المفروضة على الإنسان من قبل الناموس الطبيعي ، وقد خلقت هذه الشريعة مع الإنسان ، وكانت كافية لإرشاده إلى السبيل القويم . ولكن لما أخذ ظلام الخطيئة يغشى أصول تلك الشريعة ، وأصبحت عاجزة عن إرشاد الإنسان وتهذيبه ، مده الله بالشريعة المكتوبة . وقد أنزل الله هذه الشريعة على موسى النبي في جبل سيناء في السنة الأولى لخروج بني اسرائيل من أرض مصر ، ونقشها على لوحين من الحجر ، يتضمن أحدهما الوصايا الأربع المتعلقة بالله تعالى ، ويتضمن الآخر الوصايا المتعلقة بالإنسان .

أ — فالوصايا المتعلقة بالله تعالى هي : (١) أنا الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامي . (٢) لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت . لا تسجد لهن ولا تعبدهن . (٣) لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا . (٤) أذكر يوم السبت لتقدسه .

ب — والوصايا المتعلقة بالإنسان هي : (١) أكرم أباك وأمك لكي

تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك . (٢) لا تقتل .
(٣) لا تزن . (٤) لا تسرق . (٥) لا تشهد على قريبك شهادة زور .
(٦) لا تشته بيت قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً
مما لقريبك .

وفيما يلى كلمة عن كل من هذه الوصايا العشر :

١ — الوصية الأولى : « أنا الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » — وهى توجب على الإنسان الاعتقاد بوحدانية الله وتحرم عليه الشرك . كما توجب على الإنسان أن يمجد الله بأن يحبه ويسجد له ويصلى إليه ، وألا يعبد غيره من الخلائق أو يعبد الشيطان .

٢ — الوصية الثانية : « لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت . لا تسجد لهن ولا تعبدهن » . أى لا تتخذ لك صورة مما فى السماء كالشمس والقمر والنجوم ، ولا مما فى الأرض كالإنسان والحيوان والزواحف والهوام . أى أن الله ينهانا عن عبادة الأصنام .

٣ — الوصية الثالثة : « لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا » — والله بهذه الوصية ينهانا عن التهاون والاستخفاف باسمه دون مراعاة الرهبة والإحترام ، كما ينهانا عن القسم باسمه على صحة ما هو كاذب .

٤ — الوصية الرابعة : « أذكر يوم السبت لتقدسه » — وقد فرض الله ذلك على الإنسان لكى يخصص وقتاً معيناً من الأسبوع لعبادته عبادة جماعية . وقد استبدل المسيحيون يوم السبت بالأحد لأن فيه قام المسيح من بين الأموات . ويكون تقديس يوم الأحد بترك العمل ، والتوجه إلى الله

بالعبادة وإلى البشر بالمحبة والسلام .

٥ — الوصية الخامسة : « أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك » - ويريد الله منا بهذه الوصية أن نحب والدينا ونطيعهم ونوقرهم متجنبين كل ما من شأنه إيذاؤهم أو الحط من كرامتهم أو الاستخفاف بهم ، حتى لقد قال تعالى : « ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا ، ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا » .

٦ — الوصية السادسة : «لا تقتل » - وهذه الوصية تنهى عن إتلاف الإنسان حياته وحياة غيره من البشر ، كما تنهى عن كل ما يلحق بالإنسان تلفاً كالجرح وبتر العضو وما إليه ، لأن الإنسان لم يحصل على حياته من تلقاء نفسه بل من الله الذى له الحق وحده فى استرجاعها متى أراد ذلك ، ومن ثم كان من أتلف حياته أو أضر بها قد تعدى على حقوق الله .

٧ — الوصية السابعة : « لا تزن » - وهذه الوصية تنهى عن الزنى وما فى حكمه . وقد اعتبر السيد المسيح مجرد الأفكار الدنسة فى حكم الزنا .

٨ — الوصية الثامنة : « لا تسرق » - وهذه الوصية تنهى عن سلب مال الغير بغير رضاه سراً أو علانية ، وتنهى عما فى حكم ذلك من غش فى البيع وعدم وفاء الدين وما إلى ذلك .

٩ — الوصية التاسعة : « لا تشهد على قريبك شهادة زور » - وهذه الوصية تنهى صراحة عن شهادة الزور ، وتنهى ضمناً عن الكذب والوشاية والنميمة والغيبة والتشهير واليمين الحانثة .

١٠ — الوصية العاشرة : « لا تشته بيت قريبك ولا امرأته ولا ثوره

ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك » ـ وهذه الوصية تنهى عن اشتهاء مال القريب ، وهى تتضمن الوصيتين السابعة والثامنة ، وزادت عليهما تحريم الفكر الردىء .

٢ — العهد الجديد :

وحين جاء السيد المسيح ، أكمل الشريعة المكتوبة ، بتعاليمه الإلهية ، فصارت هى الشريعة الجديدة فى العهد الجديد ، وصارت هى الدعامة التى تقوم عليها الكنيسة فى كل العصور .

« ٥ » الكنيسة

١ ـ مدلول الكنيسة :

الكنيسة فى الأصل هى جماعة من المؤمنين اعتادوا الإجتماع فى مكان واحد للعبادة ، كما أطلق اسمها على مكان الإجتماع ، وعلى الكهنة أيضاً .

وتدعى الكنيسة ، بالكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية :

١ — فهى واحدة لأن كل المؤمنين الذين تكونت منهم بمثابة جسد واحد .

٢ — وهى مقدسة لأن المسيح قدس الجماعة الذين تتكون منهم .

٣ — وهى جامعة أى عمومية بالنسبة إلى الزمان والمكان والأمم .

٤ — وهى رسولية أى تأسست بكرازة الرسل .

٢ ـ طقوس الكنيسة :

الطقوس فى إصطلاح الكنيسة هى مجموع الصلوات والابتهالات التى تتم فى

الاحتفالات الكنسية ، ويتلوها الكاهن ومساعدوه فى أداء الاسرار المقدسة وغيرها بترتيب خاص موضوع .

وقد وجدت الطقوس فى الكنيسة منذ عهد الرسل ، ومنها :

١ — واجب السجود أمام الهيكل بمجرد دخول الكنيسة .

٢ — واجب أداء الصلوات السبع التى فرضتها الكنيسة على أبنائها يومياً : وهى صلاة باكر ، وصلاة الساعة الثالثة ، ثم السادسة ، ثم التاسعة ، ثم الحادية عشرة ، ثم الثانية عشرة ، ثم صلاة نصف الليل .

٣ — رفع البخور بعد صلاة باكر ، وما يتلوه الكاهن خلاله من صلوات متنوعة .

٤ — تقدمة الحمل ، وتكون بتقديم طبق الحمل إلى الكاهن وعليه ثلاث قربانات خالية من العيوب ، فيختار منها واحدة ويمسحها بقليل من الماء — رمزاً للعماد — ثم يلفها فى لفافة نقية ، ويرفعها فوق رأسه ويدور حول المذبح دورة واحدة ، ثم يضعها فى الصينية على المذبح ، ويضع الخمر فى الكأس ممزوجاً بقليل من الماء ، ثم يتلو صلاة الشكر ويغطى الجميع بستر كبير — رمزاً إلى دفن المسيح — ثم ينحدر من الهيكل ساجداً . . وهكذا إلى أن تتم خدمة القداس .

٥ — وتأمر الكنيسة بتقديم الذبيحة المقدسة يومياً على مدار السنة ماعدا الثلاثة الأيام الأولى من أسبوع الآلام .

٣ — أسرار الكنيسة :

إن أسرار الكنيسة من أهم عقائد الإيمان ومبادىء الشريعة الجديدة وأركان العهد الجديد .

والسر هو عمل مقدس به ينال المؤمن نعمة غير منظورة تحت مادة منظورة .

وأسرار الكنيسة سبعة وهى :

١ - سر المعمودية :

المعمودية هى سر مقدس به نولد ميلاداً ثانياً بالماء والكلمة . وقد قال بطرس الرسول : « وليعتمد كل منكم على اسم يسوع المسيح فتقبلوا عطية الروح القدس » . (أ ع ٢ : ٣٧) - وقد ارتسم سر المعمودية فى وقت عماد السيد المسيح .

والعماد يكون بالماء ، إذ قال السيد المسيح : « إن كان لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » . (يو ٣ : ٥) .

ويتم العماد بتغطيس المتعمد ثلاث دفعات فى الماء باسم الثالوث الأقدس الاب والإبن والروح القدس ، إذ قال السيد المسيح : « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) . ويماثل العماد بهذه الصورة موت السيد المسيح وقيامته ، لأن الإنسان بعماده يموت من الخطيئة ويقوم بحياة البر الجديدة .

ولا يجوز العماد بالرش - أى بالاكتفاء برش المعتمد بالماء دون تغطيسه فيه - إلا فى أحوال استثنائية ، كالمرض الشديد والإشراف على الموت .

والعماد يمنح نعمة الميلاد الثانى ، أى الميلاد الروحى ، كما أنه يمنح نعمة التقديس والتبرير وغفران الخطايا الجدية ، أى الموروثة عن جدنا آدم ، والخطايا الفعلية ، أى التى ارتكبها الشخص ذاته قبل العماد . وهو يمنح نعمة التبنى لله ، والوراثة فى السماء ، والوحدة فى كنيسة المسيح التى لا تتجزأ .

ولا يصح إجراء العماد إلا بواسطة الكاهن وحده ، لأن المسيح منح حق العماد للرسل ، وهؤلاء منحوه للكهنة .

٢ — سر المسح أو الميرون المقدس :

سر المسحة أو الميرون المقدس هو سر ينال به المعتمد ختم موهبة الروح القدس و الثبات في الإيمان ، وبدونه تكون المعمودية ناقصة ، وغير قانونية لأنه كما أن السيد المسيح حل عليه الروح القدس شبه حمامة على أثر عماده في نهر الأردن ، هكذا يجب مسح المعتمد بالميرون ، وهو الزيت المقدس على أثر خروجه من المعمودية ، لأن الميرون هو عوض عن الحمامة التي حلت على السيد بعد عماده .

وقد تسلمت الكنيسة صنع الميرون المقدس من الرسل . وذلك أن الرسل حفظوا ما كان من الحنوط على جسد السيد المسيح حين دفنه مع الحنوط الذي أحضرته النسوة ، ثم أذابوه في زيت الزيتون ، وقدسوه في علية صهيون ، وجعلوا منه دهناً مقدساً خاتماً المعمودية ، ووزعوه في كل الجهات ، وصاروا يدهنون به المؤمنين المعتمدين . وحين أتى القديس مرقس الرسول إلى مصر كان معه جزء منه ، فاستعمله لذلك الغرض وتسلمه خلفاؤه من بعده إلى عهد أثناسيوس الرسولي ، وقد أضاف هذا إلى الجزء الباقي منه الأفاويه العطرية التي أمر الله موسى بصنعها كما ورد في التوراة ، وبعد أن طبخ الميرون هو والأساقفة والكهنة بعث منه إلى البلاد المسيحية . وقد استن سنته البطاركة من بعده حتى لا تنفد هذه الذخيرة المقدسة . وقد تم تجهيز الميرون المقدس من عهد الرسل إلى اليوم خمساً وعشرين مرة .

ومن العقاقير العطرية التي يصنع منها الميرون : القرفة والسوسن والصندل والقرنفل والزعفران والعود الهندي والبلسان وغير ذلك . ويتولى الكهنة

دقها ثم طبخها ، ثم يضيفون إليها الخميرة المقدسة التى يمتد تاريخها إلى الدهن الذى صنعه الرسل .

وتقديس الميرون قاصر على رؤساء الكهنة ، أما ممارسته فمن حق الكهنة جميعاً .

٣ ـ سر الأفخارستيا أو القربان المقدس :

سر الأفخارستيا هو سر جسد ربنا يسوع المسيح ودمه تحت عوارض الخبز والخمر ، وهو يتم إحياءاً لذكرى ذبيحة الصلب ، ويعطى لنيل النفوس والأجساد الحياة الروحية ، أى حياة النعمة فى هذا العالم ، وحياة المجد فى العالم الآتى .

ومادة سر الأفخارستيا هى الخبز والخمر كما رسم السيد المسيح ، إذ أنه فى العشاء الأخير أخذ خبزاً وبارك وأعطى التلاميذ وقال : « خذوا كلوا هذا هو جسدى »، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا : « إشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (مت ٢٦ : ٢٦) .

وقال : « إنه هو خبز الحياة . آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٢٨ ـ ٥١) .

وقال : « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية

وأنا أقيمه في اليوم الأخير لأن جسدي مأكل حق ودمى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه . هذا هو الخبز الذى نزل من السماء . ليس كما أكل آباؤكم المن فى البرية وماتوا . من يأكل هذا الخبز فانه يحيا إلى الأبد » (يو ٦ : ٥٣ — ٥٩) .

وتعتقد الكنيسة أن سر القربان المقدس يحتوى حقيقة بحالة ذاتية وجوهرية على جسد ودم ونفس ولاهوت السيد المسيح ، أى أن الخبز والخمر يستحيلان وينتقلان بكلمات التقديس إلى جسد المسيح ودمه لا على وجه الرمز أو الإشارة ، ولا بحسب حلول اللاهوت فى مادتى الخبز والخمر ، وإنما باعتبار أن الخبز والخمر يصيران حقيقة وفعلا وبحسب جوهرهما جسد الرب ودمه ذاته ، بحيث لا يبقى من الخبز والخمر الأصليين شىء إلا الظواهر الخارجية وحدها .

فعندما يتلو الكاهن أثناء خدمة القداس قول السيد له المجد : « خذوا كلوا هذا هو جسدى ، وهذا هو دمى الذى للعهد الجديد ، الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » ثم يتلو صلاة استدعاء الروح القدس يتحول الخبز والخمر الموضوعان على المذبح إلى جسد المسيح ودمه الطاهرين .

ويرجع ترتيب القداس إلى الرسل ، إذ كان يعقوب الرسول هو أول من وضع قداساً وسلمه لكنائس أورشليم . ثم وضعت بعد ذلك ثلاثة قداسات هى قداسات مرقس وباسيليوس وغريغوريوس .

٤ — سر التوبة أو الاعتراف :

لما كان الإنسان الأول بعد تطهيره من الخطيئة بماء المعمودية لا يعتق مطلقاً من نتائج الخطيئة الجدية والفساد الإرثى الذى هو الميل الطبيعى إلى الشر ، بل قد يجنح إلى الخطيئة تارة باختياره وطوراً بالرغم منه ، لذلك

أقيم سر التوبة ليكون بمثابة الدواء الشافى من الخطايا المقترفة بعد اقتبال سر المعمودية .

وهذا السر هو اعتراف الإنسان للكاهن بخطاياه وذنوبه وجرائره ومعاصيه .

وقد أسس السيد المسيح هذا السر أثر قيامته من بين الأموات ، حيث نفخ فى أوجه تلاميذه قائلا : «إقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٨) ، وقوله أيضاً لتلاميذه : « كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء » (مت ١٨ : ١٨) .

ومن أهم ثمار سر الإعتراف الحصول على غفران الخطايا وسلام النفس ، إذ قال يعقوب الرسول : « صلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه ، وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له . إعترفوا بعضكم لبعض بالزلات » (يع ٥ : ١٥) . وقال يوحنا البشير : « إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم » (١ يو ١ : ٦) .

٥ – سر مسحة المرضى :

مسحة المرضى سر يمسح الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدس ، ويستمد له الشفاء من الله روحياً وجسدياً . وقد قال مرقس الإنجيلى أن الرسل « دهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم » (مر ٦ : ١٣) . وقال يعقوب الرسول : « أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له » . (يع ٥ : ١٤) .

٦ — سر الزواج :

لما كان الإنسان طوع أمر الطبيعة فى إشباع رغبته الجنسية كسائر الكائنات الحية ، فقد وضع الله ناموساً يتم بموجبه عقد زواج شرعى بين الرجل والمرأة ليكون وسيلة لتنكب طرق الفساد . وقد جعل السيد المسيح الزواج ـ فوق كونه ناموساً طبيعياً ـ سراً من أسرار الكنيسة ، إذ قال : « فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » (مت ١٩ : ٦) .

والزواج سر تمنح بمقتضاه النعمة الإلهية بواسطة صلاة الكاهن على الزوجين اللذين ارتبطا علناً أمام الكنيسة بوعد كل منهما للآخر أن يحفظ الأمانة ويصون العهد .

ولا يصح الطلاق لدى المسيحيين إلا لعلة الزنا ، إذ سأل جماعة من الفريسيين يسوع قائلين : « هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب » فأجابهم قائلا : « أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنان جسداً واحداً إذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » (مت ١٩ : ٣ — ١٠) . وقال أيضاً : « وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم أن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ومن تزوج مطلقة فأنه يزنى » (مت ٥ : ٣١ — ٣٢) .

ويتم الزواج بواسطة الله نفسه ، إذ قال يسوع : « فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » . ولما كان الكاهن هو وكيل الله ، فيجب أن يتم على يديه، ويجب أن يتم الزواج فى الكنيسة ، لأنه سر من أسرار الكنيسة .

٧ — سر الكهنوت :

سر الكهنوت هو عمل مقدس به يضع الأسقف يده على رأس الشخص

المنتخب ويطلب من أجله فينال النعمة الإلهية التى ترفعه إلى إحدى درجات الكهنوت .

وقد وضع السيد المسيح أساس الكهنوت ، إذ اختار الإثنى عشر رسولا ثم السبعين الآخرين ، وأعطاهم سلطات الكهنوت ومنها التعميد وتقديس القربان وغفران الخطايا . وقد انتقلت هذه المواهب من الرسل إلى خلفائهم . وقد قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس : « لا تهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدى المشيخة » (١ تى ٤ : ١٤) — وقال لتيطس أسقف كريت : « من أجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل الأمور الناقصة وتقيم فى كل مدينة قسوساً كما أوصيتك » (تى ١ : ٥) وقال لأسقف أفسس: «وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً » (٢ تى ٢ : ٢) .

ودرجات الكهنوت ثلاثة وهى الأسقفية والقسوسية والشماسية : —

١ — فى الأسقفية قال بولس الرسول: « يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله » (تى ١ : ٧) .

٢ — وعن القسوسية قال صاحب أعمال الرسل: « وانتخبا لهم قسوساً فى كل كنيسة ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب الذى كانوا قد آمنوا به » (١ ع ١٤ : ٢٣) .

٣ — وعن الشماسية قال بولس الرسول : « يجب أن يكون الشمامسة ذوى وقار لا ذوى لسانين غير مولعين بالخمر ولا طامعين بالربح القبيح » (١ تى ٣ : ٨) .

وتتم رسامة الكاهن بوضع اليد والصلاة ، وسر الكهنوت من خصائص الأسقف وحده ، لأنه هو الذى له حق وضع اليد .

٤ — تقاليد الكنيسة :

للكنيسة القبطية تقاليد درجت على اتباعها والمحافظة عليها منذ نشأتها الأولى ، ومن أهم هذه التقاليد الصوم والاحتفال بالأعياد المقدسة :

١ — الصوم :

والصوم هو امتناع الإنسان عن الطعام وقتاً معيناً من النهار ثم اقتصاره بعد ذلك على مأكولات خالية من الدسم ، إضعافاً للشهوات ، وتقوية للعواطف الروحية ، وتمكيناً للإنسان من التذرع بوسائل النجاة من تجارب الحياة وضيقاتها .

وتفرض الكنيسة القبطية أيام الصوم التالية :

١ ـ الصوم المقدس وعدد أيامه خمسة وخمسون يوماً ، هى عبارة عن الأربعين يوماً التى صامها السيد المسيح ، مضافاً إليها أسبوعى الاستعداد والآلام ، ويمتنع فى هذا الصوم عن أكل كل حيوان أو ما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ، ويقتصر على أكل البقول .

٢ ـ صوم الميلاد ، وعدد أيامه ثلاثة وأربعون يوماً تنتهى بعيد الميلاد .

٣ ـ صوم الرسل ، وعدد أيامه يزيد وينقص حسب التقاليد المتفق عليها فى المجامع المسكونية لضبط عيد الفصح ، وتتراوح مدته بين خمسة عشر يوماً وتسعة وأربعين يوماً . ويبدأ دائماً بيوم الإثنين الذى يلى عيد العنصرة .

٤ ـ صوم السيدة العذراء مريم ، ومدته خمسة عشر يوماً ويبدأ بأول شهر مسرى .

٥ ـ صوم أهل نينوى ، ومدته ثلاثة أيام ، ويبدأ عادة بيوم الإثنين وينتهي بيوم الأربعاء .

٦ ـ صوم يومى الأربعاء والجمعة على مدار السنة ما عدا أيام الخمسين وعيدى الميلاد والظهور إذا اتفقا فيهما . وعلة الصوم فى هذين اليومين أن أحدهما تذكار المؤامرة على السيد المسيح والآخر تذكار صلبه .

٧ ـ صوم البرامون ومعناه الاستعداد ويقع قبل عيدى الميلاد والظهور وتتراوح مدته بين يوم واحد وثلاثة أيام .

ب — الأعياد :

رتبت الكنيسة القبطية أعياداً تحتفل بها إكراماً للسيد المسيح أو للقديسين والشهداء . وهذه الأعياد هى :

ا ـ الأعياد السيدية السبعة الكبيرة ـ وقد سميت سيدية نسبة إلى السيد المسيح ـ وهى :

١ — عيد البشارة فى ٢٩ برمهات .

٢ — عيد الميلاد فى ٢٨ أو ٢٩ كيهك .

٣ — عيد الظهور ويعرف بعيد الغطاس فى ١١ طوبة .

٤ — عيد الشعانين فى الأحد السابع من الصوم المقدس .

٥ — عيد القيامة المجيد فى الأحد الثامن من الصوم المقدس .

٦ — عيد الصعود بعد عيد القيامة بأربعين يوماً .

٧ — عيد الخمسين ويقع بعد عيد القيامة بخمسين يوما .

ب ـ الأعياد السيدية السبعة الصغيرة وهى :

١ — عيد الختان فى ٦ طوبة .

٢ — عيد عرس قانا الجليل فى ١٣ طوبة .

٣ — عيد دخول الهيكل فى ٨ أمشير .

٤ — عيد خميس العهد قبل عيد الفصح بيومين .

٥ — عيد أحد توما فى الأحد التالى ليوم القيامة .

٦ — عيد دخول المسيح أرض مصر فى ٢٤ بشنس .

٧ — عيد التجلى فى ١٣ مسرى .

حـ — أعياد القديسين والشهداء : كالقديسة مريم والرسل والملائكة والقديس جاورجيوس والسيدة دميانة .

٥ — أوجه الخلاف بين الكنيسة القبطية والكنائس الأخرى :

توجد بعض أوجه الخلاف العقائدية أو المتعلقة بالطقوس بين الكنائس المسيحية ، نتيجة للاختلاف فى وجهات النظر والتباين فى فهم أسرار الدين المسيحى . ونورد فيما يلى بعض أوجه الخلاف بين الكنيسة القبطية ، وغيرها من الكنائس المسيحية :

ا — أوجه الخلاف بين الكنيسة القبطية والكنائس البروتستانتية :

١ — تعتقد الكنيسة القبطية أن للسيد المسيح بعد التجسد طبيعة واحدة متحدة . أما الكنائس البروتستانتية فتعتقد أن للمسيح طبيعتان بعد الاتحاد إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية .

٢ — تعتقد الكنيسة القبطية أن الروح القدس منبثق من الآب . أما الكنائس البروتستانتية فتعتقد أنه منبثق من الآب والإبن .

٣ — تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس غير البروتستانتية

بوجود نظام الكهنة ووجوب إقامة المذبح والبخور والهيكل والحجاب وسائر الطقوس المتعلقة بذلك . أما الكنيسة البروتستانتية فتعتقد أنه لا كهنة ولا مذبح ولا بخور ولا هيكل ولا حجاب فى نظام العهد الجديد .

٤ — تعتقد الكنيسة القبطية أن الإيمان والأعمال معاً ضروريان للخلاص لكونهما علة التبرير . أما الكنائس البروتستانتية فتعتقد أن الأعمال غير ضرورية للخلاص لأنها ليست علة التبرير كالإيمان بل هى ثمرة الإيمان ونتيجة التبرير .

٥ — تحافظ الكنيسة القبطية على التقليد وهو النظام الذى تلقته الكنيسة عن الرسل وآباء الكنيسة الأوائل ولم يدون فى الكتب . أما الكنائس البروتستانتية فلا تتقيد إلا بالكتاب المقدس وحده .

٦ — تعتقد الكنيسة القبطية فى قدسية أسرار الكنيسة السبعة . أما الكنائس البروتستانتية فتخالفها فى ذلك .

٧ — تتمسك الكنيسة القبطية بفريضة الصوم . أما الكنائس البروتستانتية فتنكر هذه الفريضة .

٨ — رتبت الكنيسة القبطية أعياداً خاصة تقيمها إكراماً للسيد المسيح أو للشهداء والقديسين . أما الكنائس البروتستانتية فترفض الاحتفال بهذه الأعياد .

٩ — تعتقد الكنيسة القبطية أن للشهداء والقديسين مقاماً رفيعاً أمام الله ، ولذلك تطلب احتياجاتها من الله بواسطتهم ، أى أنها تستشفع بهم . أما الكنائس البروتسياتنية فتنكر ذلك وتحرمه .

١٠ — تتخذ الكنيسة القبطية صور القديسين للتذكرة والعبرة . أما الكنائس البروتستانتية فتنكر ذلك وتعتبر الصور محرمة .

١١ — تعتقد الكنيسة القبطية بوجوب الصلاة على أنفس المنتقلين الصالحين وطلب الرحمة لها. أما الكنائس البروتستانتية فلا تعتقد بذلك.

١٢ — تعتقد الكنيسة القبطية بصحة نظام الرهبنة، معتبرة إياه موافقاً للكمال الروحي. أما الكنائس البروتستانتية فتستنكره.

١٣ — تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الرسولية أن السيد المسيح بعد موته ذهبت نفسه الطاهرة وهي متحدة باللاهوت إلى الجحيم وأخرجت نفس آدم وحواء وجميع الأنفس المسجونة بطائلة الخطيئة الأصلية وماتوا على الرجاء، وأصعدتهم إلى الفردوس. أما الكنائس البروتستانتية، فترفض هذه العقيدة.

١٤ — تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الرسولية بقانونية الأسفار المحذوفة وهي أسفار طوبيا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ والمكابيين الأول والمكابيين الثاني وبروخ وبعض قطع من سفري إستير ودانيال. أما الكنائس البروتستانتية فتعتبرها غير قانونية.

١٥ — تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الرسولية أن درجات الكهنوت ثلاث، وهي الأسقفية والقسوسية والشماسية. أما الكنائس البروتستانتية فلا تعترف إلا بدرجتين هما القسوسية والشماسية، وتعتبر أن الأسقفية هي القسوسية ذاتها.

ب — أوجه الخلاف بين الكنيسة القبطية والكنيسة الكاثوليكية :

١ — تعتقد الكنيسة القبطية أن للسيد المسيح بعد التجسد طبيعة واحدة متحدة. أما الكنيسة الكاثوليكية فتعتقد أن للمسيح طبيعتان بعد الاتحاد، إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية.

٢ — تعتقد الكنيسة القبطية أن الروح القدس منبثق من الآب . أما الكنيسة الكاثوليكية فتعتقد أنه منبثق من الآب والإبن .

٣ — تعتقد الكنيسة القبطية أنه لايوجد بعد الموت سوى النعيم للأبرار والجحيم للأشرار . أما الكنيسة الكاثوليكية فتعتقد أن هناك مكاناً ثالثاً يسمى المطهر تعتقل فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة ، وتظل تعذب فى ناره عذاباً أليماً حتى تفى ما بقى عليها من الدين للعدل الإلهى ، وعندئذ يسمح لها بدخول الملكوت .

٤ — تعتقد الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الأخرى أن مغفرة الخطايا لايمكن أن تتم بدون توبة وانسحاق قلب . أما الكنيسة الكاثوليكية فتعتقد أن مغفرة الخطايا يمكن أن توهب بلاتوبة على أساس أن للكنيسة الحق فى أن تعطى ما تشاء من الغفرانات التى تتناولها من ذخيرة استحقاق المسيح والقديسين . ولذلك راحت تبيع صكوك الغفران . بل أنها ذهبت إلى أن الغفران فى هذه الحالة ليس قاصراً على الأحياء ، وإنما ينسحب كذلك على النفوس القائمة بعد الموت فى المطهر .

٥ — تعتقد الكنيسة القبطية أن الرسل متساوون جميعاً فى الفضل فلا رئاسة لواحد منهم على الآخرين . أما الكنيسة الكاثوليكية فتعتقد أن السيد المسيح قد أقام بطرس نائباً على الأرض ورئيساً على الرسل ورأساً للكنيسة . وقد رتبت على ذلك أنه لما كان بابا روما هو خليفة بطرس ، فهو إذن رأس الكنيسة من بعده ، وهو نائب المسيح على الأرض ، ومن ثم فهو معصوم من الخطأ .

٦ — درجت الكنيسة القبطية ومعها سائر الكنائس الرسولية على إتمام سر المعمودية بالتغطيس . أما الكنيسة الكاثوليكية فقد عمدت منذ القرن الثالث إلى إتمام هذا السر بطريق الرش .

٧ — درجت الكنيسة القبطية على أن يتم مسح المتعمد بالميرون المقدس بمجرد خروجه من المعمودية سواء أكان راشداً أم قاصراً . أما الكنيسة الكاثوليكية فترجىء ذلك بالنسبة للقاصر حتى يبلغ سن الرشد .

٨ — درجت الكنيسة القبطية على أن تستعمل فى إتمام سر التناول الخبز المختمر ، وأن تناول الخبز والخمر للجميع . أما الكنيسة الكاثوليكية فقد استبدلت الخبز المخمر بالفطير ، كما أنها منعت عامة الشعب من تناول الدم الكريم .

٩ — أوجبت الكنيسة القبطية زواج القسوس والشمامسة مرة واحدة فقط قبل وضع الأيدى عليهم . أما الكنيسة الكاثوليكية فقد حرمت الزواج على جميع رجال الكنيسة .

١٠ — سمحت الكنيسة القبطية بوضع الأيقونات والصور فى الكنائس ولم تسمح بعمل أيقونات بارزة أو منحوتة على شكل تماثيل حتى تبتعد عن مظاهر الوثنية . أما الكنيسه الكاثوليكية فتتخذ التماثيل فضلا عن الصور .

١١ — تحرم الكنيسة القبطية الطلاق إلا فى حالة الزنا . أما الكنيسة الكاثوليكية فتحرمه فى جميع الأحوال .

١٢ — تستوجب الكنيسة القبطية استدعاء الكاهن ليمسح المؤمنين بالزيت المقدس كلما أصابهم مرض . أما الكنيسة الكاثوليكية فلا تمسح بهذا الزيت إلا المشرفين على الموت .

(تم الجزء الاول)



الاستاذ زكى شنودة

مراجع الكتاب

١ ـ الكتاب المقدس .
٢ ـ السنكسار القبطى .
٣ ـ بستان الرهبان .
٤ ـ تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع .
٥ ـ تاريخ الأمة القبطية ـ تأليف لجنة التاريخ القبطى .
٦ ـ خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ـ تأليف كامل صالح نخلة .
٧ ـ تاريخ الكنيسة القبطية ـ تأليف الشماس منسى القمص .
٨ ـ جدول تاريخ البطاركة ـ تأليف كامل صالح نخلة .
٩ ـ مختصر تاريخ الأمة القبطية ـ تأليف سليم سليمان .
١٠ ـ الأقباط أبناء الفراعنة ـ تأليف الأستاذ كامل ميخائيل عبد السيد .
١١ ـ موجز تاريخ القبط ـ تأليف وليم ورل ترجمة الدكتور مراد كامل .
١٢ ـ موجز تاريخ المسيحية ـ تأليف القمص أنطونيوس البرموسى .
١٣ ـ تاريخ الأمة القبطية وكنيستها ـ للسيدة بوتشر .
١٤ ـ تاريخ مصر ـ تأليف جورجى زيدان .
١٥ ـ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ـ لأحمد بن على المقريزى .
١٦ ـ تاريخ مصر القديمة ـ تأليف سليم حسن .
١٧ ـ تاريخ مصر من أقدم العصور ـ ابرستيد ترجمة حسن كمال .
١٨ ـ ديانة قدماء المصريين ـ لأستيندورف ترجمة سليم حسن .
١٩ ـ صور من تاريخ القبط ـ لجمعية مار مينا .
٢٠ ـ خلاصة تاريخ الكنيسة للعلامة بوموند .

٢١ ـ صفحة من تاريخ القبط ـ لجمعية مار مينا .

٢٢ ـ الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ـ للأب أيسيذورس .

٢٣ ـ حسن السلوك فى تاريخ البطاركة والملوك ـ للأب أيسيذورس .

٢٤ ـ تحفة السائلين فى ذكر أديرة رهبان المصريين ـ تأليف القمص عبد المسيح صليب المسعودى البراموسى .

٢٥ ـ وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة ـ للأمير السابق عمر طوسون .

٢٦ ـ تاريخ الأديرة البحرية ـ للأمير السابق عمر طوسون .

٢٧ ـ رحلة إلى الأديرة ـ تأليف إدوارد سرجيوس .

٢٨ ـ ماذا فى الأديرة ـ تأليف ألفى بديع سكلا .

٢٩ ـ كوكب البرية الأنبا أنطونيوس ـ للقمص كيرلس الأنطونى .

٣٠ ـ حياة الأنبا أنطونيوس ـ لجمعية أصدقاء الكتاب المقدس .

٣١ ـ تاريخ الأنبا يوحنس القصير ـ للقمص ميصائيل بحر .

٣٢ ـ الراهب إيلارى أو القديسة إيلارية ـ تأليف القمص أرسانيوس حبشى شتا .

٣٣ ـ تاريخ أنبا برسوم العريان ـ لمكتبة المحبة .

٣٤ ـ أبو مقار الكبير ـ لأسرة القديس مقاريوس .

٣٥ ـ الأنبا بيشوى ـ لأبناء القديس أبو مقار .

٣٦ ـ حياة الأنبا أنطونيوس ـ تعريب القس مرقس داود .

٣٧ ـ الإثنا عشر تلميذاً ـ تأليف حبيب سعيد .

٣٨ ـ حياة يسوع ـ للقس أنسى عبد الملك .

٣٩ ـ تاريخ مار مرقس ـ تأليف كامل صالح نخلة .

٤٠ ـ تاريخ أنبا بطرس ـ تأليف كامل صالح نخلة .

٤١ ـ جامعة الإسكندرية ـ تأليف الدكتور ابراهيم جمعه .

٤٢ ـ ديسقورس ـ تأليف القمص أرمانيوس حبشى .

٤٣ ـ تاريخ الإنشقاق ـ للأرشمنديت جراسيموس .

٤٤ ـ تاريخ الهرطقات ـ تأليف ألفونسيوس ليكورين .

٤٥ ـ تاريخ المجامع ـ لساويرس بن المقفع .

٤٦ ـ عصر المجامع ـ تأليف القمص كيرلس الأنطونى .

٤٧ ـ تاريخ أثناسيوس الرسولى ـ تأليف كامل صالح نخلة .

٤٨ ـ إحياء الكنيسة القبطية ـ تأليف فريد كامل .

٤٩ ـ مار جرجس أمير الشهداء ـ للشماس فارس سعد .

٥٠ ـ تاريخ مار جرجس وعجائبه ـ للقمص سمعان جورجيوس .

٥١ ـ مار جرجس الإسكندرى ـ تأليف أثناسيوس بولس .

٥٢ ـ تاريخ مار جرجس ـ تأليف ميلاد واصف .

٥٣ ـ سيرة الشهيدة دميانة ـ لمكتبة المحبة .

٥٤ ـ مار مينا العجايبى ـ للقمص يوحنا السبكى الأنطونى .

٥٥ ـ سفر الشهيدة دميانة ـ تأليف جرجس فيلوثاوس .

٥٦ ـ الشهيد العظيم مار مينا ـ تأليف جرجس فيلوثاوس .

٥٧ ـ خلاصة الأحوال الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية ـ تأليف حبيب جرجس .

٥٨ ـ علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكية ـ تأليف الإيغومانوس ميخائيل مينا .

٥٩ ـ المبادىء المسيحية الأرثوذكسية ـ تأليف حبيب جرجس .

٦٠ ـ حقيقة عقيدة التثليث ـ تأليف القس لبيب ميخائيل .

٦١ ـ شرح التوحيد والتثليث ـ تأليف صادق الياس .

٦٢ ـ مجلدات مجلة الكرمة ـ للمرحوم حبيب جرجس .

٦٣ ـ الكنز الثمين فى أخبار القديسين ـ للبطريرك مكسيموس مظلوم .

٦٤ – مروج الأخبار فى تراجم الأبرار للآباء اليسوعيين .

٦٥ – تاريخ الكنيسة المسيحية – لموسهيم .

٦٦ – تاريخ مصر القديم والحديث – لميخائيل شاروبيم .

٦٧ – تعاليم الرسل – لحافظ داوود .

٦٨ – المجموع الصفوى – لابن العسال .

٦٩ – اللآلىء النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة – للقمص يوحنا سلامه .

٧٠ – الأثر الذهبى – لعطية وهبه .

٧١ – الرابطة بين سكان مصر الحاليين وسكانها القدماء لماسبيرو .

٧٢ – اللغة القبطية – لجرجس فيلوثاوس .

٧٣ – فى صحراء العرب والأديرة الشرقية – للبيب حبشى وزكى تاوضروس .

٧٤ – القبط – لجرجس فيلوثاوس .

٧٥ – مجموعة مجلة عين شمس – للمرحوم أقلاديوس بك لبيب .

٧٦ – مجموعة المجلة القبطية – لجرجس فيلوثاوس .

٧٧ – مجموعة مجلة التوفيق – لجمعية التوفيق القبطية .

78 - Christian Egypt, by M. Fowler.

79 - The Ancient Coptic Churches of Egypt, by A. Butler.

80 - Modern Sons of the Pharaohs, by G. H. Leader.

81 - The History of Egypt, by S. Sharpe.

82 - History of Egypt, by I. Lane Pool.

83 - The Nile, by Wallis Budge.

84 - The History of Egypt under Roman Rule, by Miline.

85 - Histoire de l'Eglise d'Alexandrie, Par Vansleb.

86 - L'art Copte, Par Gayet.

87 - Geographie de l'Egybte à l'époque Copte, Par E. Amelineau

صفحة

صفحة

88 - Les Grandes Villes d'Egypte à l'Epoque Copte, par Daressy.

89 - L'Egyte Romaine , Par W-Hohlwein

90 - Coptes et Romans de L'Egypte Chretienne.

91 - Chronologie des temps Chretiens, par Chaine.

92 - Resumé Chronologique de L'Histoire deL'Egypte, par Arthur Rhone.

93 - Histoire de L'Ecole d'Alexandrie.

94 - Hisoire de L'Egypte , par Champollion Figeac.

95 - Geographie Ancienne de La Basse Egypte, par Vicomte jaque de Rougé.

تصحيح الاخطاء المطبعية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٥	إحتوتة	إحتوته
١٤	٨	بالمفية	بالمنفية
١٥	١٠	اللعـة	اللغـة
١٥	١٥	بـاد	بـادر
١٧	٧	كل القبط	القبط كل
٢٥	١٢	الميث	الميت
٢٩	٢٣	الألهـة	الآلهـة
٣٢	٤	ما فئت	ما فتئت
٤٤	٧	توحـد	توجد
٥٥	٢	يدهب	يذهب
٦٢	٧	يستهرئون	يستهزئون
٦٨	٥	كفته	كتفه
٧٥	٩	أبشروا	بشروا
٧٦	٢٠	يتراس	بتراس
٧٧	٥	إفامة	إقامة
١٠٧	٦	أحشائهم	أحشاءهم
١٠٨	٢٢	نزهق	تزهق
١٢٤	١٤	حنكه	حنكة
١٢٥	٤	رأى مقتضيات	رأى من مقتضيات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٨	٢	وهراطقته	وهرطقته
١٣٠	١١	وكان وقد	وكان قد
١٣١	١٥	لا نقع	لا تقع
١٣٤	١٤	المؤوخ	المؤرخ
١٣٥	١١	فوة	قوة
١٥٣	١٢	نيفية	نيقية
١٧٣	٢٠	مكدونبوس	مكدونيوس
١٧٧	٢٢	الدقاع	الدفاع
١٧٧	٢٣	الأرتوذكية	الأرثوذكسية
١٨٠	٦	إليه من فى	إليه فى
١٨٣	٤	حكمها	حكمهما
١٨٤	١٥	يمحوا	يمحوا
١٨٦	١	الأمثناس	الأمثناس
١٨٦	٢	الضارية	الضارية
١٨٩	٢١	هذة القديس	هذا القديس
١٩٦	١٧	الشهدة	الشهادة
١٩٧	٨	فاتبهم	فأتيهم
١٩٩	٨	وصيرت	وحيرت
٢١٨	٢٠	فيثنيه	فيتنيه
٢٢١	١٣	كتيراً	كثيراً
٢٣٥	٢٢	مساوياً فى	مساوياً له فى

فهرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة